قيثارة حب



أوفيد

ترجمة وتقديم :علي كنعان

المجمع الثقافي

أوفيد .. قيثارة حب

شاعر روماني قديم، تقرأه فتحس أنه معاصر، وإن مضى على رحيله ما يقارب ألفي سنة. تلك هي روعة الشعر العظيم وتفرده، إنه يتحدى الزمن ويستعصي على الموت والزوال. والحب موضوعه الأثير، في الجد والعبث، في الملحمة الصاخبة والمرثاة الوجدانية الشجية. والشاعر الذي يكرس حياته وعبقريته وفنه لهذا الموضوع الإنساني الجليل جدير بأن تزين الأجيال المتعاقبة جبينه بأكاليل الغار، وأن يسجل عشاق الشعر والجمال والابتهاج اسمه في لائحة الخالدين.

إنه بوبليوس أوفيديوس ناسو، وهو معروف باسم (أوفيد) وكفى. ولد في أسرة ميسورة سنة ٤٣ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٧ ميلادية، وبعض المراجع تشير إلى أن وفاته كانت سنة ١٨م. لا نعرف إلا أقل القليل من حياته. ولولا تلك اللمحات المنثورة في شعره، ماوصلنا عنه نبأ ذو شأن يذكر. مسقط رأسه في سولمو (سولمونا،اليوم) في أبروتسي على شاطىء الأدرياتيكي، وهي مدينة صغيرة وجميلة تقع على مسافة ٩٠ ميلا (١٤٠ كم) شرقي روما. والشاعر يتحدث عنها وعن جمالها بلهفة حميمة تذكرنا بصورة الأندلس في الشعر العربي.

هذا الكتاب يجمع بين عملين (مجلدين) لأوفيد: (قصائد حب)، (فن الحب)، وجاء العنوان "قيثارة حب" من اختيار المترجم انطلاقاً من معايشته الحميمة لهذه القصائد.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨

تنتمي أسرة الشاعر إلى طبقة الفرسان، وهي الطبقة الوسطى بين عامة الناس ومجلس الشيوخ. وأحوال أبيه الميسورة أتاحت له ولأخيه الأكبر أن يتوجها إلى روما لمتابعة تعليمهما. كانت دراسة البلاغة والقانون طموح الشباب الروماني، أملا في أن يغدو واحدهم متألقا في الخطابة والقضاء. وفي روما درس أوفيد البلاغة تحت إشراف أساتذة كبار من بينهم أوريليوس فوسكوس وبروكيوس لاترو، ثم أكمل تعليمه في أثينا حيث أعد نفسه أن يكون شاعراً. لكنه عمل في روما قاضيا يفصل في قضايا الوراثة والوصاية، وفي قضايا الإجرام أحيانا، ولعل ذلك الالتزام بالواجب كان إرضاء لوالده. لكنه لم يستطع الاستمرار محصوراً في إطار القانون، وسرعان ما تخلى عن الحياة العامة ، ومشكلاتها ليتفرغ للشعر وعالمه الرحب. ذلك قدر أوفيد في أن يكون شاعراً كبيراً، يقف في الصدارة بين شعراء جيله.

بدأ كتابة الشعر في الثامنة عشرة من عمره، واكتسب شهرة واسعة جعلته أهم شاعر في جيله. وفي الخمسين من عمره كان أهم شاعر روماني، وخاصة بعد وفاة فيرجيل.

لكن الشاعر لم يسعد بتلك الشهرة المتفردة لأن الإمبراطور أوغسطس نفاه في السنة الثامنة للميلاد إلى توميس، وهي بلدة صغيرة تقع في أقصى أطراف الإمبراطورية على ساحل البحر الأسود (في رومانيا اليوم). وهناك مات ، بعد معاناة عشر سنين من الأسى والوحشة ولهفة العودة إلى أحضان روما.والباحثون

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩

لايجزمون تماما في أسباب نفيه، وإن اعتبروه إبعاداً لأن الإمبراطور لم يصادر أملاك الشاعر ولم يحرمه من المواطنة الرومانية. وهم يتفقون جميعا مع الشاعر بأن (فن الحب) كان أحد السببين. أما السبب الآخر فقد ظل غامضا، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن قرار الإبعاد ألمح إلى جريمة ارتكبها أوفيد، فضلاً عن شعره العابث في (فن الحب). وأوفيد ذاته يقول إنها كانت مجرد إساءة من طيش الشباب وليست جريمة. ولا ننس هنا أن الشاعر درس القانون ويعرف جيداً الحدود التي تفصل بين الجريمة والإساءة. وربما كانت مصادرة أشعاره، وحظر تداولها بين الناس، أقسى من المنفى.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩

هناك إشاعة تقول إن أوفيد أقام علاقة غير شرعية مع (جوليا) حفيدة الإمبراطور، والدليل الواضح أنها نفيت بأمر من الإمبراطور كما نفي أوفيد في السنة ذاتها، كما نفيت أمها(واسمها جوليا أيضا) في السنة الثانية قبل الميلاد، أي قبل عشر سنوات من نفي الشاعر ونفي ابنتها (جوليا). وفي تلك السنة، أو بعد ذلك بقليل، صدر كتاب (فن الحب) بأجزائه الثلاثة. وهكذا استند قرار نفي الشاعر إلى تهمة تخريب البرنامج الأخلاقي الذي وضعه الإمبراطور، إضافة إلى تهمة أو فضيحة انتهاك شرف العائلة الإمبراطورية، وإن لم يجرؤ أحد على الإفصاح عن ذلك. ومن مرارة السخرية أن النفي جرى على أساس انتهاك الأخلاق، لكن الإمبراطور ذاته لم يكن مراعيا للقانون الذي أصدره. لقد تزوج ثلاث مرات. الزوجة الأولى طلقها قبل أن يبني بها، والثانية أنجبت

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠

له (جوليا)، لكنه سرعان ما طلقها عندما وقع في غرام (ليفيا) التي سرقها من زوجها وهي أم لطفل. وبلغ من استهتاره بالقيم ذاتها أنه زوَّج ابنته (جوليا) ثلاث مرات زواج مصلحة، وكانت إحدى تلك الزيجات أشبه ما تكون بالفضيحة إذ أجبر (تيبريوس) ابن زوجته وخليفته في الحكم على الطلاق من زوجته، وهي حامل وله منها عدة أولاد وكان يحبها، لكي يزوجه (جوليا). لكنه لم يكن زواجاً سعيداً ولم يدم طويلاً. أوفيد كذلك تزوج ثلاث مرات، ولم يرزق إلا بابنة واحدة. الزواج الأول والثاني كانا قصيرين، أما الثالث فكان ناجحا. ويبدو أنها كانت سيدة لها مكانتها في روما، فقد بذلت جهدها لتخفيف حكم الإبعاد عن زوجها، سواء من الإمبراطور أوغسطس ذاته أو من خلفه تيبريوس، ولكن بلا جدوى. والشاعر يتحدث عن زوجته هذه بحب واحترام.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠

أعماله الشعرية:

– بين الثامنة عشرة والثامنة والعشرين من عمره كتب (قصائد حب)، وأصدرها أول الأمر في خمسة أجزاء، ثم أعاد صياغتها وكثفها في ثلاثة كتب – حسب اعترافه. ومن تلك السن المبكرة انطلقت شهرته.
– بين الثامنة والعشرين والحادية والأربعين من عمره كتب (فن الحب) بأجزائه الثلاثة. وكان قد كتب (رسائل العاشقات) قبل ذلك.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١

- في السنة الأولى للميلاد، وهو في الثالثة والأربعين، بدأ كتاب (التحولات) وأنجزه كما أنجز قسما كبيراً من كتاب (التقويم) بعد سبع سنوات من ذلك التاريخ. ثم جاءت صدمة المنفى وهو في الخمسين من عمره، وهي صدمة قاسية وموجعة لم يسلم منها إلا بالموت.

- وفي المنفى كتب (أغاني الحزن) و(رسائل من البحر الأسود)، وفيها يلتمس العفو من الإمبراطور مباشرة أو من خلال زوجته وأصدقائه، ولعله كان يتوجه لجمهور القراء والمعجبين مبينا مدى الظلم الذي لحق به.

- وهناك أعمال أقل شأنا هي (فن التجميل) و(مداواة العشق) و(رسائل العاشقات) أو (رسائل البطلات) والمقصود (بطلات العشق) من أمثال (هيلين) طروادة.

لكن أهم أعماله هما (فن الحب) و(التحولات) بلا جدال.

إن أهمية أوفيد تتجلى في تحديه السافر للآلهة والإمبراطور معا. فالشاعر الذي أنزل آلهة الرومان إلى الأرض في (فن الحب) وراح يعاملهم بسخرية، كان يرمي في الوقت ذاته إلى السخرية من الأباطرة الذين جعلوا أنفسهم أشباه تلك الآلهة الوثنية. إنه يتمتع بثقافة رومانية وإغريقية واسعة، وفي أكثر من موضع يشير إلى أهمية تعلم اللغتين. ويوم بدأ في كتابة (فن الحب) كان يرى أمامه مثالين سابقين: الأول هوميروس الإغريقي مبدع الإلياذة، والثاني فيرجيل الروماني مبدع الإنيادة. لكنه لم يتبع الأسلوب

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢

الملحمي في الإيقاع ولا في البناء. إنما بنى عالمه الساخر حين اتخذ من الحب لعبته الجميلة الأثيرة.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢

الإمبراطورية الرومانية إمبراطورية حرب، كان الشاعر يدرك هذه الحقيقة بوعي حاد ومرارة لاذعة. وتصوير أهوال الحروب وأمجاد الأبطال يحتاج إلى الملحمة بإيقاع سداسي التفاعيل متوارث عن الإغريق. لكن أوفيد، إمعانا منه في السخرية من أباطرة الحروب ومن قيم المجتمع المنهارة، ولاسيما الطبقات العليا، حول الحب إلى معارك حربية مضحكة تعج بالمؤامرات والدسائس والابتهالات والرشى.. وكل ما في المجتمع المترف من فساد وتفسخ وانهيار أخلاقي.

أجمل عاطفة إنسانية تحولت إلى مجرد رغبة جسدية مسعورة تتطلب السحر والاحتيال والذل، أو حتى العنف والتواطؤ مع الخدم والعبيد، وربما مصادقة الزوج والتغرير به وطعنه في الظهر. إن طبقة اجتماعية مترفة قد انهارت قيمها وتقاليدها الأصيلة المتوارثة ولم تستطع ترسيخ قيم حضارية جديدة، هذه الطبقة تتحول إلى وحوش

امتلاك واستئثار بالمتع والانغماس بالملذات. وفي سبيل ذلك فإن أبطالها مستعدون لاقتراف أكبر الكبائر. لذلك نرى الشاعر يستعيد رصانته الحذرة وينصح بأن الحكمة تقتضي عدم ائتمان أحد على الحبيبة، فلا أخ ولا صديق ولا جار.. كلهم سواء. وهذا يعني، في المفهوم العصري، أن الحبيبة ليست إنساناً وإنما دمية.
لكن، ليس من حقنا أن نظلم الشاعر مادام يفصل بيننا وبينه
رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣
كل هذا الجدار العريض من الزمن. لقد فتح عينيه على الحياة والقناصل الثلاثة يتصارعون على السلطة ويسقط أنطونيوس ليصعد نجم أوكتافيوس حتى يصبح الإمبراطور الحاكم الأوحد إحدى وأربعين سنة، ويطلق على نفسه لقب أوغسطس أي (الجليل أو المهيب). وكان الرومان يطلقون على الشعوب الواقعة تحت سيطرتهم اسم (برابرة). وأوفيد الذي كان يحلم أن يمضي حياته كلها في عاصمة الإمبراطورية، روما، أقصاه الإمبراطور (الحريص على الأخلاق) إلى بقعة نائية محكومة بالقبائل (البربرية)!

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣
هل كانت قصائد أوفيد عامل هدم وإفساد في أخلاق المجتمع فعلا، أم أنها كانت خطرة على النظام العسكري، في إمبراطورية تجعل من الفروسية والفرسان عمادها الأساسي؟ إن الشاعر سليل هذه الطبقة، وهو يعرف جيداً قيمها وأخلاقها ومخازيها على حد سواء. لذلك لم يملك غير سلاح الشعر والسخرية ، ولم يجد موضوعاً غير العشق الحسي ومغامراته التي يرتقي بها إلى مستوى الأسطورة، وينزل آلهة الرومان عن عرشها ليلعب بها كبيادق الشطرنج.
شعره كله باستثناء (التحولات) ينضوي تحت جناح المرثاة بالمعنى الكلاسيكي(الإغريقي) للكلمة، وقد كتبه بيتين بيتين، يلتزم بالقافية حينا.. وكثيراً ما يتخلى عنها. لقد كانت عبقريته العاشقة للحرية أكبر من أي قيد، وإن كان فنّاً متوارثا. و(التحولات) قصيدة طويلة تضم نحو اثني عشر ألف بيت من
رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤
الشعر، وتقع في خمسة عشر كتابا، وهي مكتوبة على البحر الملحمي ذي التفاعيل الست، بحر المأساة. إنها تضم حكايات أسطورية وخرافية، يلعب التحول فيها دوراً ما، مهما كان ضئيلاً. وهو يبدأ منذ كان الكون في حالة العماء والفوضى ثم انتقل إلى النظام.. حتى ينتهي في موت يوليوس قيصر وتأليهه – أو ما يعرف بالسلام الأوغسطي. وفي كثير من القصص، كانت الشخصيات الأسطورية تستعمل لتوضيح أمثلة من الطاعة أو العصيان تجاه الآلهة.وكانت هذه الشخصيات تكافأ أو تعاقب،جزاء على أعمالها، بالمسخ إلى حيوانات أو نباتات ،وربما بالترقية إلى كائنات فلكية. إن أهمية (التحولات) أكبر مما تبدو في حقيقة الأمر. ذلك أن موضوعها الجوهري هو العاطفة الإنسانية في ذروة مكابداتها. أي أن وحدة الموضوع موجودة، مهما تلونت القصص

وتباينت العقوبات والمكافآت. وفي هذه القصائد يستفيد الشاعر من دراسته المعمقة للبلاغة، وتصويره العابث لألاعيب العشق الجسدي في شبابه، يتحول في هذه القصائد إلى خيال مفعم بالعاطفة الإنسانية العميقة، وكأنه يريد أن يقول لأبناء قومه من الرومان: إن آلهتكم لا قيمة لها إلا بما تحمل من عواطف إنسانية حميمة.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤

وهنا لن أتحدث عن (فن الحب) أو عن بداياته الشعرية في (قصائد حب) لأن النص الأصلي – وإن كان مترجماً – يغني عن أي شرح أو تعليق. النص هنا بين أيدي القراء، وارتشاف الماء من

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥

الينبوع أشهى وأعذب.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥

ولا شك أن هذا الشعر مرآة العصر الذي ولد فيه، ومرآة المجتمع بقدر ما هو مرآة الشاعر، لكن بالمعنى المجازي الفني للمرآة بعيداً عن العلاقة الميكانيكية الجامدة. وإذا كانت جرأة الشاعر تخدش الحياء في بعض الأبيات ولا تراعي حدود الأخلاق، فليس مصدر ذلك ولا غايته ترويج العبث والتهتك والاستهتار، وإنما هو محاولة قاسية لشد الأنظار إلى الحالة المستنكرة التي بلغها المجتمع المترف، وبخاصة أنه مجتمع محكوم بطغمة عسكرية في إمبراطورية مترامية الأطراف.

الشاعر يتطلع دائما إلى المستقبل، فهو مرتبط بالأحلام. من هنا انبثقت سخرية الشاعر، وهي سخرية لاذعة لم يسلم حتى أوفيد نفسه منها، إذ ينتقد قسوته على الحبيبة أحياناً وهو يعاملها بما لا يليق. وفي عالم يفرق بين النبلاء والناس العاديين والعبيد، ويجعل البعد بين الطبقة العليا والدنيا بعد السماء عن الأرض، في عالم كهذا لابد أن يثور الإمبراطور حين يرى الشعر سلاحاً ضده وضد قوانينه، فالعسكري الذي يحارب في أطراف الإمبراطورية يريد أن يكون ظهره محمياً وأن يكون آمنا على حبيبته وزوجته وأسرته كلها. لكن تركيز أوفيد على الفساد الذي ينخر في لباب ذلك المجتمع ، جعله يهتز من أساسه وربما أسهم في دفعه إلى الانهيار. ويظل الشاعر أخلاقياً مستقيماً – كما قال بصدق – وإن عبر في شعره عن حالة تتنافى مع القيم.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦

الترجمة:

يضم هذا الكتاب عدة أعمال للشاعر كتبها في مراحل مختلفة من حياته قبل المنفى، وهي:

١ – قصائد حب في ثلاثة أجزاء أو كتب – كما أسماها.

٢ – أدوات التجميل أو فن التجميل.

٣ – فن الحب في ثلاثة أجزاء أو كتب.

٤ – مداواة الحب.

اعتمدت في هذه الترجمة أساساً على النص الإنكليزي من ترجمة أ.د. ميلفيل الذي استفاد من ترجمات سابقيه واستعار بعض القصائد من ترجمة مارلو، معاصر شيكسبير. لقد عشت مع هذا العمل الإبداعي المتألق ثمانية أشهر، وأنا أعمل فيه ما بين خمس وست ساعات كل يوم، إضافة إلى ما يقارب الساعة أمضيها مع النص اللاتيني الصعب. لقد أعادني أوفيد أربعين سنة إلى وراء، يوم بدأت دراسة اللغة اللاتينية بمتعة خاصة واستهوتني قواعدها المشابهة لقواعد النحو في العربية حيث تتغير أواخر الكلمات وفق حالة إعرابها. لكني لم أمض إلا سنتين مع تلك اللغة.

ولست أزعم أني ترجمت بيتاً واحداً عن اللاتينية مباشرة، بل إن اعتمادي كان على النص الإنكليزي كلية. إنما كنت مضطراً أحياناً إلى الاستئناس بالأصل اللاتيني، رغم صعوبته، حين كانت تلتبس عليّ أحوال المذكر والمؤنث والفاعل والمفعول في النص

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧

المترجم، فضلاً عن صيغ الأسماء الأصلية. يضاف إلى ذلك متعة الإيقاع الشعري في نصه الأصلي، وإن كانت الترجمة الإنكليزية شعراً مرسلاً ،يعتمد الدوبيت (البيتين) وأحياناً الرباعية، وفي حالات قليلة جداً البنية السداسية.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧

من المعروف أن هناك ترجمة مشهورة قام بها السيد ثروت عكاشة، فكان له فضل الريادة في تعريف القارئ العربي بأوفيد. كما أن في الجامعات العربية ترجمات مجتزأة قام بها طلاب بإشراف أساتذتهم. لكن القارئ سيكتشف أن هذا النص مختلف اختلافاً كبيراً عن كل ما سبقه. إن الترجمات السابقة، على ما يبدو قد اعتمدت نصوصاً مختلفة، وربما لغات وسيطة مختلفة. يضاف إلى ذلك أنها أدخلت كثيراً من الحواشي والشروح في متن الشعر، مما أفقد الشعر كثافته وأبعده عن الأصل. ولعل الدافع كان حرص المترجم على إيضاح المعنى للقارىء العربي، ولا سيما أنه نص مفعم بالرموز والأساطير.

لقد حاولت جهدي أن أكون أميناً لروح النص الأصلي ودلالته. وكنت أحمل بعض المقاطع معي لأرددها ما لا يقل عن عشرين مرة وأنا أسير في حديقة الخالدية (في وسط أبوظبي) مساء كل يوم، وبخاصة في فترة النقاهة، بعد إصابة القلب بالاحتشاء والخروج من تلك المحنة.

كنت أتمنى لو أمضيت سنتين كاملتين مع أوفيد في هذه القصائد، ولو أتيح لي ذلك لجاءت الصياغة الفنية أجمل وأقرب

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨

إلى شعرية الأصل. لكن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. ولا شك أن كل تقصير أو خطأ سوف تقع تبعته عليَّ وحدي في هذه الترجمة.

وفي الختام، لابد أن أحيي المجمع الثقافي وأمينه العام على هذا الاهتمام بكنوز التراث العالمي ونقله إلى العربية. وإذا كان قلب الشاعر قد تعرض أكثر من مرة لسهام كيوبيد، فإن شعره كان عزاء لي خلال إصابتي القلبية. وهنا لابد من التنويه بالجهود الاستثنائية الميمونة التي أحاطتني بها السيدة فاطمة عطفة طوال هذه الشهور المضنية. فرغم قيامها بأعباء أسرة كبيرة، كانت إلى جانبي ليل نهار تكتب ما أمليه عليها خلال فترة النقاهة وتهيىء لي الجو المريح في البيت والمشفى معاً وحتى في إعادة صياغة بعض الأبيات، ولاسيما قصيدة (فن التجميل) وفي مناقشة العادات والأزياء وألاعيب الساحرات. ولولا رعايتها الحميمة الغامرة، لما تمكنت من إنجاز هذا العمل الجميل. وتبقى الكلمات عاجزة عن رد المعروف، لأن الأيادي البيضاء التي تحيط القلب المعطوب بغيمة ياسمين حتى يمن الله تعالى عليه بالرحمة والشفاء، ستظل أسمى من كل تعبير.

علي أحمد كنعان

أبوظبي٢٠٠٠/١٠/٢٢م

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١

استهلال[للطبعة الثانية]

نحن كنا خمسةَ كتبٍ نحيلة لأوفيد
والآن ثلاثة: لقد رأى أنَّ التكثيفَ أفضل.
ومع أن قراءتنا قد لا تمنحك أيَّ متعة،
لكن إزالة اثنين ستجعل الألم، على الأقل، أخف. (١)

(١)
يبدو أن الشاعر كتب هذه القصيدة في خمسة كتب أول الأمر، ثم رأى أن تكون ثلاثة كتب فقط.

الكتاب الأول

- ١ -

إني عزمتُ أن أُنشدَ بإيقاع جليل (١)
حكاية عن الأسلحةِ والحربِ والشدائد
وأنا أُوازنُ هذه القضيةَ الخطيرةَ بشعري
الأبياتُ كلها في الطول سوَاء - فلا اختلافَ
لكنَّ كيوبيد (٢) ضحك (كما يقولون)
واختطف إحدى التفعيلات بعيدا (*)
أيُّها الغلامُ القاسي، من ولاَّك حكَماً على الشعر؟
نحن لسنا من غوغاءِ رعاياك، إننا ربَّاتُ الفنون
أتنتزع فينوس (٣) من بالاس (٤) الشقراء سلاحَها؟
وبالاس الحسناءُ تُذكي نارَ اللوعة استعارا؟
ومن يرضى إذا سيريز(٥) تربَّعت
ملكةً على كل غابةٍ في الهضاب العالية؟

١

(١+*) بحر الملاحم الشعرية مؤلف من ست تفعيلات، والإشارة في المقطع الأخير تعني أن إله الحب (وهو مجرد غلام عابث) قد دفع الشاعر إلى الإخلال بذلك الإيقاع الجليل فاضطر أن يكتب بعض أبياته بخمس تفعيلات.

٢

كيوبيد: إله الحب الجنسي عند الرومان، ويصورونه طفلاً عارياً مجنحاً، يحمل قوساً ونشاباً.

٣

فينوس: إلهة الحب والجمال عند الرومان.

٤

بالاس: (أثينا): إلهة الحكمة عند الإغريق، وهي (مينيرفا) عند الرومان.

٥
سيريز: إلهة الزراعة عند الرومان.

أوفيد

الصفحة : ٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦

أو ينبغي للعذراءِ المحاربة (١) أن تتولَّى حظيرةَ المواشـي؟
ويتمرسَ أبو للو(٢) ذو الشعرِ المسترسلِ بتسديدِ الرماح؟
بينما يداعب مارس(٣) أوتارَ القيثارةِ على قمة هيليكون؟
يا لعظمةِ سلطانك! وإن هيمنتكَ لأعظمُ بكثير.
فيا أيها الغلامُ الطمَّاع، لماذا ينبغي لك
أن تتصدَّى لهذه المهمةِ وهي جديدة عليك؟
أليس العالمُ كلُّه يومئذ لك؟ أليس مقامُ رباتِ الفنون
هو ملكَك أيضا؟ وحتى قيثارةُ فيبوس(٤) ليست في مأمن الآن؟
على الصفحة الجديدة تجلَّى بيتيَ الأولُ زاهياً،
ثم جاء الرديفُ، مثيراً أعصابي بلا ريب؛
وليس هناك من موضوعٍ يخصني
يمكن أن يوائمَ ذلك البيتَ المهلهل،
لا فتى، ولا فتاة بشعرها المسترسل الجميل –
كذا أعلنت احتجاجي. وسرعان ما سحبَ
من كنانتهِ سهماً، مختاراً بعناية
ليطرحَني صريعاً، ثم سندَ قوسَه الهلالية
إلى ركبته مُسدِّدا: "خذ مني أيُّها الشاعر

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧

هذا جزاءُ ما سوف تنظمُ من أبيات".

١
ديانا: إلهة القمر والغابات، وتصور دائما بلباس الصيد.
٢
أبو للو: إله الشعر والموسيقى عند الإغريق والرومان.
٣
مارس: إله الحرب عند الرومان.
٤
فيبوس: أبوللو.

أوفيد
الصفحة : ٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧
يا ويلي! إنَّ سهامَ الغلامِ دقيقة لا تُخطىء
وها أنذا أحترقُ، وفي قلبي الخالي يسيطرُ الحب
ولابد أن ينطلقَ شعري اليومَ بستِ تفعيلات
ثم يتراجعُ مستقراً في خمس. وداعاً يا أناشيدَ
الحربِ الفولاذية! وداعاً لك
ولإيقاعِ بحرِك الملحميِّ كذلك!
يا ربات الفنون، كَلِّلْنَ ضفائرَكنَّ الذهبية

بآسِ البحر،
وبإحدى عشرةَ نبرة
ألْهِمينا كتابةَ الشعر.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨

- ٢ -

ما هذه الحالةُ التي أجدُ فيها فراشي
قاسيا إلى هذا الحد، والأغطيةُ تنزلقُ والنومُ طار تماما،
وخلال الليل، وما أطولهَ، أستلقي مسهدا،
أتقلَّب حتى تصرخَ عظامي التعبى من الوجع؟
وعلَّي أن أعرف إن كان الحبُّ يرمي إلى تعذيبي
أم هل يتسلَّلُ أذاه سرا؟
تلك هي الحالة. لقد أطلق سهمَهُ الرقيق
الحبُّ استولى، عاصفاً بقلبي المسكين.
أعليَّ أن أستسلمَ هكذا أم أغذِّيَ اللوعةَ وأقاوم؟
سأخضع: إن الثقلَ المحمولَ سرعان ما تشعر بخفتهِ.
ومن المشاعل المتموجةِ رأيت اللهبَ يندفع عاليا؛
وهي تموت، حين لا يلوِّح بها أحد.
الثيرانُ التي تقاوم المحراثَ في البداية تُضرَبُ أكثر
من تلك التي تعلَّمت أنَّ المحراثَ عملٌ سار.
الحصانُ المغرورُ يجدُ أن الشكيمةَ تسببُ ألما،
لكن ذلك المطيعَ يحس أن اللجامَ أخفُّ وطأة.
الحب يضرب العنيد بضراوة أكبرَ بكثير
من أولئك الذين يُقرُّون له بالعبودية.
انظرْ يا كيوبيد، إني أعترف – جائزتُك الأخيرة –
أرفع يديَّ الذليلتين، وقلبي يُذعن.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩
لا حاجة للحرب. الإحسانُ والسلام هما كلُّ شيء
إني أنهزم أعزلَ أمام سلاحك – ولا تمجيدَ لك.
جَهزْ حمامات أمك(١) وكللْ شعرَك
بالآس. فأنا أُعلنُ أنَّ زوجَ أمِّك(٢)
سيعطيك عربةً لائقة، حيث ستقف
بينما تُهلِّلُ الحشودُ للنصرِ على الجانبين.
وستسوق طيورك برشاقةٍ وأنت تتابع
قافلةً من الفتيان والصبايا الأسرى ستواكب
نصراً سيجعل السماءَ مدوِّية.
وأنا، الغنيمةُ الجديدة، وجرحي الذي أصابني فعلا سيرهقني
وفي قلبي المتيَّمُ أحملُ أغلالاً جديدة.
وفي موكبِ النصرِ سترى الحساسيةَ الطيبة
مكبَّلةَ اليدين خلف ظهرِها، وكذلك الاحتشام – (٣)
وكلَّ ما يقف ضد أسلحة الحب.
جميعُ الأشياء تخافك. وبترحيبِ صاخبٍ طويل
سوف يترنَّم الجمهورُ المبتهجُ بأنشودةِ النصر
إنّ دغدغة المحبةِ والجنونِ وهيام العقل (٤)
ستكون حاميتك في الموكب السعيد،
رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠

والأنصارُ الأوفياءُ يتابعون قضيتَك.

١
(١ – ٢)كيوبيد هو المخاطب، والأم (فينوس) وزوج الأم (مارس)، والعربة التي تجرها الطيور واردة في (أنشودة سافو) إذ كانت عربة أفروديت كذلك.

٣

الاحتشام والحساسية الطيبة مكتوبة بحروف كبيرة، أي أنها رموز تجريدية تشير إلى آلهة.

٤

هذه أيضاً رموز تجريدية أوردها الشاعر نظائر غير عقلانية للأسرى.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠

بهذه القوات الرائعة ستَهزِمُ في حروبك
الرجالَ والآلهةَ معاً: لا جدوى من خدماتِهم
ولا يمكن أن تُهْزَمَ أبداً في عربِك.
أمُّك من قمةِ الأولمبِ وبابتهاج
تشارك ابنَها فرحةَ النصر،
ستمنحك التصفيق والثناء إعجابا
وتنثر الورودَ لتزين جبينكَ
تأمَّل، ها أنت بأجنحة وخصلات مرصَّعة بالجواهر
ستمتطي في موكبٍ ذهبيٍّ عربةً من ذهب.
وإذا كنتُ على معرفةٍ بك، فسوف تُشعلُ عندئذ
أتونَك في قلوبٍ ليست بذات عددٍ قليل.
كم من الجراح ستعالج في أثناء مرورك بها:
وحتى لو رغبت، فإن قوسَك في وقت الراحة لا تهدأ؛
ونارك الرهيبةُ تلذع كلَّما كانت حرارتها قريبة.
هكذا علَّم باخوس انتصارَه الهندي – (١)
إن الحمائم تجر عربتك، فهو يستخدم النمور.
لذلك، وبما أني جزءٌ من انتصارك
لا تبُدِّد ثروةَ ظفرك على قلبي البائس.
تأمَّل كيف تسير انتصاراتُ نسيبك القيصر:
إن المنتصر يحمي عدوَّه المهزوم.

١

هو ديونيسوس – إله الخمر، ويمثل قوة الجنون.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١

– ٣ –

إني أطالب بالعدالة؛ تلك التي سحرتني
عليها الآنَ إما أن تُحبَّني أو تضمنَ أن أُحبَّها
إلى الأبد. لا، إن ما أصبو إليه أسمى من أن يطال.
أن تكون محبوبة وحسب – دعوها تسمح بذلك لا أكثر
وستُوَفِي فينوس بنذري الأغلى.
خذي واحداً سيكون عبر السنين الطويلة عبداً لك؛
خذي واحداً سيحب بأنقى وفاء.
ليس في أجدادي القدماء أسماءٌ تثير افتخاري،
ونَسبي لا يتفرَّعُ إلا من فارسٍ، وهذه حقيقة.
ليس ثمة محاريثُ لا تحصى تعملُ في أرضي الخصبة،
وأبواي كلاهما حريصان على مراقبةِ ما ينفقان –
أقلٌ مما يكفي لنيلِ إعجابِ عاشقِك
ولكنَّ فيبوس(١) يقف إلى جانبي ومعه
رفيقاته التسع ومخترع الكرمة(٢)
والحب الذي وهبني لك، والوفاء
الذي لا يخضع لأحد، والإخلاص الصريح،
حياةٌ لا عيبَ فيها واحتشامٌ متورد.

١
أبو للو: ابن لاتونا، وهو إله الموسيقى والشعر والطب.
٢
باخوس: ابن جوبيتر وسيميلي، وهو إله الخمر، ورفيقاته: ربات الفنون، وهو معهن جميعاً من ملهمي الشعراء.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢
إن ألفَ فاتنةٍ لا تمنحني أيةَ بهجة؛

لست بهلوانَ حبٍ لأقفزَ من سريرٍ
إلى سرير. ستكونين دائماً حبيبتي، صدقيني:
فلتكرمني السماءُ بأن أُمضي معك أيامي
خلال المدى الذي يسمح به خيطُ الشقيقات،(١)
ثم أموت معك هناك باكيا. هَبِيني
نفسك، موضوعاً سعيداً لشعري:
إن شعري سينبثق جديراً بمصدره.
هكذا يَدين كثيرٌ بشهرتهِم لشعري –

مسكينةٌ آيو التي روَّعتها قرونُها البقرية،
وليدا التي خدعها التَّمُّ فغشيَها زناً،
وأوربا التي حملها الثورُ الزائف إلى البحر،
ويدا العذراء ممسكتان بقرنيه من الجانبين. (٢)
وسنحيا كذلك في الشعر حيث العالمُ أجمعُ هناك
وسيكون اسمي منَوطاً بك مدى الدهر.

١
الأقدار: كلوثو تمسك فلكة المغزل، لاتشيسيس تقيس خيط الحياة، أتروبوس – "الحقود العمياء بالمقص البغيض" تقطع الخيط.
٢

آيوا.. ليدا.. أوربا: هن جميعاً ضحايا جوبيتر وشهواته: آيو حولتها جونو إلى بقرة؛ ليدا أتى فراشها جوبيتر بهيئة طائر التم؛ أوربا خطفها وهو بهيئة ثور.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣

- ٤ -

هناك سيكون زوجُك على المائدة ذاتها -
أتمنَّى لزوجِك الليلةَ عشاءَه الأخير.(١)
أنا مجرَّدُ ضيفٍ في ذلك الحين، أُحدقُ في محبوبتي
بينما شخص آخرُ تحت يدِك ينعم بالسرور؟
وأنت ستضمين صدرَ آخرَ لُتدفئيه
في حين يلفُّ ذراعَه حول عنقِك آن يشاء؟
ولا عجب أن القنطورات من أجل هبُّوداميا الحسناء، (٢)
حين دارت الخمرة بينهم، بدأوا العراك.
أنا لست نصفَ حصان، وبيتي ليس في الغابة،
ومع ذلك لا أقوى أن أُبعدَ يديَّ عنك إلا بمشقة.
والآن، إيَّاك أن تُسلمي للريح كلمات حكمتي؛
أنصتي، وافهمي ما ينبغي عليك أن تفعليه.
حاولي أن تَصِلي قبل زوجِك،لا لأنَّ في وسعي ؛
أن أرى تماماً ما سيفعله وصولُك أوَّلاً من خير :
ولكن تعالَي قبله. وحين يتخذُ مكانَه
على الكنبة وأنت تهمين بالذهاب أيضا
لتجلسي بجانبه، وأنت في سلوكك الأمثل،

١
ثلاثي العشق الأبدي: العاشق والمعشوقة والزوج أو الحامي.
٢

القنطور: نصف إنسان ونصف حصان، وهبوداميا زوجة بيرثيوس – ملك لابيتس، وقد دعا تلك الكائنات الخرافية إلى حفلة الزفاف، وكانت المعركة الملكية التي تنشب بعد ذلك من الموضوعات المحببة في الفن الإغريقي.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤

لامسي قدمي خلسةً، وانظري إليَّ
راقبي إيماءاتِ رأسي، عينيَّ، لغةَ وجهي؛
التقطي إشاراتي وردُّيها خِفية.
سأبعثُ بحاجبيَّ رسالةً بلا كلمات؛
وستقرئين كلماتِ أصابعي، كلمات يمكن تتبعها في الخمرة.
وحين تتذكرين ألاعيبنا بالحبِّ معاً،
يجب أن تقتفي بإصبعك سطراً على وجنتيك.
وإذا رغبت بتوبيخي في أفكارك الصامتة
دعي يدَك تمسك بشحمةِ أذنك الناعمة؛
وحين يمنحك ما أفعله وما أقوله متعةً، يا حبيبتي
فاستمري في تحريك الخاتمِ الذي تلبسين جيئة وذهابا.
وحين تودين إنزالَ اللعنات التي يستحقها زوجك
ضعي يدك على المائدة، كأنما في صلاة.
وإذا صبَّ لك خمراً فاحترسي، ومُريه أن يشربها بنفسه؛
واطلبي من النادل هناك ما ترغبين أنت بشربه.
سآخذ الكأسَ التي ناولتِها للنادلِ بعدك مباشرةً
وسأشرب من الجانبِ الذي أخذت منه رشفاتِك؛
وإن حاول أن يُقدِّمَ لك أيَّ شيءٍ ذاقه،
فارفضي كلَّ طعام لمسته شفتاه.
لا تدعيه يطوِّق كتفكَ بذراعيه،
ولا تُريحي رأسَك اللطيفَ على صدرِه القاسي،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥

لا تدعي ثوبَك أو نهديك يُفسحان مجالاً لأصابعه،
وفوق كل شيء – إيَّاكِ أن ينتزع منك قبلات!
تُقبِّلين – وسأكشفُ نفسي عاشقك؛

سأقول <إنها لي>؛ وسأراهن بحقي الشرعي.
وهذا كلُّه سأراه طبعا، لكن ما هو مُخَبَّأٌ جيدا
تحت ثيابك – الرعبُ الأعمى يجعلني أرتعد.

لا فخذَ يضغط على فخذ، ولا لعبَ بالأقدام!
لا تربطي قدمَك الطريةَ بقدمه القاسية في حلقة.
كم أنا خائف لأني كنت فاجرا –!
إني أتعذَّب بأهوالِ ما جنيت.
وغالباً ما كنت أنا ومعشوقتي وفي رغبةٍ مفاجئة
ننغمس تحت عباءتها بالملذات البهيجة؛
أنت لم تفعلي ذلك، ولكن لتقضي على الشبهة
اخلعيها وحسب – أزيلي الشيءَ الذي يَعلَمُ بذلك.
ألحِّي على قرينِك بالشراب – ولكن، حذَارِ من القبلات!
وحين لا يكون منتبهاً، حاولي أن تضيفي الخمرَ صرفاً (١)
وإذا الخمر والنوم أخذاه إلى مستقرهِ المرتجى
فالوقتُ والمكان سيعلِّماننا ما ينبغي لنا أن نعمل.
وحين تنهضين لتغادري، والجميعُ ينهضون معك،
رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦

تأكدي أنك في وسط الحشد؛
ستجدينني في ذلك الحشد، أو أنني سأجدك هناك؛
وإذا استطعت لمسي، فامنحيني دفعةً رقيقة.

١
كانت المعادة أن يشربوا الخمرة ممزوجة بالماء.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦
يا حسرتي، ما أقلَّ الساعاتِ وما أقصرَها لقاءَ كلماتِ الحكمة!

مُكرَه أنا على فراق حبيبتي بأمرٍ من الليل.
سيُغلق عليها البابُ ليلاً؛ وأنا أتابعها بالدموع
حتى بابهِ الوحشي – حيث سأبقى مسمَّرا.
وها هو الآن يقطف القبلات، الآن ليست القبلات وحدها.
ستمنحينه ذلك كأنه حقُّه، لأنه واجب عليك،
ما تمنحينني في الخفاء، اجعليه حقدا
(في وسعك أن تفعلي ذلك) كأيِّ فتاةٍ تؤدِّي ما يجب.
اجعلي الحبَّ نكداً – لا كلمات عذبة – مجرد صمت.
وإن كان لابتهالاتي من قدرة، فأنا أتوسل أيضا
ألاَّ ينعمَ بأيِّ نوعٍ من المسرة؛ وإن كان يود ذلك،
فأنا أصلي ألا يواتيك أيٌّ ابتهاج على الأقل.

ولكن، أيَّاً كانت القسمة التي يمكن أن يرسلها الليل،
فأنت لم تحتفظ باليوم التالي – حتى النهاية!

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧

–٥ –

نسخة مارلو، جعلها عصرية ولو قليلا]

في قيظ الصيف وعند انتصافِ النهار

أويت إلى السرير لأريحَ أوصالي.
مصراعُ النافذة كان مغلقاً ، والآخر ظلَّ مفتوحا،
وسمح هذا بشيء من الضوء كمن يستلقي في غابة،
مثل ظلال الغسق عند غروب الشمس،
أو عندما يرحلُ الليل والنهار لم يبدأ بعد،
ينبغي أن تُعدَّ مثل هذا الضوء للصبايا الخجولات
لعلَّ خجلهنَّ يجد فيه أملا بالاختباء.
وأطلَّت كورينا داخلة بعباءة فضفاضة طويلة،
وجيدها الأبيض يتوارى بالضفائر المتدلِّية؛
هكذا جاءت إلى عشاقها الكثيرين لايس (١)
أو سميراميس (٢) الحسناءُ دخلت غرفةَ نومها.
انتزعتُ عباءتها؛ ولأنها نحيلة كان الأذى طفيفا،
ومع ذلك جاهدت لتسترَ عريَها
كانت تحاول بطريقة كمن يتمنّى أن يخيب،
وانهزمت ببساطة لأنها غدرت بنفسها.
عاريةً تماماً وقفتْ أمام عيني
رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨

ولم أستطع أن أرى شائبة في جسدها.

١
Lais محظية من كورينث.
٢
الملكة الآشورية المعروفة.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨
أي ذراعين وأي كتفين لمستُ ورأيتُ
وكم كان صدرُها ميَّالاً لأضمَّه بشدة إليّ!
البطنُ أملس جدا تحت نهدين كم هما شامخان،

والخصر طويل جداً، وياله من فخذ فتيٍّ رائع.
لماذا أزيد في التفاصيل؟ كلُّ شيءٍ كامل في نظري؛
وهي عارية كما كانت، عانقتها بسعار.
وبعد ذلك – الجميع يعرفون! استرحنا بقبلة؛
وأرسل إليَّ جوف مزيداً من أوقاتِ الأصيل كهذا!

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٩

– ٦ –

يا بوَّاب! – ما أسوأ أن تكونَ مكبَّلاً بقَيدك الضاري – (١)
افتحْ هذا البابَ المضجرَ وانزعِ الرتاج.
أنا لا أطلب كثيراً – فُرجةً صغيرةً تسمح لي
أن ألجَ مضغوطاً من الجانب، إذ يكون البابُ مواربا
الحبُّ الطويلُ أنحلني لقضيةٍ من هذا النوع،
أضعفني وشكل جسمي بالطريقة الصحيحة.
الحبُّ يعلِّمُ الفتى كيف ينسلُّ من وراء الحراس الساهرين
ويقود خطاه، إنما ليس إلى نزهة أو تشرد.
ومع ذلك كنت يوماً أخاف الليلَ والأشباح الجائعة،
متعجباً من الناس وهم يمضون في الظلام:
كيوبيد ضحك في أذني مع أمِّه العذبة،
وهمس: "أنت أيضا ستكون شجاعاً يا أوفيد".
وأتى الحبُّ بلمحةٍ خاطفة. فأنا الآن غيرُ خائف
من الأشباحِ الطائرة والأيدي المستلَّة للقتل،
إنَّ من أخافُه أنتَ، أيها العنيد إلى هذا الحد، وأنتَ من أتملَّق؛
أنتَ الذي أحكمتَ الرتاجَ لتدمِّرنَي عامدا.
انظر (واسحب الرتاجَ القاسي لتراها)،
انظر كيف ابتلَّ البابُ بدموعي المنهمرة.
أنت تعرف أنك حين وقفتَ مرةً عارياً لتجلدَ،
رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٠

أنا بنفسي رجوت سيدتَك، أنا ذاتي دافعتُ عنك.

١

كان البواب من العبيد، وكان في العادة مربوطاً إلى الباب بسلسة.

أوفيد

الصفحة : ١٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٠

لذا هل لذلك المعروف الذي قدَّم لك خدمةً من قبل –
أن تُقدمَ لي معروفا أكبر! – ولتكن آخر خدمة؟
رُدَّ لي ديني: جاءتك الفرصةُ للعطاء.
الليل ينسلُّ ضائعاً، اسحبْ رتاجَ الباب.

اسحب الرتاج! أرجو ألاَّ تشربَ ماءَ العبيد دائما،
بلْ أن تطرحَ القيدَ الذي تحمَّلته طويلا، في نهايةِ المطاف.
لا جدوى! أنت تسمعني لكنَّ قلبَك من حجر؛
البابُ من البلُّوطِ الصُّلبِ ولا يزال مُحكمَ الإغلاق.
البوابات المقفلةُ جيدة لحمايةِ المدن المحاصرة:
لمَ أنت خائف من العنف؟ نحن لسنا في حالةِ حرب!
لِمَ تحلم بالأعداء، إذا أوصدت الباب في وجه عاشق؟
الليلُ ينسلُّ ضائعا، اسحبْ رتاجَ الباب.
أنا لست مصحوباً بقوةٍ من الجند:

ليكنِ الحبُّ القاسي بعيداً من هنا، فأنا أودُّ أن أكون وحدي،
وأنا لا أقوى على إجباره بتركي، وإن أردت،
إن جسمي هذا هو أوّلُ ما أحتاج التخلّي عنه.
لذا فالحبُّ معي هنا، سكرانُ قليلا،
والشعرُ مدهون بالزيت وإكليل الزهر ينزلقُ أكثرَ فأكثر

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤١
من يخشى تلك القوة؟ ومن لا يمضي إلى لقائها؟
الليلُ ينسلُّ ضائعا، اسحب رتاجَ الباب.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤١
أما زلتَ عنيداً؟ أو نائماً وأُذناك – عليك اللعنة! –
ترفضان أن تنقلَ الرياحُ كلماتِ الحب؟
ومع ذلك أتذكّر حين تمنيتُ أن أروغ عنك،
فبقيتَ ساهراً حتى طلعت نجومُ منتصفِ الليل.
لعلك حظيت بحبيبةٍ تنام معك،
يا حسرة! أنت أوفرُ حظاً مني في المخزون.
لو أن لي ذلك الحظّ، لأحببت أن ألبسَ أغلالَك!
الليلُ ينسلُّ ضائعا؛ اسحبْ رتاجَ الباب.
أأنا مخدوعٌ أم أن المفصَلات تصرُّ،
وهل دُفع البابُ حتى يُصدرَ تلك الأنّةَ الواشية؟
لا، إنني واهم: الريحُ الناشطةُ تصطدمُ به.
يا خيبتي! كم نسفت الريحُ أملي بعيدا.
يا بورياس، (١) إن تتذكرْ أوريثيا (٢) المغتصبة،
فاخترقْ هذه المداخلَ الصمّاء بزئيرِ زوبعتِك.
المدينة كلُّها ساكنة الآن، منقبضة ومُندّاة
والليلُ ينسلُّ ضائعا؛ اسحبْ رتاجَ الباب

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٢
أو أنني بكلِّ ما لديَّ سأشن غارة على قصرِك المغرور
بنفسي وبسيفي الصارم ولهبِ شعلتي.

وفيد

الصفحة : ٢٠

أوفيد

الصفحة : ٢١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٢

الليلُ والحبُّ والخمرُ لا تُلحُّ على الصبر،
الخمرُ والحبُّ متحرران من الخوف، والليلُ من العار.
لقد حاولت – حاولت كلَّ شيء – لكنْ لم أستطعْ تحريكَك
بتوسلاتي أو بتهديداتي؛ البابُ أقلُّ قسوةً منك
أنتَ لست أهلاً لحراسةِ سيدةٍ جميلة،
إنَّ ما تستحقُّه هو أن تكون حارسَ سجن.
وها هي نجمةُ الصباح تنهضُ فوق المحاورِ المكسوَّةِ بالصقيع،(١)
والديكُ يدعو الرجالَ لكدحِ يومٍ جديد.
وهنا من خصلات شعري الحزينةِ سأتناولُ إكليلَ أزهاري؛
وَلأدعْه منطرحاً طوالَ الليلِ على العتبةِ القاسية؛
ستراه حبيبتي مرمياً هناك في الصباح،
شاهداً على أني قضيت الوقت كلَّه مريضاً جدا.
وداعاً، لما أنت أهل له. لقد أدَّيتُ ما عليَّ من إجلال:
وذلك العنيدُ – والعاشقُ الذي سد البابَ دونه – ياله من خادمٍ بغيض.
والوداع كذلك، لدرجة الصوَّان ودعائمِ البابِ القاسية
ولبابِ البلوطِ الصلبِ، ولك بذاتِك، وأنت عبد مثله.

١
الإشارة إلى الشمس القادمة في عربة الفجر.

أوفيد
الصفحة : ٢١

أوفيد
الصفحة : ٢٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٣

– ٧ –

كبلْني بالأصفاد، يا صديق، إن يكنْ أيُّ صديق هنا،
(يداي َ تستحقَّانها) حتى تزولَ نوبةُ جنوني.
جنوني دفع يديَّ الطائشتين ضدَّ خليلتي،
يداي المسعورتان آذتاها ومحبوبتي غارقة بالدموع؛
كنتُ مجنوناً إلى حد أن لا أتردد
حتى عن إهانةِ والديَّ العزيزين

أو رشقِ الآلهةِ المقدسةِ بحرابٍ همجية

حسناً، ذلكم أجاكس (١) سيدُ الترس بطبقاته السبع،
استولى على القطعان وفوق الحقول الواسعة طرحها ميتة؛
وأُرستيس،(٢) المدافعُ الشِّرِّيْرُ عن أبيه،
راح يبحث عن قوس من أجل معركته مع ربَّات الانتقام.
وهكذا، أكان بوسعي حقاً أن أنتزعَ تلك الخصلات الأنيقة؟
ومع ذلك صار الشعرُ المنفوشُ من سيماءِ خليلتي.
جميلة حقا – تبدو مثل أطلانطا(٣)

١
Ajax جن جنونه حين لم يكافئوه بأسلحة أخيل.
٢
Orestes ابن آغاممنون ملك الأثينيين، قتل أمه كليتيمنيسترا انتقاماً لأبيه.
٣
صيادة سريعة كانت تتحدى خاطبيها بالسباق، وقد سبقها هيبومينيس حين توقفت لالتقاط ثلاث تفاحات ذهبية كان قد رماها في طريقها.

أوفيد
الصفحة : ٢٢

أوفيد
الصفحة : ٢٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٤
وهي خارجة تصطاد على تلال أركاديا
أو أرْياندي(١) وهي تبكي عندما تدفعُ الريحُ الهوجاء
ثيسيوس (٢) الغادرَ ووعوده إلى البحر
أو كساندرا (٣) (باستثناء ياقة الكاهنة المقدسة)
وهي راكعة على ركبتِها في هيكلِ مينيرفا الطاهرة.

كلٌّ واحدٍ يدعوني "متوحش مجنون".
وهي لم تقلْ أيَّ كلمة: لسانُها انحبس من الخوف.
لكنَّ نظراتها الصامتة كانت تشي بلومها الحزين؛
وبلا كلام، أوقفتني شاعراً بالذنب دامعَ العين.
أتمنى لو أنَّ ذراعيَّ سقطا من كتفيَّ،
كان بإمكاني أن أدخر ذلك الجزء مني لأمرٍ مفيد.
لقد استعملتُ قوتي بجنونٍ وبؤتُ بخسارتي ذاتي
ولم تكسب شجاعتي سوى المعاملةِ القاسية.
أيتها الأيدي، أنت لستِ لي، أنتِ يا وسيلة الجريمةِ والقتل؛
أنت انتهكت المقدسات: فالبسي هذه القيود.
كنتُ أتألَّمُ حين أضربُ أذلَّ مواطنٍ في روما:
فهل سيكون لي حقٌّ أعظمُ على حبيبتي؟

١
(١ – ٢) أرياندي بنت ماينوس ملك كريت، وعدها ثيسيوس أمير أثينا بالزواج بعد أن ساعدته بالخروج من المتاهة، لكنه سافر وتناساها.
٣

بنت بيريام ملك طروادة، كانت كاهنة تتنبأ، وإن لم يكن أحد يصدقها. والكهانة حمتها من بطش الأثينيين بعد دمار طروادة.

أوفيد

الصفحة : ٢٣

أوفيد

الصفحة : ٢٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٥

إن جريمةَ ديوميدي أورثتِ المثلَ الأسوأ:(١)
هو أوّلُ من ضربَ إلهةً، وأنا الثانـي.
كان ذنبُه أقلَّ؛ أنا آذيت الفتاةَ التي أعبدها؛
وكان ديوميدي مغتاظاً، ضدَّ عدوِّه.

تعال، أيها المنتصر، قُمْ بمسيرة انتصارك الرائع؛
ضعْ أكاليلَ الغارِ على شعرك، أوْفِ بنَذْرِك،
مع حشود بجانبِ مركبتِك وكلُّهم يهتفون:
"حيُّوا البطلَ الشجاع – انتصر على فتاةٍ اليوم".

ضعْها في المقدمةِ، أسيرةً حزينة وشعرُها منفوش
وهي شاحبةٌ تماما باستثناءِ الكدماتِ على وجهها.
وكان ينبغي على شفتيَّ أن تُحدثا تلك الكدمات؛

كان على عضَّات الحبِّ أن تترك ذلك الأثر.

آه، لو أنني اندفعت غاضباً مثل سيلٍ طاغ،
وجعلني هياجي، وهو أعمى تماما، أدرك ضحيتي،
فإن صرخةً مفزعةً كانت كافيةً بالتأكيد،
وتهديدات هادرة بلا إفراط شديد ذلك اليوم.

١
بطل إغريقي في حرب طروادة، وقد جرح أفروديت (فينوس) لأنها كانت تقاتل في صفوف الطرواديين.

أوفيد
الصفحة : ٢٤

أوفيد
الصفحة : ٢٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٦
كنت قادراً على تمزيقِ ثيابها من الأعلى حتى الوسط
لأُشعرها بالعار – وقد منعني زنَّارُها من الاستمرار.

وبدلاً من ذلك، جرحت جبينَها، فيالي َمن وحش
واستعملت أظفاري لأخدشَ وجهها الرقيق.
وقد وقفتْ ذاهلةً، وامتقعت ملامحها وغاض منها الدم،
كالمرمرِ المقتلعِ من تلالِ الإغريق.

رأيتُها تفقد الحسَّ وتُصابُ بإغماء، وجسدُها يرتعش،
كالحَوْرِ الميَّاس يهتزُّ عندما تهب عليه أنسام لطيفة،
أوحفيفِ القصبِ النحيلِ في نسيمٍ عليل،
أو الأمواجِ المتجعدةِ حين تنزلق عليها الرياحُ الدافئة وتمضي.
ودموعُها تنهمر على وجنتيها بانحدار طويل،
كما يقطر الماءُ من ركامٍ ثلج.
عندئذ تفجرتْ في داخلي أولى مشاعرِ الإحساسِ بالذنب؛
إنه دمي الذي كان يجري في كلِّ دمعة.
ثلاثَ مرات حاولت أن أركعَ وألتمسَ منها المغفرة؛
وثلاثَ مراتٍ دفعتْ يدي بعيداً في خوف.

يا غاليتي، الانتقام الجميلُ سيخفف الألمَ المبرح:
لا تنتظري، استعملي أظفارك واخمشي وجهي؛

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٧
عيناي وشعري، لا توفريها، ولا تبدي أيَّ رحمة؛
الغضبُ يساعد أضعف الأيدي في مثل هذه الحال؛
أو رتبي شعرك جيدا وأعيديه إلى موضعه،
وهكذا لا يمكن أن يبقى من آثار جريمتي أيُّ شيء.

أوفيد

الصفحة : ٢٥

أوفيد

الصفحة : ٢٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٨

- ٨ -

هناك عجوز شمطاء، عجوز شمطاء والاسم دِبْساس،
إنها مومس، لذا أَنصِتْ إذا أحببتَ أن تعرف.
اسمُها يُعبِّرُ عن نفسها(١) – فهي لا تصحو أبدا
بما يكفي لترى توهُّجَ الفجرِ الوردي.
هي تعرف فنونَ السحر، تعازيمَ سيرسي(٢)
براعتُها تُعيدُ الأنهارَ الكبرى إلى منبعها؛
جريانَ الأفراس المتزاوجة وخلائطَ الأعشاب،
والعجلَةُ الدائرة، هذه جميعاً تعرف قوتَها المؤذية.
بأمرها تتراكمُ الغيومُ عبرَ الأجواء
وبأمرها يشرقُ النهارُ صاحيا في السماء
رأيت النجوم تقطر دماً، إن أمكنك أن تصدقني،
وعلى وجه القمر الجميل صبغة دموية.
تبدِّلُ شكلَها ليلاً؛ وأظن أنها تطير

بجسمها القديم المغطَّى بالرِّيش عبر الظلام؛
أظن، وهكذا يقال؛ وهناك بؤبؤان اثنان(٣)
يلتمعان برقاً والومضات تندفع كالسهم من العينين المزدوجتين.
من الأجداثِ القديمة تستدعي الأجيالَ الغابرة

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٥
وتشقُّ الأرضَ الصُّلبةَ بقوةِ السحر.

١
Dipsas تعني العطش.
٢
Circe ربة وساحرة، وهي ابنة الشمس.
٣
العين ذات البؤبؤ المزدوج دلالة على الشر.

أوفيد
الصفحة : ٢٦

أوفيد
الصفحة : ٢٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٤٩
هذه الشمطاءُ اعتزمت أن تنتهك قدسيةَ الزواج؛
ولديها مخزون وافر من البلاغة المشؤومة.
المصادفةُ جعلتني أسترقُ السمعَ إلى تعليماتِها الطويلة
(وكنت متخفِّياً وراء الباب المزدوج)
>البارحةَ، يا عزيزتي، شابٌّ غنيٌّ رآكِ تَسرِّين القلب؛
توقَّفَ وحدَّقَ إليك بنظرة طويلة.
ولماذا لا يُسَرُّ؟ أنت جميلةٌ – ولا امرأةَ أجملَ منك؛
من المؤسف أن الأشياءَ التي تلبسينها تحطُّ من قيمتك.
جمالكُ لا نظيرَ له، وكم أودُّ أن يضاهيه حظُّك؛
ويومَ تكونين غنية، لن أكونَ أنا فقيرة.
آمالكُ أضرَّ بِها مارس المعارض
وقد مضى مارس الآن، ومكانُ فينوس آمن.
تصوَّري كم يساعدُ مجيئُها. إن عاشقاً ثريَّاً
يريدك؛ وهو توَّاق لتسديدِ ما تحتاجين من مال.
طلعتُهُ الجذابةُ وطلعتُك أيضا ستحتملان المقارنة،
وإذا لم يعمدْ إلى شرائك، فإنه لا بدَّ أن يشترى.
إنها تتورد! الخجلُ يناسبُ البشرةَ البيضاء،
إن كان زائفاً فهو هدية، وإن كان صادقاً فهو عائق.
وستبقين عينيك مركزتين على حجرِك باحتشام
وليكن احترامُك مناسباً لما يجلب واحدهم لك

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٠
ربما في عهدِ تاتيوس رفَضَتِ السابينات(١)
وهنَّ في أسمالٍ باليةٍ أكثرَ من رجلٍ بازدراء؛
واليومَ يُظهرُ مارس حماستَه في حروبٍ خارجية؛
إنه عهدُ فينوس الآن في مدينة ابنها.

١
تاتيوس شخصية أسطورية يقال إنه حكم روما بالاشتراك مع رومولوس، بعد اغتصاب السابينات، والسابين شعب قوي عاش في وسط إيطاليا.

أوفيد
الصفحة : ٢٧

أوفيد
الصفحة : ٢٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٠

الصبايا الجميلات يمرحن. أهي طاهرة؟ حسنا، لا أحد سألها.
هي تسأل نفسها، ما لم تكن سيئةَ التربيةِ جداً.
إن سيدةً كهلةً أيضا وجبينُها مجعَّد – هُزِّيها:
ومن التجاعيد يمكن أن يتساقط كثيرٌ من سوءِ الحظ.
بنِلوبي استعملت القوسَ لتختبر خاطبيها،
لتثبتَ براعتَهم بتلك القوسِ الصلبة العظيمة.
الوقت المجنح ينسلُّ هارباً في السر ويخدعنا،
والفصولُ تمضي وهي تعدو مبتعدة بسرعة.
العملةُ تلمع بالاستعمال، والثوبُ الرائع يطلب من يلبسه،
والأبنية المهجورة تتفسخ من الإهمال
الجمالُ يحتاج إلى استعمال ويذوي بلا حبيب،

وليس لواحد أو اثنين التأثير الكافي.
مع وفرة الغنائمِ يكون الضمانُ أكبرَ – شعورُ الاستياء أقل؛
والقطعانُ الوافرة تتيح للذئابِ أن تختار فريسةً ممتازة.
انظري، ماذا يعطيك ذلك الشاعرُ سوى بضعة أبياتٍ جديدة؟

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥١
من العاشق ستنالين آلاف الأشياء.

أوفيد
الصفحة : ٢٨

أوفيد
الصفحة : ٢٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥١
إلهُ الشاعرِ ذاته وهو في عباءته الذهبية
ينكبُّ على قيثارته المذهبة يداعب أوتارها الشجية.
قدِّري من يعطي أكثرَ من هوميروس العظيم؛

صدِّقيني، إن العطاءَ فنٌّ لطيف كذلك.
ولاتزدري بعبدٍ اشتري حريتَه؛
إن القدم المبيضة لا يمكن أن تعني قلباً مسودا. (١)
لا تسمحي لحفلاتِ العربدة في البيوت الفخمة بأن تخدعك؛
فهو فقير، سحقاً له ولدمه الأزرق أيضا.
سوف يلتمس ليلة بلا مقابل؛ وهو وسيمٌ جدا،
لابدَّ أن يدفع له صديقُه، وهو سيدفع لك بعد ذلك.
ابقي سعرك منخفضاً حتى يكون الفخ جاهزاً، في حالة التهرب،
وحين تمسكين بهم، اشويهم كما يطيب لك.
لا ضرر إن كان الحب كذبة؛ دعيه يظن أنك تحبينه
وكوني حريصة جداً أن لا يكون حبك بلا أجر.
ارفضي ليلةً في أغلب الأحيان: تظاهري بوجع الرأس،
أو أن عذرك سيكون: إنه يوم إيزيس.(٢)

١
كانوا يدهنون قدم العبد المعروض للبيع بالحوار.
٢
إلهة الأمومة والخصب عند قدماء المصريين، وهو سبب متكرر في المرثاة حين يدعي العاشق المرض.

أوفيد
الصفحة : ٢٩

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٢
ثم استرديه قبل أن يعتادَ على المرض والحب،
وينصرف بعيداً بسبب الصدودِ الغالب.
وليكن بابُك أصمَّ للطلباتِ ولكنه مُزيَّتٌ للهدايا؛
ينبغي لفتاكِ أن يسمع الصوت الخارجي في الداخل.
أهو مجروح؟ ليكن غاضباً، وليظهر أنه مجروح:
إن اتهاماته ستختفي أمام اتهامك المعاكس.
ولكن إياك أن تعطي وقتاً طويلاً للغضب؛
الغضب الذي يدوم طويلا يؤدِّي إلى العداوة.
وفضلا عن ذلك، عليك أن تتعلمي البكاء وفق الطلب،
وأن تبللي وجنتيك بدموعِ الغيرة.
أَتَغشِّين؟ احلفي كذباً ولا تخافي أبداً. إن فينوس
تُقرُّ بالألوهية الصماء كرمى لألاعيب الحب.
دبري وصيفة سيدة وخادما مدربين جيدا
ليعلماه أي الأشياء أفضل ليشتريها لك،
واطلبي لهما نفحات (١) صغيرة؛ نفحات صغيرة من كثيرين
هي القش الذي يشكل كومة كبيرة سرعان ما تتحقق.

اجعلي أختك وأمك والممرضة ينتفن(٢) حبيبك؛

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٣
النهب سريع إذ تمتد أيد عديدة لتأخذ.

١

Tips: بقشيش.

٢

في الأصل: يجز الصوف، يسرق. وفي الكلام الدارج نقول: نتفت ريشه للدلالة على المعنى ذاته.

أوفيد

الصفحة : ٣٠

أوفيد

الصفحة : ٣١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٣

وحين لا تجدين سببا للحصول على هدية،

قولي إنه عيد ميلادك وأعدي الكعكة.

لا تدعي حبه يشعر بالأمان، بلا منافس؛

حاذري ذلك؛ إذا كان للحب أن يدوم فلا بد من المنافسة.

وهكذا دعيه يرى عنقك مغطى بالكدمات من علامات الحب

وآثار رجل على غطاء السرير.

وفوق ذلك كله، أريه هدايا شخص ما،

وإذا لم يكن لديك منها، فاسألي الطريق المقدس. (١)

وإذ تحصلين على الكثير، فما تزال هناك بعض الأشياء باقية

اطلبي قرضا – لكنك لن ترديه.

اجعلي لسانك قناعا للمعنى؛ اسحريه وآنيه:

العسل اللذيذ يخفي السم عميقا تحته.
إذا عملت ما تعلمته من الخبرة الطويلة
ولم تضع كلماتي كلها مع الريح العاصفة،
ستباركينني مراراً وتكراراً ما دمت حية،
وتدعين لعظامي أن تستقر مطمئنة عندما أموت.."
كانت كلماتها تجري متواصلة، عندما كشفني ظلي؛
ولم أستطع أن أبعد يدي عن رأسها الأبيض إلا بشق النفس،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٤
يالذلك الشعر القشي الأشعث، وتلك الوجنات الملأى بالتجاعيد،
وتلك العيون * المقرحة الحمراء كالخمر. عليك اللعنة
مع حاجتك في شيخوختك والشتاءات القاسية الطويلة،
لا سقف فوق رأسك والعطش لا نهاية له!

١
الطريق بين الفوروم والكابيتول، وفيه عديد من محلات الذهب والجواهر.

*
آثرت الجمع عوضاً عن المثنى في (الوجنتين والعينين) لأني رأيته أبلغ في التعبير عن الساحرة الشمطاء، وانسجاماً مع وصف الشاعر لعينيها في مطلع النشيد.

أوفيد
الصفحة : ٣١

أوفيد
الصفحة : ٣٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٥

– ٩ –

العشاق جنود، يا أتيكوس.(١) صدقني،
العشاق جنود، وكيوبيد لديه فيالقه.
السن المناسبة للقتال هي الرائعة في نظر فينوس؛
الرجال المسنون يعانون الخزي في الحب والخزي في الحرب.

القادة الشجعان يبحثون باهتمام عن جندي
والصبية الجميلة ستبحث بلهفة عن فتاها.
كلاهما يمضي الليل ساهرا، واقفاً على الأرض القاسية
وكل منهما حارس لحبيبته أو لقائده.

المسيرات الطويلة شغل الجندي: والعاشق
سيمضي إلى نهاية العالم وراء حبيبته.

سيجتاز عوائق الجبال الشاهقة والأنهار المرفودة بأمطار مضاعفة،
ويقطع طريقه جاهداً عبر جروف الثلج.
وفي وقت الإبحار لن يناشد الطقس الرديء،
أو ينتظر النجوم لتخبره متى يقلع مجذفا.

الجندي أو العاشق، من سواهما يكون مستعداً لمواجهة

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٦
المطر والجليد والثلج وبرد الليل؟
واحد يرسلونه ليتجسس على عدو خطر
واحد يبقي منافسه تحت نظره كأنه عدو.

١
من أصدقاء الشاعر.

أوفيد
الصفحة : ٣٢

أوفيد
الصفحة : ٣٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٦
حصار المدن أو عتبة الحبيبة القاسية،
وهما ينهكان قوتهما في أبراج الدفاع الأمامية أو لدى الأبواب.

إنهم غالبا ما يدفعون ليباغتوا عدوهم نائما،
وهو أعزل من الرتبة والرتل وهم مسلحون لذبحه.
هكذا سقط ريسوس الطراقي ولواؤه الجبار؛ (١)
وقد تخلت الجياد المأسورة عن سيدها ذلك اليوم.

وبطريقة مماثلة يستغل العشاق إغفاءة الزوج الخفيفة،
ويشنون هجومهم المسلح على الخصم النائم.

الجندي والعاشق البائس، ينحصر شغلهما
في إحباط الحراسة والتسلل من وراء الخفراء.
فينوس رهن المصادفة، ومارس غير موثوق، والمغلوبون يثورون،
وأولئك الذين حسبت أنهم لا يمكن أن يهزموا، سقطوا صرعى.

إن من يظن أن الحب مقرون بالكسل، فلتصرف تلك الفكرة عنك!

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٧
الحب للروح المندفعة التي تتحدى الأهوال.

١
أمير طراقيا Thrace الواقعة في شمال شرق مكدونيا، وكان حليف الطرواديين.

أوفيد
الصفحة : ٣٣

أوفيد
الصفحة : ٣٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٧

أخيل لم يحتمل نار اللوعة إذ فقد بريسيس – (١)
يا طرواديون، اغتنموا الفرصة واسحقوا جيش الإغريق الجبار!

حين انتهى هكتور من عناق أندروماكي ليقاتل،(٢)
ناولته زوجه خوذته ليحكم ربطها؛
وإذ رأى أغاممنون كاساندرا بشعرها الوحشي (٣)
يقال إن قلب ذلك القائد العظيم وثب عاليا.
ومارس كذلك وقع في شباك الحداد وعاناها؛
ولم تعرف السماء حكاية أكثر منها ذيوعا.

ولدت بلا جدوى، للفراغ غير مقيد بعمل،
أستلقي فاتر الهمة تماما والظل من فوقي.

صبية جميلة نخستني لتخرجني من عاداتي الراكدة
ودعتني إلى خيمتها لأثبت خدمتي.
لذا تراني الآن نشيطا، مقاتلاً ليلياً باسلا:
نعم، إذا لم تكن خاملاً ينبغي عليك أن تعشق.

١
أسيرة أحبها أخيل، لكن أغاممنون أخذها منه، فاعتزل القتال في خيمته.

٢

فراق هكتور لزوجته من المقاطع الشعرية الجميلة والمؤثرة في الإلياذة.

٣

كاسندرا ابنة بريام ملك طروادة، كانت كاهنة.

أوفيد

الصفحة : ٣٤

أوفيد

الصفحة : ٣٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٨

- ١٠ -

كنت مثل هيلين في السفينة الطروادية،(١)
خطفت من طروادة لتجعل الزوجين يتحاربان،
وكنت ليدا التي أغواها ذلك العاشق الماكر (٢)
وهو في هيئة تم بأجنحة من بياض؛
وكنت أميموني التي ضاعت في المروج العطشى،(٣)
وإبريقها متوازن فوق رأسها،
ومن أجلك خفت من الثور والنسر(٤)

ومن كل شيء صنعه الحب من "جوف".
وها أنذا اليوم بلا خوف؛ لقد شفيت من تلك الأوهام،
وعيناك لم تعودا تجتذبان عيني أبداً.

لماذا تغيرت؟ لأنك تطلبين هدايا –
لهذا لا يمكن أن تسريني كما كنت من قبل.
أحببتك روحاً وجسداً يوم كنت تلعبين بأمانة،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٩
لكن إساءتك شوهت جمالك الآن.

١
هيلين زوجة مينيلاوس التي خطفها باريس الطروادي وكانت السبب في حرب طروادة.
٢
ليدا التي تنكر لها جوبيتر بشكل طائر التم وأغواها.
٣
أميموني اغتصبها نبتون.
٤
الإشارة إلى تحولات جوبيتر (جوف) ليغوي معشوقاته.
والشاعر منذ بداية هذا النشيد كان يتصور ويخشى أن تكون حبيبته سهلة الإغواء والخطف مثل هؤلاء البطلات المشهورات.

أوفيد
الصفحة : ٣٥

أوفيد
الصفحة : ٣٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٥٩
الحب غلام عار؛ سنواته لم تلوث بعد
والافتقار إلى الثياب يشهد على براءته.
لماذا تطالبينه بالثمن، وهو ابن فينوس؟
وليس معه كيس دراهم ليخفي المال هناك.
هو لا يصلح للحرب الضارية، ولا أمه كذلك؛
لا ينبغي لآلهة لطيفة كهذه أن تتقاضى أجر الجنود.

المومس تتمسك بسعرها إزاء الجميع ليشتروا،
ويسعى الجسد، تحت الطلبات، للحصول على أجرها.
مع ذلك، فهي تكدس لعناتها على القواد الجشع:
إنها مجبرة على أن تفعل ما تفعلينه أنت بكل رغبة.
خذي مثال الحيوانات غير العاقلة:
من العار أن يكون للوحوش الضارية قلوب أرق منك!
البقرات لا تطلب من الثيران هدايا، ولا الأفراس من فحول الجياد،
ولن يجيء الكبش بهدية ليسحر نعجته.
المرأة وحدها فخورة بنهب فتاها،
تعرض جسدها في المزاد، ولياليها للاستئجار،
وهي تبيع ما يسر في الحالتين، ومايسعى إليه كلاهما،
وتحدد السعر الذي قدرته بملء رغبتها.
إن الحب الذي يمنح القرين مسرة مماثلة،

أوفيد
الصفحة : ٣٦

أوفيد
الصفحة : ٣٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٠
لماذا ينبغي على المرأة أن تبيعه والرجل يشتري؟
ولماذا ينبغي أن تكون تلك البهجة خسارة لي ومكسباً لك،
ما دام ذلك الرجل والمرأة مشتركين في الاتحاد؟
ليس عدلاً أن تشتري ثم تدلي بشهادة زور،
ولا لقاض أن يبسط راحة يده للتزييت؛(١)
عار على الألسنة المأجورة أن تدافع عن فقراء مدعى عليهم؛
حين تكتسب المحاكم ثروة، فذلك خزي شنيع.
من العار أن تزيدي الميراث من دخل الفراش،
وأن تفسدي الجمال بالعهر من أجل الأجرة.
الشكر مستحق للأشياء التي لا يدفع المرء من أجلها شيئا؛
ولا شكر حين تؤجر الأسرة بكل خسة.
المستأجر يدفع من أجل كل شيء، ذلك أمر مقرر،

وهو لن يبقى غارقاً في الدين من أجل خدمة انتهت.
لذا أوقفن، يا جميلات، فرض الأسعار على وصال الليل؛
لا خير أبداً يمكن أن يأتي من مكسب قذر.
تاربيا دفعت ثمناً باهظاً جداً من أجل حلقات أذرع السابينيين،(٢)
عندما سحقت تحت ركام الأسلحة.

١
كناية عن الرشوة، وهذا التعبير ما زال دارجاً بين الناس.
٢
تاربيا: خائنة رومانية، فتحت أبواب روما للسابينيين من أجل الحصول على حلقات أذرعهم، لكنهم راحوا يكدسون دروعهم فوقها حتى سحقت.

أوفيد
الصفحة : ٣٧

أوفيد
الصفحة : ٣٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦١

ألكمايون طعن بسيفه الرحم التي حملته،
انتقاما لسحر القلادة القاتلة.(١)
ولكن ليس عيبا أن تطلبي مكافآت من الأغنياء؛
أنت تطلبين – ولديهم من المال ما يكفي للدفع.
اقطفي العناقيد المتدلية، عندما تكون الدوالي حافلة؛
في وسع ألسينوس أن يجود بفاكهته. (٢)
عملة الفقير كلها لهفة وثقة وفائدة –
وهو يعطي ذلك كله لمن تملك قلبه.
إن موهبتي أن أتغنى بالحسان الجديرات بذلك؛
ومن أختارها منهن سيجعلها فني مشهورة.
الثياب تبلى والذهب والجواهر تتكسر؛
والشهرة التي يجيء بها الشعر ستبقى أبداً حية.
إنه لأمر حقير وبغيض أن يطلب منك ثمن – لا أن تعطي؛
لا – إذا طلبت، توقفي عن الإلحاح – وسأعطيك

١
ألكمايون: قتل أمه إريفيل لأنها أرسلت أباه أمفيراوس إلى مصرعه في حملة (سبعة ضد طيبة)، وذلك برشوة من بولينيسيز لقاء عقد ذهبي.
٢
ألسينوس:ملك فياكيا ، وكانت ثروة قصره وبستانه مضرب المثل..(في أوديسة هوميروس).

أوفيد
الصفحة : ٣٨

أوفيد

الصفحة : ٣٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٢

- ١١ -

نابي، أنت لست أية فتاة تخدم سيدة؛
أنت بارعة في تسريح الشعر المنفوش،
أنت معروفة بالخدمات المختلسة ليلا،
وداهية في إعطاء إشارات لا يلمحها البصر
وغالبا عندما كانت كورينا في حالة ارتياب (١)
حول قدومها إليَّ والمجازفة بالخروج،
أنت ألححت عليها أن تكون جريئة، وفي كثير من الأحيان
ألفيتك مسعفة وصادقة، حين تجنح الأشياء نحو الخطأ.
في هذا الصباح، كتبت هذه الأبيات. خذيها الآن
وناوليها إلى سيدتك. ولا تسمحي لنفسك
أن تتأخري وابذلي جهودك الطيبة.
وأنت ليس لك قلب فولاذي أو أوردة من صوان؛
أنت لست ريفية ساذجة، كما هو شأن الخدم؛ أنت فائقة الذكاء.
إني أعتقد جازما أن كيوبيد جرحك؛
فلتدافعي، بمساعدتك إياي، عن قضيتك ذاتها أيضا.

إذا كان لابد أن تسألك عن حالي، فقولي
إني أعيش نهاري بطوله راجياً أن تكون ليالي معها.

١

كورينا:حبيبة الشاعر، والدراسات لا تجزم فيما إذا كان الاسم حقيقياً أو مستعاراً.

أوفيد

الصفحة : ٣٩

أوفيد

الصفحة : ٤٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٣

وما تبقى ستراه منقوشاً بيدي المولعة.

الوقت يمضي مسرعاً. أعطيها الألواح عندما تكون خالية،

ولكن تأكدي أنها تقرأها بلهفة؛

وراقبي جبينها وعينيها وهي تقرأ:

النظرات الخرساء قادرة أن تخبرك كيف سيكون المستقبل.

وإذ تنتهي من القراءة، أخبريها

حالا أن تكتب إليَّ جواباً مطولا.

الشمع رائع وذلك الفراغ الغالب منظر كريه،

لذا دعيها ترص سطور الكتابة بإحكام؛
ولتصل الحروف حتى الهامش تماما
لتشد عيني وتجعل القراءة بطيئة –
ولكن لم تنهك الأصابع بكتابة مقالة طويلة،
عندما لا أحتاج إلا لكلمة واحدة "تعالأوفيد يكرس
هذه الخدمات الصادقة إليك، يا فينوس اللطيفة"–
مع أنها الآن ليست أكثر من مربعات من خشب الطقسوس.(١)

١
شجر دائم الخضرة من الفصيلة الصنوبرية، والإشارة إلى ألواح الكتابة.

أوفيد
الصفحة : ٤٠

أوفيد
الصفحة : ٤١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٤

- ١٢ -

ابكوا لخيبتي. الألواح عادت لتقول –
وكلها كآبة وشؤم – "لا مجال اليوم".
الطولع لها شأنها. حين عزمت على الذهاب
سترسلين مرة أخرى، اعبريها بمزيد من الحذر؛
احترسي، وانتبهي لقدمك وهي ترتفع بشكل لائق (١)
ابتعد عن ناظري، أيها التابوت الخشبي المضجر،
وليحزم الشمع بإحكام مع الكلمات التي تقول "لا خير"!
أنا واثق أنك جئت من زهرة الشوكران العالي، (٢)
مع قرص عسل سيِّئ السمعة من كورسيكا،(٣)
مدهونا بالزنجفر الكثيف ليجعلك أحمر،
لون هو في الأصل دموي بكل بساطة.
يا خشباً بلا فائدة، ينبغي أن تطرح على مفترق الدروب،
مهشما بعجلات المركبات العابرة.
نعم، والرجل الذي شكلك من شجرة
أنا موقن أن له يدين مسبلتين للتسليم.

١
الخطاب موجه للرسالة – الألواح.

٢
نبات يستخرج من ثمره سم قاتل، وبه قتل سقراط.
٣
سيئ السمعة لأنه مرّ.

أوفيد

الصفحة : ٤١

أوفيد

الصفحة : ٤٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٥

ومن تلك الشجرة تصنع مشنقة لموت بعض البائسين،
ومنها يصنع صليب مروع للتعذيب.
وهي تمنح البوم الصياح ظله الفاضح ليستريح،
وتعير الصقور والنسور أغصانها لبناء الأعشاش.
هل أنا – مجنون إلى هذا الحد – حتى أعهد بحبي إلى هذه،
لتحمل كلماتي الغالية التي تعني قبلة؟
ذلك الشمع كان ملائما أكثر لصك إطلاق سراح،
ليقرأه موظف متجهم الوجه ويعمل بما فيه.
ينبغي أن تلقى بين الدفاتر والبيانات الحسابية،
حيث يتفجع البخلاء على ثروتهم الضائعة بألم.
لذا وجدت معاملاتك مخادعة مثل اسمك؛
النفاق وصفة طبية لإثارة الإزعاج
أي اللعنات سأستدعي لتضاهي غيظي؟
العفن والفساد والدود ليفتت عمرك العتي!
ولعل شمعك كله يبلى تلفا،
ويبيض بشكل فاحش في حالة فساد قذر!

أوفيد

الصفحة : ٤٢

أوفيد

الصفحة : ٤٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٦

- ١٣ -

من مخدع زوجها الهرم عبر المحيط،(١)
تجيء بالنهار ذهبياً على عجلات من صقيع.
<لم العجلة يا ربة الفجر؟ انتظري – لعل طيور(٢)
ابنك ميمنون تمارس طقسها الدموي بالطريقة القديمة.
أحب أن أبقى الآن بين ذراعي حبيبتي
وأشعر الآن، لو أوتيت ذلك يوماً، أنها لصيقة بي.
النوم عميق الآن، والهواء بارد عليل، وغناء الطير

ينسكب من الحناجر النحيلة لحناً رقراقا.
لم تستعجلين هكذا عندما لا يرحب أحد بك؟
شدي بيديك الزهريتين أعنتك الندية.
راقبي النجوم جيداً قبل نشر الأشرعة
ولا تطوفي تائهة عبر العباب.

حين تأتين، لا بد أن ينهض عابرو السبيل
مهما كانوا متعبين، ويتنكب الجنود بالسلاح الرهيب من جديد.
وأنت التي تلقي النظرة الأولى على عمال المزارع
وهم محملون بالأدوات الثقيلة لحراثة السهل.

١
أورورا (ربة الفجر) تزوجت تيثونوس ومنحته الخلود لكنها نسيت أن تطلب له الشباب الدائم.
٢
ابنهما ميمنون قتله أخيل قبل طروادة، وكانت الطيور تخرج من رماده لتتعارك.

أوفيد
الصفحة : ٤٣

أوفيد
الصفحة : ٤٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٧

وأنت أول من يدعو الثيران البطيئة
مشدودة إلى نيرها المنحني لشق الأخاديد.
وأنت تخدعين أطفال المدارس بالنوم ثم تسلمينهم
إلى المعلمين لتتلقى أكفهم ضربات قاسية.

وأنت ترسلين الرجال إلى المحكمة ليوفوا بعهودهم،
وهم يكابدون خسائر هائلة من كلمة واحدة؛
ولا تحملين أي بهجة للقاضي أو المحامي،
فكلاهما مكره على النهوض لسماع قضايا جديدة؛
وأنت عندما تتعرض أعمال النسوة للتأجيل
تستدعين عمال الغزل لإنجاز الأعمال المؤجلة.

هذا كله أستطيع احتماله، ولكن من يستطيع يوماً أن يتحمل
أن ترغم الصبايا الحسان على النهوض مع الفجر،
باستثناء ذلك الشخص الذي لم يحظ بواحدة أبدا
فأمضى لياليه الطويلة متوحداً بائسا؟

لكم تمنيت لو أن الليل لم يكن قبلك،
وأن النجوم لا تلوذ بالفرار حين تصلين؛
وكم تمنيت لو أن الريح تحطم مركبتك
أو أن الغيوم المتراكمة تزل بجيادك وتدفعها للسقوط.

أوفيد

الصفحة : ٤٤

أوفيد

الصفحة : ٤٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٨

لم العجلة، أيتها المخلوقة الغيرى؟ إن ابنك ميمنون
كان أسود، وقلب أمه مصبوغ باللون ذاته.
أود لو أسمع تيثونوس يحكي قصتك: (١)
فليس في السماء من حكاية أشد خزيا.
أنت هربت منه لأنه تقدم في العمر،
وقد ارتفعت عجلاتك عنه مع أول شعاع.
ولكن إذا كانت ذراعاك تطوقان سيفالوس الحبيب
فإنك ستصرخين: "سيري بطيئة، سيري على مهل يا جياد الليل".
أينبغي على حبيبتي أن تقاسي لأن زوجك خرف؟
وهل كان زواجك من رجل عجوز إحدى خططي؟
تأملي أي نوم طويل منحت ربة القمر فتاها إنديميون، (٢)
مع أن جمالها ليس أقل روعة ولا بذرة واحدة.

إن جوف – من أجل متعته – ولكي لايراك هكذا كثيراً،
جعل الليل الواحد ليلين اثنين بلا نهار –
ذلك توبيخي الأخير؛ توردت خجلاً، ولا شك أنها سمعتني.
لكن النهار طلع بلا إبطاء بطريقته المعتادة.

١
كان تيثونوس إثيوبيا. وحين أدركته الشيخوخة وصار عاجزاً عن الحركة حبسته في غرفته ليهذي باستمرار. ولعل هذا النشيد من أجمل أساطير الليل والفجر.

٢
شاب جميل أحبته ربة القمر وأدخلته في نوم أبدي لتزوره عندما تشاء.

أوفيد
الصفحة : ٤٥

أوفيد
الصفحة : ٤٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٦٩

"توقفي عن صبغ شعرك". كم مرة قلت لك ذلك.
والآن ليس لك ما تصبغينه وأنت في حالة مخزية.
ولكن لو تركته على حاله، فلا شيء أغزر منه،
كان ينسدل منحدرا حتى يصل إلى ما تحت خصرك.
كان يشبه الحرير، رائعاً إلى حد أنك تخافين عليه من التسريح،
وناعماً كالشفوف التي ترتديها الصينيات الصفر،
أو كلعاب الشمس الذي يغزله عنكبوت بارع،
ونسيجه يتدلى من شعاع مرتفع في الجو.

لونه لم يكن أسود، ولم يكن ذهبيا؛
كان ذهبا موشى بالسواد، وإن لم يكن أيَّاً من اللونين،
مثل أرزة سامقة حين يقشر المرء لحاءها
في وديان آيدا المرتفعة، الحافلة بالماء.

كان مطواعاً ومناسباً لعدد لا يحصى
من التسريحات ولم يعطك أي سبب للانزعاج.
ولم يتلف أويتنتف بالأمشاط أو بدبابيس الشعر؛
والخادمة التي قامت بترتيبه كانت دائماً سالمة.
وغالباً ما راقبتها وهي تقوم بتسريحه، ولكن حبيبتي
لم تسحب يوماً دبوساً ليسبب لها الأذى.

أوفيد
الصفحة : ٤٦

أوفيد
الصفحة : ٤٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٠
وكنت غالباً ما تستلقين في الصباح وشعرك لا يزال طليقا
على الوسائد الأرجوانية وأنت مستندة إلى ذراعك.

وجميل أيضاً وهو كله منفوش، مثل باخوسية
تستلقي باسترخاء وضجر على المرج.
ولكن مع أن خصلاتك ناعمة ملساء وهفهافة،
كم تحملت من محن، وكم كانت مكابداتها قاسية!
ما أجمل صبرها وهي تواجه الحديد والنار
لتلتف حلقات لولبية صغيرة ومتباعدة جدا!
وصرخت: "جريمة، جريمة أن تحرقي تلك الخصلات!
اصفحي عنها يا غادة الحديد، إنها جميلة كما هي.
لا قسر ولا عنف! إنها ليست للحرق؛
وهذه الملاقط يمكن أن تتلقن درساً من شعرك".

تلك الخصلات الجميلة أتلفت، خصلات كم يتمنى
أبوللو وباخوس لو يدعيانها لنفسيهما؛
وأنا أقارنها بخصلات فينوس العارية
وهي تقطر، معروضة في صورة مشهورة.
لماذا تشكين من تلف شعرك وقد عاملته بكل هذا السوء؟
ولماذا تلقين بالمرآة، يا بلهاء، حزينة إلى هذا الحد؟
ولا خير في أن تحدقي بالعينين اللتين اعتدت النظر بهما؛

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧١

يجب أن تنسي نفسك إذا أردت أن تكوني مسرورة.

أوفيد

الصفحة : ٤٧

أوفيد

الصفحة : ٤٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧١

أنت لم تُصَبي بأذى سحر منافسة؛

ولا من ساحرة غادرة نقعتك في شرابها المخمر؛

ولامرض – لا سمحت السماء!– أصابك وآذاك؛

ولا من لسان غيور جعل هذه الخصلات الكثيفة خفيفة.

أنت صنعت الخسارة التي تعانينها، ويدك ذاتها هي المذنبة؛

وأنت التي قمت بوضع السم على رأسك.

اليوم سترسل إليك ألمانيا خصلات مأسورة؛

هدية أمة مغلوبة ستنقذ يومك.

وستتوردين خجلا – وما أكثر ذلك! – حين يبدي رجل إعجابه بها؛

وستقولين: "إن ما اشتريته هو الذي يجعلني محط إعجاب؛
إنه يشيد بمدح بعض بنات سيغامبري، بدلا مني،(١)
مع أني أدرك أن ذلك المجد كان من نصيبي يوما".
يا لهفتي. يدها ارتفعت لتخفي توردها –
يااللوجنات الجذابة– وكادت الدموع تنهمر.
شعرها المتساقط في حجرها، وهي تحدق فيه،
هدية، ويااللأسف، لا تستحق أن تكون هناك.
أكملي تزيين وجهك، وعقلك، كل شيء يمكن إصلاحه.

١
سيغامبري قبيلة ألمانية قاومت احتلال الرومان بقيادة دروسوس (١٢-١١) ق.م.

أوفيد
الصفحة : ٤٨

أوفيد
الصفحة : ٤٩

وسوف تديرين الرؤوس قريباً بشعرك النامي في البيت.
أيها الحسد المفترس، لماذا تراني مخطئا

طوال سنوات الكسل حتى تستدعي شعري
يعمل من ذكاء عاطل، وتشكو من أنني،
خلافاً لأسلافي، وأنا في عز شبابي الشامخ،
لن أنخرط في حياة الجندي الغبراء
أو أدرس التشريعات المسهبة والمنازعات
في جلسات المحاكم القانونية أو أحدد اختياري البغيض
في السياسة لألوث صوتي بالعهر؟
أهدافك دنيوية وأنا أسعى للشهرة الخالدة،
والعالم كله يترنم باسمي أبدا.

هوميروس سيحيا مادامت تيندوس قائمة (١)
وإيدا، وعبر الرمال الطروادية
يندفع نهر سيميوس السريع بتياره الجارف؛(٢)
وهيسيود سيعيش ما دام القمح(٣)
يتساقط تحت المنجل والأعناب تنمو في الكرمة.
وسيتألق كاليماخوس* في جميع أنحاء العالم،

١
تيندوس:جزيرة مقابل طروادة.إيدا: جبل يقع جنوب شرق طروادة.
٢
سيميوس: نهر في طروادة.
٣
هيسيود: شاعر تعليمي، بينما هوميروس شاعر ملحمي.

أوفيد
الصفحة : ٤٩

أوفيد

الصفحة : ٥٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٣

في الفن هو الأسمى، وفي العبقرية أقل روعة؛

وستكون مسرحيات سوفوكليس * آمنة من الأذى،

وسيبقى أراتوس* ما بقي الشمس والقمر؛

ويعيش ميناندير* ما دام الآباء يغضبون والخدم يخدعون،

القوادون لا يخجلون والبغايا يمارسن الفتنة في الشوارع.

فن إنيوسü الخشن وأسلوب أكسيوس* المتوهج

اسمان لا تخيب مكاسبهما إلى الأبد؛

وأي جيل لن يتحدث عن فارو* كذلك،

وسفينة جاسون(١) والجزة الذهبية؟

إن أشعار لوكريتيوس* الرائعة لن تموت أبداً

حتى ينتهي العالم يوماً ما بكارثة؛

الإنيادة والأناشيد الرعوية والزراعية ستقرأ

ما دامت روما لهذا العالم المقهور رأسه العظيم؛

ما دامت أسلحة كيوبيد الدائمة هي الشعلة والقوس

فإن الرجال سيعرفون أبياتك المصقولة يا تيبوللوس*؛

وبلدان الشرق والغرب تعرف شهرة غاللوس*

ويربطون مع غاللوس اسم حبيبته ليكوريس.

*

أسماء شعراء. إن إيراد هذا العدد الكبير يكشف عن ثقافة أوفيد الواسعة من ناحية ومن ناحية أخرى يهدف إلى إقصاء شعراء عصره وإغفالهم.

١

اسم السفينة (أرغو) التي استخدمها الأرغوويون (المغامرون) بقيادة جاسون للحصول على الجزة الذهبية. وقد آثرت ذكر (سفينة) للوضوح.

أوفيد

الصفحة : ٥٠

أوفيد

الصفحة : ٥١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٤

وهكذا، مع أن الصخور وسكك المحراث تبلى وتتفتت،
إنما ليس للموت سلطة على الشعر.
دع أبهة الملوك تفسح مجالاً للشعر
وجميع الذهب الذي تضمه ضفاف تاغوس.(١)
دع الأجلاف كالنفايات؛ وليجلب لي فيبوس
أقداحه مترعة من النبع المقدس،(٢)
سأضع الآس الذي يخاف الصقيع حول رأسي
وسأكون مقروءاً كثيراً جداً بين العشاق المتلهفين.

الحسد يقتات بالأحياء. وحين يموت الرجال
يستريح – ولكل شرفه الذي يستحق؛ وأنا كذلك
حين يزول اللهب الأخير الذي يلتهمني
سأبقى حيا وكل شيء في حالته المثلى سيستمر.

١
تاغوس: نهر في إسبانيا، والمنطقة حوله (تيجو) مشهورة بالذهب.
٢
في الأصل: نبع كاستالي في جبل البرناس بالقرب من دلفي، المقام المقدس لأبوللو.
– من الواضح أن هذا النشيد كان ختاماً جميلاً للكتاب الأول.

أوفيد
الصفحة : ٥١

أوفيد
الصفحة : ٥٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٥

الكتاب الثاني

أوفيد
الصفحة : ٥٢

أوفيد
الصفحة : ٥٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٧

- ١ -

وهذا ما كتبته أيضاً، أنا ابن سولمو المترعة بالجداول - أوفيد، شاعر غوايتي.

هذا ما أمر به الحب كذلك. فيا دعيات الحشمة، سحقاً لكن!
أغانيَّ الرقيقة لا تليق بأسماعكن، وأنا أقر بذلك.
لتقرأْني الفتيات اللائي يحطن أحبتهنَّ الأصفياء بود حميم والفتيان الأغرار الذين أصابهم العشق بسهمه الأول
كم أودُّ لو أن فتى ما، جرَّحه كيوبيد مثلي
سوف يدرك الوهج الذي يجعله رائعا
وبذهول يتساءل: أي جنيٍّ (١) علَّم هذا الشاعر
أن ينظم آلاء قلبه شعرا.

رحت بكل جرأة أروي حروب السماء والمردة
من ذوي مئات الأيدي – ولن تعوزني الكلمات –
وأنا أستدعي ثأر الأرض الرهيب، مراكماً فوق الأولمب
أوسا الشاهق وعلى منكبه بيليون بانحداره الشديد.
ها هي ذي سحب العاصفة تحت إمرتي، وجوف (٢) وبروقه في قبضتي،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٨
صاعقة كان في وسع جوف أن يقذفها ببراعة لينقذ سماءه
لكن حبيبتي أوصدت الباب بعنف. سقط جوف وبروقه من يدي،
واختفى جوف العظيم من ذاكرتي تماما.

١
في النص (جاسوس)، لكني آثرت كلمة (جني) لتنسجم مع التراث العربي، إذ كانوا يتصورون أن لكل شاعر جنيه أو شيطانه.
٢
جوبيتر.

أوفيد
الصفحة : ٥٣

أوفيد

الصفحة : ٥٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٨

اغفر لي يا جوف. إن أسلحتك لم تنفعني

كان لذلك الباب المدوّي تأثير أقوى من صاعقتك.

فلنعد يا أسلحتي الغالية إلى شعر الملاطفة.

كلمات التودد الناعمة تجعل الأبواب العنيدة تستلين.

الشعر ينزل القمر من عليائه وردياً كالدم

ويرد جياد الشمس على أعقابها

الشعر ينتزع أنياب الثعابين ويسحب سمها

ويعيد الأنهار تجري صعداً إلى منابعها

الأبواب تستسلم للشعر، والأقفال التي تحكم رتاجها

وحتى أقوى السنديان يخضع للشعر.

ماذ يفيدني أيٌّ من ابنَيْ أتريوس(١)؟

وأي نفع لي من أخيل بدرعه الشهيرة؟

١

هما أغاممنون ومينيلاوس، الأول ملك مايسينيه وقائد الإغريق في حرب طروادة، وأخوه زوج هيلين التي خطفها باريس الطروادي.

أوفيد
الصفحة : ٥٤

أوفيد
الصفحة : ٥٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٧٩
أو ذلك(١) الذي بدَّد سنوات في الحرب ومثلها في التيه
أو هكتور الذي جرجرته أفراس الإغريق في الميدان؟
ولكن أشِدْ بحسن الصبية الجميلة – وستأتي بذاتها
هي نفسها الجائزة لأنشودة الشاعر.
يالها من مكافأة رائعة! الوداع أيها الأبطال المغاوير!
لم ينلني منكم أي شكر يليق بي.
ويا صبايا، أَدِرْنَ وجوهكنَّ المليحة إلى قصائدي
إن الحب، الحب المتوردِّ خجلاً، يملي عليَّ أشعاري.

١

الإشارة إلى أوليس الذي أضاع عشى سنين في حرب طروادة وعشر سنين أخرى تائها في طريق العودة.

أوفيد

الصفحة : ٥٥

أوفيد

الصفحة : ٥٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٠

- ٢-

لحظة واحدة، من فضلك أيها الغلام، أنت(١)
يا مرافق سيدتنا الحسناء، هبني بضع كلمات في أذنك.
في رواق من الأعمدة المزينة ببنات داناوس، (٢)
رأيتها أمس وهي تتهادى قريبة مني.
أحببت نظراتها، وكتبت فوراً أملاً بلقاء
وردت بعصبية: "ذلك غير مسموح به".
وإذ سألت: لم لا؟ أبدت السبب
إنك تصاحب الفتاة بطريقة مملة جداً.

إذا كنت حارساً حكيماً، ستمتنع عن خلق الأعداء؛
إن خفت أحداً ما فإنك تريده ميتاً زائلاً.
زوجها أحمق كذلك. لماذا يزعج نفسه في الحراسة
عندما لا يخسر شيئاً في غياب الحارس؟
حسناً، دعه يواصل أسلوبه الجنوني في الحب
ويظن أن التعاويذ مهما كثرت فهي طاهرة وصادقة
قدم لها الهدية بنفسك وبحرية مختلسة
إن ما تهبه لها هكذا سترده إليك

١
آثرت كلمة (غلام) (على خصي) في الأصل انسجاماً مع السياق.
٢
معبد أبوللو في البالاتين (أحد تلال روما السبعة) وهو مزين بتماثيل بنات داناوس الخمسين. وقد بناه أغسطس وقدمه إلى إله الفن والطب (أبوللو) في ٢٨ ق..م.

أوفيد
الصفحة : ٥٦

أوفيد
الصفحة : ٥٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨١

كن شريكها في الجريمة – عبداً لسيدة وسيدها بعد ذلك؛
أأنت خائف من ذلك؟ لا بأس، تظاهر به.
وهي تقرأ رسالة موجزة، ادع أنها من أمها؛
ويأتي غريب، وسيكون صديقاً في الحال.
ستذهب لزيارة صديقة "مريضة" – وهي ليست كذلك؛
في رأيك هي معتلة؛ فلم تتضايق أكثر؟
وترجع متأخرة، لا ترهق نفسك بانتظارها خارج البيت؛
يمكنك أن تريح ذقنك على صدرك وتغط في النوم،
لا تسلْ عمَّا يمكن أن يحدث في معبد إيزيس،
أو في المسرح خائفاً من غلطة ما.
العائدات الجيدة لا تخيب أبداً شراكة تامة في جريمة –
وهل هناك أقل تعباً من أن تمسك لسانك؟ –

هو شعبي، يقلب البيت من دون عقاب؛ (١)
وهو قوي – الباقي وضيع شامت بعدوه.
ولتحجب الحقائق عن زوجها تستعمل التخيلات،
إن ما يناسبها وحدها سيناسبه كذلك؛
وإذ يكون متجهماً وعابساً ومندفعاً للشجار
وبعد ذلك سيفعل ما أرادت فتاته المتملقة.

١

هذا البيت والبيت التالي يبدوان غامضين، وإن كان الشاعر يتحدث فيهما عن الزوج وخلافه مع زوجته المخادعة.

أوفيد
الصفحة : ٥٧

أوفيد
الصفحة : ٥٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٢
ولكن معك أيضا ستدفعها إلى الخصام أحيانا،
فتدعوك متوحشا وأنت تختلق دمعة أو اثنتين.
ومن جانبك اتهمها بشيء ما مأمون الجواب؛
اتهمها زوراً، والصدق لن يبدو صادقا.

ستكسب الاحترام بهذه الطريقة، ضاعف مدخراتك؛
اسمع نصيحتي وستكون حراً عما قريب.
أنا متأكد أنك رأيت الأغلال حول أعناق الوشاة؛
إن السجن القذر جزاء الخيانة.

عبثا يمسك تانتالوس بالثمار، ويسعى للماء(١)
يغور الماء؛ هذا ما نال من كشف الأسرار.
حين تابع أرغوس حراسته قريباً جداً من آيو،
مات قبل أوانه، ولكنها تحيا في السماء.
رأيت رجلاً ورجلاه في السلاسل لإرغام
زوج ديوث على الاعتراف بعاره.(٢)
اللسان الشرير آذى اثنين – وقد أطلقته باستهتار –

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٣
الرجل كان محزوناً، والمرأة فقدت اسمها الفاضل.

١
تانتالوس: أفشى أسرار الآلهة فعوقب بانحسار الماء بعيداً عنه كلما حاول الشرب، وتراجع الثمار كلما حاول تناولها للأكل.
٢
الديوث: زوج المرأة الفاسقة برضاه.

أوفيد
الصفحة : ٥٨

أوفيد
الصفحة : ٥٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٣
لا زوج يرحب بالاتهامات أبدا،
صدقني، لا أحد يسره سماع ما يسيء.

وإذا كان فاتر الهمة، فإن فضيحتك لن تزعجه،
أو، إن كان محباً، فنشوزك سيجعله حزينا.

الزلة يصعب إثباتها، مع أنها واضحة كضوء النهار؛
والمرأة آمنة في عين قاضيها المتحيز.
وهو لن يثق بما يراه فعلاً، إذا هي أنكرته؛
وسيلوم بصره ويخص نفسه بالكذبة.
وإذا رأى دموع حبيبته، سينتحب وهو يحدث نفسه
ويقول: "سيدفع الثمن، ذلك الغلام المهذار".
ولماذا نتعارك والأمور ضدك؟ أنت ستضرب
وتجلد، وهي جالسة في حضن قاضيها.
نحن لسنا في سبيل الجريمة، ولم نتقابل لنخلط السموم،
وأيدينا لا تحمل سيوفاً ساطعة النصال.
إننا نستجدي الوسائل منك لنحب في أمان:
فأي شيء يمكن أن يكون أحن من صلاتنا؟

أوفيد
الصفحة : ٥٩

أوفيد
الصفحة : ٦٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٤

– ٣ –

يالك من حارس مسكين، أنت لست رجلاً ولا امرأة؛
ولست قادرا على إدراك مباهج الحب المتبادل.
إن أول من بتر رجولة الفتيان
ينبغي أن يتحمل بنفسه ضربة شفرته ذاتها.
وإذا غمر دفء الحب قلبك لأي فتاة
ستكون ميالاً للمساعدة وأول من يقوم بالمعروف.
وأنت لست فارسا ولم تولد لمعركة
ويدك ليست مهيأة لرمي حربة جندي.
دع ذلك للرجال، واطرح جانباً أملك بالرجولة؛
تقدير سيدتك هو المكان المناسب لك.
قدم لها الخدمة الصادقة، واستفد من رعايتها؛
أي خير يمكنك أن تقوم به من دون سيدتك؟
وهي فاتنة كذلك، وشبابها مناسب تماما لألاعيب الحب؛
ومن العار أن يفنى جمالها بالإهمال!
كان في إمكانها أن تخدعك، وإن كان متوقعاً أنك متعب؛
إن ما يريده اثنان لا بد أن يكون ذا تأثير.
ولكن السؤال هو أول شيء يليق بك أن تفعله.
نحن نسأل، وأنت تغتنم الفرصة؛ والأمر كله بين يديك.

أوفيد
الصفحة : ٦٠

أوفيد
الصفحة : ٦١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٥

- ٤ -

لا أجرؤ أن اعتذر عن تصرفاتي الأخلاقية البغيضة
أو أدافع عن أخطائي بحرب من الأكاذيب.
إني أعترف بذنوبي - إذا أمكن أن يأتي أي خير من الاعتراف - يا سيدتي، إني أعترف بها - وأنا مازلت أسيء.
أكره نفسي، لكني لا أقوى على فعل ما أكره
رغم محاولتي. كم يبدو العبء فادحا
أن أتوق لسفك الدم! وضبط النفس أحبطني،
إني أنجرف بعيداً كزوارق في أنهار مندفعة.
النظرات التي فتنت حبي ليس لها مثال معين؛
والعقول فيلق لأبقى محتجزاً في حبي.

لعل فتاة ستخفض عينيها باحتشام فأشتعل،
لقد أثبتت تلك النظرات الخجلى وقوعي في الشرك.

أو إن كانت أنيقة فقد أسرتني؛ إنها ليست فلاحة –
وهي مفعمة بالحيوية، كما أرجو، بين أغطية السرير؛
أو إن كانت متجهمة وتقلد السابينيات الصارمات،
فسوف تستسلم بلا ريب، رغم تماديها في الخداع.

وهي مثقفة، وهذه المهارات النادرة سارة؛

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٦

أو فجة إذن بساطتها مبهجة.

أوفيد
الصفحة : ٦١

أوفيد
الصفحة : ٦٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٦
وستقول: لو قارنتني بقصائد كاليماخوس
وهي خشنة – فأنا أحب أن تكون مثلي.

وهي ستنتقد قصائدي والشاعر،
وسأعانق تلك الناقدة بسعادة؛
ومشيتها لدنة، وأنا أحب ذلك؛ أو هي صخرية،
في مقدور الرجل أن يلمس الصخرة فتغدو لدنة.
هي مغنية رائعة، ذواقة فن تماما؛
وكم أود وهي تغني، لو أختطف قبلة.
وتداعب الأوتار الشجية بأنامل بارعة؛
فمن يقوى على مقاومة السقوط في حب يدين كهاتين؟

الفتاة الأخرى التي أحبها راقصة باليه
تنفتل كالمغزل وتدور على قدم واحدة بفن مقدس؛
لا تتحدث عني، فأنا عالق بالصنارة دائما،
ولكن حتى هيبوليتوس سيكون خليعا.(١)

الفتاة الطويلة كما في أزمنة الأبطال

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٧
تستطيع أن تستلقي في السرير من رأسه حتى أدناه.
والقصيرة أيضا رائعة؛ هما كلتاهما لغوايتي؛
فالطويلة والقصيرة كلتاهما لائقتان بعين العاشق.

١
كان مثال العفة، وقد عمل في خدمة الصيادة العذراء أرتيميس (ديانا).

أوفيد
الصفحة : ٦٢

أوفيد
الصفحة : ٦٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٧

هي زرية الملابس – وأنا أحلم بما يناسبها أكثر.
وهي متأنقة لتقتل – ومهرها في حالة عرض.
أنا مغرم بالشقراوات، وأنا مغرم بالفتيات السمراوات
والجمال الداكن يفتن بالطريقة ذاتها.
إذا تدلى الشعر الحالك منحدراً على كتف ثلجي البياض،
فإن خصلاتها الفاحمة كانت مجد ليدا المتوج(١)

أو إذا كانت ذهبية، فإن أورورا مفتونة بالزعفران؛
وحبي يتكيف مع كل قصة قديمة.
الصبا يغريني. وهذا ما تفعله السنوات الأنضج. والشباب أجمل،
مع أن طرق النسوة الخبيرات توقعني في العبودية.
نعم، كل فتاة ذات شأن في مدينة روما العظيمة،
وحبي مرشح للفوز بهن جميعا.

١
جعل الشاعر ليدا سمراء للمقارنة مع أورورا (ربة الفجر).

أوفيد
الصفحة : ٦٣

أوفيد
الصفحة : ٦٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٨

- ٥ -

لا حب يستحق كل هذا العناء – بُعْدَاً لك يا كيوبيد الوحشي!
إذ تجعل الآن أغلى ابتهالي أن أموت.
أصلي كي أموت، متذكرا كم ألحقت بي من الأذى،
تولد الفتاة لتجعل حياتي شقاء.

لا رسالة سرية تجعل أفعالك مكشوفة،
ولا هدية مختلسة تثبت أنك ظلمتني.
أتمنى لو أن حججي أضعف من أن تكسب؛
أسفاه، يا أسفاه! لماذا قضيتي عسيرة إلى هذا الحد؟
سعيدٌ هو الرجلُ الذي يجرؤ أن يدافعَ عن محبوبتِه
ومن في وسعِ فتاتِه أن تقولَ له: "أنا بريئة".
والرجلُ الذي يبرهن على أنها مذنبة بانتصارٍ وحشي
قاسٍ كالفولاذِ وهو عازم على القَصَاصِ من نفسِه.

رأيت جناياتِك بنفسي البائسةِ عند الغداء؛
لم أكن سكرانَ، وإن ظننتِ أن النعاسَ غلبني.
رأيتكما تتحادثان معاً بحواجبكما بما يكفي مجلدات،
وبإيماءاتِ رأسِك كشفتِ كثيراً من المعاني.

أوفيد
الصفحة : ٦٤

أوفيد
الصفحة : ٦٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٨٩
عيناك على المائدةِ لم تكونا خرساويْنِ، يا حلوتي
ولا نقصَ في الرسائل المكتوبةِ في الخمر.
لقد دوَّنتُ عباراتٍ طافحةً بالمعاني الخفيَّة
وكلماتٍ صالحةً لإرسالِ إشاراتٍ رمزيَّة.

وها هو جمهور الضيوف يغادر المائدة،
ولم يبق إلا غلام أو اثنان أفقدهما السكر وعيهما.
عندئذ رأيت قبلاتك الفاضحة،
كانت قبلات لسان، وهي واضحة تماما.
وهي ليست مما تمنحه أخت لأخ شديد الاحتشام،
بل ما تغدقه معشوقة شهوانية على فتاها المشتاق؛
ليس مما تظن أن أبوللو قدمنح ديانا، (١)
ولكن ما يناله مارس من فينوس كلما أمكنه ذلك.(٢)

وصرخت: >ماذا تفعلين؟ وهذه المباهج لي، وأنت
توزعينها من حولك. سأتمسك بحقي الشرعي.
إنها لي ولك، لي ولك معا،
إنها فرصتنا – ولن يشاركنا طرف ثالث!

١
أبوللو وديانا: شقيقان توأمان.

٢
الإشارة إلى العلاقة الآثمة بين مارس وفينوس.

أوفيد
الصفحة : ٦٥

أوفيد
الصفحة : ٦٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٠
ذلك ما قلته، وأكثر كما أملى عليَّ غضبي،
وهي –على وجنتيها تورد الخجل
كالسماوات الوردية التي رسمتها قرينة تيثونوس(١)
أو العروس الفتية التي جاءت إلى عريسها.
كالورود مرتبة في تألقها بين الزنابق البيضاء،
أو القمر المسحور وهو يجري متثاقلاً في السماء،
أوكما لونت وجهها العاجي امرأة من ليديا،
مخافة أن تغدو شاحبة يوم تتسرب السنون الطويلة من حولها.
مثل هذه أو تلك توردت خجلاً، أو كواحدة أو أخرى
ولم تبد لعيني أبدا أجمل مما هي.

كانت نظراتها حزينة، ونظراتها الحزينة تليق بها؛
عيناها مكسوفتان ،وتنكيس عينيها يزيدها بهاء
وشعرها الأنيق، وددت لو أنتف ذلك الشعر الأملس الأنيق،
خطر لي أن أخدش وجهها الرقيق.

ثم أسبلت ذراعي الجريئين وأنا أحدق فيها.
إن حبيبتي آمنة سالمة بكل ما لديها من أسلحة.
وأنا، الهمجي المتوحش، تواضعت وتوسلت إليها
أن تمنحني بعض القبلات، ولا أرضى بأقل من ذلك.

١

المقصودة أورورا ربة الفجر.

أوفيد

الصفحة : ٦٦

أوفيد

الصفحة : ٦٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩١

ضحكت ومنحتني أشهى القبلات من صميم قلبها،
وبها يمكن أن تطيح بالصاعقة وشعبها الثلاث من يد جوف القوية. موجع أن نفكر أن ذلك الرفيق حاز مثل تلك الأشياء الطيبة!

وأتمنى ألا تكون من الصنف ذاته.

وفضلاً عن ذلك، فإنها كانت أروع مما علمتها بكثير،
وبدا لي أنها حازت قسطاً جديداً من المعرفة
لكم كانت ممتعته – وتلك علامة سيئة. كان لسانها فيها،
بالقبلات اللسان، وكان لساني يقبل كذلك.

ليس هذا كل ما يوجع. فأنا أحقد على القبلات الحرى،
ولكن ليست القبلات وحدها هي الحارة؛
فما من مكان غير السرير يمكنها أن تتعلمها؛
ولا بد أن معلما ما قد حصل على أجر ممتاز!

أوفيد
الصفحة : ٦٧

أوفيد
الصفحة : ٦٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٢

- ٦ -

ماتَ ببَّغاؤها، المقلِّدُ الطائر من جزر الإنديز،
تعالَينَ أيتها الطيور جمعاء، تعالَيْنَ واحتشدنَ حوله،
الْطمنَ الصدورَ بالأجنحة، وجَرِّحنَ الوجناتِ الرقيقة بالمخالب،
وكلكنَّ في مأتمها ملتزمات بالواجب؛
وكخصلات شعرِ النادبات نتفن ريشكَنَّ المنفوش
وعوِّضنْ بأجنحتِكنَّ عن صوتِ البوق.

لم تنتحبين يا فيلوميلا الحزينة، من أجل جريمة تيريوس؟(١)
لقد كان لأغنية المحنة القديمة تلك يومها المشهود.
وجهي ترنيمتك الجنائزية المتفجعة الآن إلى هذا الطائر النادر،
مات إتيس منذ عهد بعيد، وإن كان حزنك جليلا.
ليتفجع كل طائر يرفرف في الجو الوضاء،
وأنت صديقته بوجه خاص، أيتها القمرية.
حياتكما بكاملها جرت بانسجام معا،
وثابت حتى النهاية حبكما الوفي؛
ومثل إخلاص بيلاديس لأوريستيس،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٣
كذلك كانت الحمامة وفية لببغائها.(٢)

١

ملك طراقيا (شمال شرق مكدونيا) اغتصب فيلوميلا، أخت زوجته، وقطع لسانها ليخرسها. فانتقمت أختها بروكني بقتل إتيس ابنها منه وقدمت لحمه لأبيه. وقد تحولوا إلى طيور: تيرسيوس هدهد، بروكني سنونو، فيلوميلا عندليب.

٢

في النص الأصلي ذكر الحمام، وقد آثرت التغيير انسجاماً مع السياق.

أوفيد

الصفحة : ٦٨

أوفيد

الصفحة : ٦٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٣

ولكن ما نفع الإخلاص والألوان النادرة
وموهبة صوتك الرائعة في المحاكاة
والبهجة التي منحتها لحبيبتي منذ البداية؟
يا مجد الطيور، أيها الببغاء المسكين، أنت منطرح ميتا.

جناحاك قادران أن يعتما بريق الزمرد الزائل،
ومنقارك القرمزي مشوب بلون الزعفران.
ولا طير في العالم أبرع منك في المحاكاة –
وتستطيع لثغتك أن تكرر كل كلمة بدقة بالغة.

حسد القدر أودى بك. وأنت لم تخض معارك رهيبة؛
وحبك للسلام والهدوء والحديث كان شديدا.
ولكن انظر إلى السمان الذي يمضي حياته في العراك؛
لعل ذلك هو الذي يجعل حياته طويلة في الغالب.

أقل شيء كان يشبعك. إن حبك للحديث
لم يدع لك وقتاً لتحظى بوجبة شهية كافية.
طعامك جوزة، وبزور الخشخاش للنوم الخفيف،

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٤
والماء العادي كان يكفي حاجتك للشرب.

أوفيد
الصفحة : ٦٩

أوفيد
الصفحة : ٧٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٤
الحدأة التي تحوم لائبة، والنسر الجشع،
يواصلان العيش، والفجر الذي يأتي بالمطر،
والغراب يظل حياً، وكره منيرفا لطيرها المدلل
لا يزال بعد تسعة أجيال حيا.

لقد مات، ذلك المحاكي لأصواتنا البشرية
الببغاء، الهدية التي جاءت من نهاية العالم
إن أفضل أنواعها كان طمع القدر أول ما أمسك بها في كثير من الأحيان،
وأسوأها يمكن أن تمضي مرحلة شيخوختها الطويلة بكاملها.
لقد شهد ثيرسايتيز جنازة برتيسيلاوس، (١)
وانحنى إخوة هكتور على رماده.
ما نفع العهود التي أخذتها حبيبتي المسكينة المروعة؟
تلك العهود جرفتها الرياح العاصفة بعيداً إلى البحر.
إن الفجر السابع لم يستطع أن يجد فجراً يليه
وخيط المصير قد استنفد الآن.
لكن ذلك اللسان الواهي مازال بلا ارتباك؛
وصرخة موته كانت: >وداعاً يا كورينا<.

١
برتيسيلاوس: أول من قتل من الإغريق لدى نزوله على شاطيء طروادة. أما ثيرسايتيز فكان إغريقيا مشوها ومن المحاربين، كان ينتقد أخيل فقتله.

أوفيد
الصفحة : ٧٠

أوفيد
الصفحة : ٧١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٥
تحت تل قدسي، ينتصب بستان داكن (١)
من البلوط الأخضر؛ الأرض رطبة والعشب دائماً أخضر.
ثق بما يروى: إن للطيور الصالحة نعيمها هناك،
بينما الطيور الكريهة ممنوعة ولا ترى أبدا.

وهناك يطوف الطائر الفريد، الفينيق المعمر، (٢)
وطيور التم المسالمة، تبحث عن قوتها في مجال أجنبي واسع
هناك ينفش طاووس جونو ريشه الباهر (٣)
وتفتن الحمامة بالقبلات ذكرها الذي يهدل بحب.
وبين طيور البستان كان الببغاء محط ترحاب
وجميع الطيور الطيبة تتوجه لتسمع كلماته.
إن حظيرة ضريحه، حظيرة تليق بمكانته؛
فسحة حجرية صغيرة مزودة بسطرين اثنين:

"هذا الضريح يمكن أن يعلم سعادة سيدتي بي؛
فأنا أمتاز بفن الكلام، وهو ما لا تقوى عليه الطيور".

١

يوصف التل بأنه من Elysium وهو النعيم أو الفردوس في الأساطير القديمة، ولعل (قدسي) تعطي دلالة أوضح للقارىء العربي.

٢

الفينيق: طائر خرافي ذكره أوفيد في (التحولات) وهو يتجدد بصورة متكررة إذ يتحول إلى رماد ثم ينبعث حياً من رماده.

٣

طاووس جونو (أخت جوبيتر وزوجته) زينت ذيل الطاووس بعيون أرغوس المئة بعد قتله.

أوفيد

الصفحة : ٧١

أوفيد

الصفحة : ٧٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٦

– ٧ –

وهكذا عليَّ أنْ أواجه كل يوم تهماً جديدة!

إنني أفوز، لكن تلك المعارك جميعها مصدر إزعاج.

وإذا ما طفت بعيني ونحن نشهد مسرحية،
فسوف تختارين واحدة في الآلهة لتصيبك بالاضطراب.

إن فتاة جميلة تمنحني نظرة صامتة،
وأنت تدعين أن النظرة الصامتة تكشف إشاراتنا؛
أثني عليها – فتنشبين أظفارك الحادة في شعري الهزيل؛
وأعيبها – فتفترضين أن إثما ما تم إخفاؤه.

إذا بدوت نضراً، ستقولين إني بارد تجاهك؛
وإن كنت شاحباً، فأنا أموت شغفاً بحب أخرى.
أتمنى لو ارتكبت بالفعل ذنباً حتى أندم؛
وحين تستحق العقوبة فهي ليست شاقة إلى هذا الحد.

إنك باتهاماتك الوحشية وسرعة تصديقك
أنت بذاتك تنكرين أي شأن لغضبك.
الحمار طويل الأذنين، المخلوق البائس، ألا ترين
أن مشيته تغدو أبطأ كلما تمادوا في ضربه.
وها هي إهانة جديدة الآن. إنها خادمتك الذكية

أوفيد
الصفحة : ٧٢

أوفيد
الصفحة : ٧٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٧
كيباسيس، أساءت لسيدتها – معي!
وإن تشوش خيالي فلتمنحني السماء صحبة أفضل
أفضل من تلك الكلبة ذات الأصل الخسيس.

أي رجل حر يريد أن يشارك أَمَةً
في مباهج الحب، ويضع ذراعيه حول خصر موشوم بندوب السياط؟
وفضلاً عن ذلك، فإن واجبها أن ترتب شعرك،
وهي خدمة تستمتعين بها – يالها من مهارة وذوق.
ماذا! أنا أطلب وصال خادمتك المخلصة؟–
ثم أجد نفسي مرفوضاً ومغدوراً!
قسماً بفينوس وابنها المجنح
إنني لست مذنباً بالتهمة التي أثرتها.

أوفيد
الصفحة : ٧٣

أوفيد
الصفحة : ٧٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٨

- ٨ -

كيباسيس، ما أروع أسلوبك في ترتيب الشعر،
(ولا ينبغي إلا لإلهة أن ترتبي زينتها)،
لكم أنت رقيقة في مسراتنا الحلوة المختلسة
(تناسبين سيدتك جيداً، لكنك تناسبينني أفضل)،

أي ثرثار همس بأن مودتنا حميمة؟
وكيف سمعت كورينا بعلاقتنا الغرامية؟
هل ندت عني كلمة ما تدل على سرنا؟
وهل توردت خجلاً؟ لا، ليس أنا بالتأكيد.

وماذا لو قلت ذلك، وإذا وقع رجل في غرام
أمة مسترقة، وأراد امتحان رأسه؟
بريسيس أوقعت قلب أخيل في العبودية،(١)
وكاساندرا المسترقة ألهبت ملك الإغريق العظيم.(٢)
أخيل؟ أغاممنون؟ أنا لست أسمى منهما؛
ما يصح للملوك، كيف أعتبر أنه باطل لي؟
حسنا، حين حدقت إليك بعينين ناريتين،
تورد وجهك بخجل شديد، كما أمكنني أن أرى.

١
أسيرة طروادية أحبها أخيل.
٢
كانت من نصيب أغاممنون، ملك الإغريق وقائدهم في حرب طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٧٤

أوفيد
الصفحة : ٧٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٩٩
ولكنني، وفي الحال (هل تتذكرين؟)
أقسمت بفينوس الرائعة على إخلاصي.
أيتها الإلهة الجميلة الغالية، لتأمري ريح الجنوب الدافئة
تنسف تلك الكذبة البيضاء عبر بحر إيجة!

ومن أجل تلك اللفتة الكريمة، يا فتاتي السمراء الغالية،

امنحيني اليوم نفسك الحنون يا حلوتي والأجر مستحق.
اعترفي بالجميل، لا تقولي: لا، واصرفي مخاوفك بعيدا؛
يكفي أن تخدمي سيداً واحداً بود – ولا تستطيعين خدمة اثنين.

أوفيد
الصفحة : ٧٥

أوفيد
الصفحة : ٧٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٠

– ٩ أ –

كيوبيد، لا كلمات قادرة على أن تضاهي سخطي –

غلام يتسكع في قلبي والأيام تمر بجانبي.
لماذا تؤذيني، وأنا ما تخليت أبداً عن ذرائعك؟
لقد جرحتني في معسكري ذاته – قل لي لماذا.
لماذا تحرق شعلتك الأصدقاء، وتشلهم نبالك بالطعنات؟
وأنت ستنال مزيداً من المجد بقهر الأعداء.
يوم جرح أخيل بحربته تيليفوس،
أخذ يداويه بعد ذلك – هذا ما تقوله القصة.
والصيادون يطاردون، وإذ يمسكون بطريدتهم
يطلقونها، ويجدُّون دائماً في طلب الصيد.
ولكنك مهمل تماماً، ومتوانٍ جداً في خوضِ المقاومة.
وها نحن، جمهورَك المخلص، نتحمل عِبْأَك الأكبر.
الحبُّ خلاَّني جلداً وعظماً، ترى أي خير يرتجى
من تثليم السهام الشائكة على هيكل عظمي؟
ما أكثر الرجال وما أكثر النساء، المحرومين من الحب!
وهنا ينبغي أن تكسب انتصارك المجيد.
لو أن روما لم تدفع بقوتها لاكتساح العالم الرحب
لكانت اليوم مجموعة من الأكواخ المسقوفة بالقش.
قدماء الجنود ينسحبون ليخلوا إلى إجازاتهم القليلة،
والجياد التي أرهقها السباق ترسل بعيداً إلى المرعى.

أوفيد
الصفحة : ٧٦

أوفيد
الصفحة : ٧٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠١
المراكب تنتظر في الأحواض الجافة؛ والمجالدون(١)
يلقون سيوفهم جانبا ويطالبون بسيوف خشبية مأمونة.
وأنا كذلك خدمت طويلاً في حملات العشق
وقد حان الوقت للعيش في سلام وإنهاء معاركي.

- ٩ ب -

لو أن إلهاً قال لي: "عش بلا حب"،
لصليت طلبا للرحمة – فالنساء سم معسول.
نعم، أنا أعاني من الضجر، والنار تخفق واهنة،
ثم تهب دوامة غريبة من العذاب ضاربة من جديد.
كحصان مندفع براكبه الذي يشد بقوة
الشكيمة المزبدة، ليوقفه ، بلا جدوى،
أو عندما تهب ريح مفاجئة قبيل بلوغ اليابسة بقليل
وتجرف السفينة بعيداً، جاعلة ميناءها في عرض البحر.
وهكذا فأنا ألعوبة لنزوات كيوبيد المحفوفة بالأخطار؛
والحب يسدد من جديد سهامه المعروفة جيداً نحوي.
أطلق، يا غلام! ستجدني عارياً وبلا حماية؛
هنا مجال شجاعتك، وهنا تتجلى شهامتك.

١

المجالد: مصارع (من العبيد أو الأسرى) كان يقاتل حتى الموت في روما القديمة.

والسخرية اللاذعة واضحة في هذه الأبيات، وبخاصة أن الشاعر في منفاه.

أوفيد

الصفحة : ٧٧

أوفيد

الصفحة : ٧٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٢

وإليَّ تأوي سهامُك – وهي ذاتيةُ الحركة؛
ونادراً ما تعرف جعبتها أفضل مني.
أشفق على رجل يقضي الليل بطوله نائماً،
والعشاق ينامون نوماً خفيفاً بسعادة غامرة.
ياللأحمق! هل النوم إلا تقليد للموت البارد؟
إن الأقدار تمنح وقتاً طويلاً "للراقدين بسلام".
دع صوت الفتاة الساحر يغرر بي؛
فآمالي ستجلب لي البهجة على أية حال.

هي ستفتنني وستوبِّخني: وسأستمتع بها غالباً،
وغالباً ما أُدفَع بعيداً عن رؤيتها.
إن مزاجية مارس هي غلطتك يا كيوبيد،
فزوج أمك يشكل حروبه على غرارك.
أنت مستهتر، ولك أجنحة طائشة، لكنك أشد طيشا؛
وتمنح المسرات أو تضن بها، إن كلمتك لا تنم عن صدق.
ولكن لو سمعت ابتهالي، أنت وأمك.
تعال واسكن في قلبي كملك مظفر.
دع الصبايا، تلك القبيلة الشاردة، ينضممن إلى مملكتك،
وستعبد بفضل جنسهن كذلك.

أوفيد
الصفحة : ٧٨

أوفيد
الصفحة : ٧٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٣

- ١٠ -

ما من رجل يستطيع أن يحب امرأتين في آن معا،
أنت قلت لي ذلك، ياغراسينوس – أتذكر إنه أنت.(١)
تلك هي غلطتك لأني خدعت وأسرت بلا حماية؛
وتراني في حالة خزي – في حب اثنتين في وقت واحد.

وهما كلتاهما في مظهر حسن، أنيقتان ورائعتان؛
وأيهما أكثر بهاء، يصعب عليَّ أن أقول.
هذه أجمل، وهكذا هي الأخرى،
وكل منهما أشد جاذبية بطريقتها العذبة.
إني أترنح كيخت عندما تتصارع الرياح؛
هذا الحب، ذلك الحب، وأبقى ممزقاً بينهما.
لماذا تجعلين همومي المتواصلة مضاعفة، يافينوس؟
أليس في وسع فتاة واحدة أن تمنحني ما يكفي للقيام به؟
لماذا تعطي أوراق الغابة ماء البحر،
وتنثرين في السماء المكتظة مزيداً من النجوم؟

لكن هذا ليس في حال من السوء كمن يستلقي بلا حب.
فليهب الله أعدائي نزعة أخلاقية عالية؛
وليمنح الله أعدائي سريراً خالياً،
لينبطح هناك في وسطه وحيداً تماماً.

١
غراسينوس: صديق الشاعر.

أوفيد
الصفحة : ٧٩

أوفيد
الصفحة : ٨٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٤
أريد حباً وحشياً، ليحطم نومي الخفيف الكسول،
إن ثقلي ليس الوحيد الذي تحمله أغطية السرير.
ثم استعد للقتال ودع حبيبتي تدمرني،
إذا كانت واحدة قادرة على ذلك، وإلا سآخذ اثنتين.

أنا أهل لذلك؛ إنني نحيف، لكنني قوي؛
ربما أفتقر إلى الوزن، ولكن ليس للرجولة؛
واللهو هو الغذاء الذي يقوي العمل العظيم –
وما من فتاة خذلتها أبداً.

وغالبا ما أمضي ليلي منغمساً في الملذات،
ولا أزال لائقاً وقوياً حين يجيء الصباح.
ما أسعد الرجل الذي يموت وسط مبارزات الحب؛
فلتنعم السماء عليَّ أن أموت بالسبب ذاته!
ليتهيأ الجنود حتى تغدو صدورهم مشكوكة تماماً بالسهام،
ويشتروا المجد الخالد بدمائهم المتخثرة؛

ودع التجار في جشعهم يجوبون المحيط جيئة وذهابا،
ويتجرعونه بعيداً عن الشاطىء مع بضائعهم المغشوشة.

ليت موتي يجدني فاقد الوعي في اختمار الحب،
وأن ألفظ النفس الأخير في السرير وأنا في وسط أداء المهمة؛
ولعل بعض النادبين الباكين في جنازتي يعلقون:
>كان موتك منسجماً تماماً مع الحياة التي عشتها<.

أوفيد

الصفحة : ٨٠

أوفيد

الصفحة : ٨١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٥

تلك الصنوبرة التي علمت شرور السفر البحري لأول مرة،
قطعت من بيليون الشاهق في هضاب الإغريق، (١)
وهي تتحدى الجروف الصخرية المناوشة – وكم تتعجب الأمواج! –
وتأتي بالجزة الذهبية المشهورة.
أتمنى لو أن الأرغو غرقت، وابتلعتها الكارثة،(٢)
وغادر الرجال طرق البحر الطويلة في سلام!
كورينا تهيأت لمغادرة البيت الجميل وحجرة النوم الأثيرة،

وعلى تلك الطرق الغادرة تغامر راحلة.
كم من المخاوف ستجلب لي رياح الشرق والغرب
وكم من الرعب في الجنوب المنعش والشمال الجليدي!

هناك لا مدن ستثير إعجابهم، وهناك لا غابات –
لا شيء إلا البحر الظالم بانبساطه الأزرق ذاته.
وليس في العباب العميق من أصداف ولا حصوات ملونة؛
ومن أجل أولئك يتسكع العاشق على الشاطىء الظمآن.

١
بيليون: جبل في ثيسالي، شمال شرق اليونان.
٢
أرغو: سفينة الأرغونيين الذين غامروا بقيادة جاسون لجلب الجزة الذهبية.
والصنوبرة رمز لأخشاب السفن لأن سفر البحر كان يعد انتهاكاً لنظام الطبيعة.

أوفيد
الصفحة : ٨١

أوفيد

الصفحة : ٨٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٦

الشاطىء حيث ينبغي أن تترك الصبايا الجميلات آثار أقدامهن؛
ذلك المدى آمن، لكن الطريق وراءه محجوب.
دع الآخرين يروون لك حكايات عن الرياح المتصارعة،
فالبحار ما بين سيلّلا وكاريبديس ممتلئة بالأهوال.(١)
الجروف الصخرية العاصفة تحت جبال الرعد،(٢)
ذلك الخليج حيث تكمن رمال سيرت وأمواجها المندفعة في الانتظار.(٣)
دعهم يقصون عليك تلك الحكايات، وصدق ما يخبرونك به؛
إن التصديق لا تؤذيه العواصف، مهما كانت هائلة.

فات الوقت للتطلع إلى البر وراءك، بعد أن رفعت المرساة
والسفينة انطلقت عبر العباب اللامحدود،
والرياح وحشية والبحارة المتلهفون يرتعدون،
وبالقرب من الموجة المتكسرة التالية يرون سافرا

وماذا لو أن تريتون أثار الأمواج العاصفة أعلى فأعلى – (٤)

١

هذان الموضعان في مضيق مسينا، حيث تكثر الدوامات البحرية الخطرة.

٢

سلسلة جبلية بالقرب من ميناء إيبيروس اليوناني.

٣

سيرت: الخليج المعروف على الشاطىء الليبي، مقابل إيطاليا.

٤

تريتون: إله بحري، ابن بوزيدون. وفي الأصل (أعلى) واحدة لكن السياق الشعري اقتضى ذلك.

أوفيد

الصفحة : ٨٢

أوفيد

الصفحة : ٨٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٧

كم ستصيرين شاحبة، وخداك أبيضان كالملاءة!

وستتوسلين إلى ذين النجمين التوأمين، ابني ليدا،(١)

وتحسدين كل من يحس بأرض تحت قدميه؛

من الأسلم أن تجلسي مستكينة لتقرئي قصة

أو تعزفي على قيثارتك لحناً رقيقاً عذبا.

ولكن إذا جرفت الرياح العاصفة كلماتي بعيدا،
فلتحط حوريات البحر صحبة سفينتك بالمودة الحميمة.
ولابد أن تكون النريودات وأبوهن مذنبين.(٢)
لو فقدت مثل تلك الصبية الجميلة في البحر.

فكري فيَّ وأنت ذاهبة، وفي طريق عودتك
إلى الأهل لتدفع الرياح المواتية أشرعتك،
وليجعل نيريوس الجبار المحيط منحدرا نحو الديار
بارتفاع البحر من مؤخر السفينة وبلا عواصف هوجاء.

ويجب أن تصلي لتنفخ الرياح العليلة أشرعتك،
وأن تشذبي أطرافها الناتئة بيدك ذاتها
سأكون أول من يرى سفينتك المشهورة

١
ابنا ليدا "كاستور وبولوكس". وهما الجوزاء في الفلك.
٢
النريودة (الناريودة) إحدى بنات نيريوس (وهو إله بحري) الخمسين.

أوفيد
الصفحة : ٨٣

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٨

وأقول: "إنها تأتي بإلهتي عائدة إلى البر".
سأرافقك على الشاطىء بقبلات لا حصر لها؛
والضحية المنذورة لعودتك لا بد أن تنحر؛
ويمكن أن تكون مائدتنا على الشاطىء من متراس ما،
وسنشكل سريراً من رمل حيث يمكننا أن نضطجع.

ستحكين لي قصصاً كثيرة ونحن نرتشف الخمرة،
وكيف كاد البحر الرحيب أن يبتلع مركبك،
وكيف كنت، وأنت مستعجلة إليَّ، لا تخافين
ريح الجنوب الوحشية ولا ظلام الليل المعادي.

سأعتبر ذلك كله حقيقة، مع أنه من نسج الخيال.
لم لا ينبغي لي أن أنغمس في خيالي الجامح؟
فليحث لوسيفير، أبهى نجم في السماء، (١)
جياده قدماً لتأتيني بتلك الساعة.

١
نجمة الصباح: فينوس (الزهرة)، في الأسطورة الإغريقية، هو قائد مركبة الشمس، لذلك آثرت ترجمته مذكراً – انسجاماً مع الأسطورة.

أوفيد

الصفحة : ٨٤

أوفيد

الصفحة : ٨٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٠٩

- ١٢ -

تعالي، يا أفنان الغار، توجيني بإكليل النصر!
لقد فزت! انظروا، إن كورينا تستلقي بين ذراعي،
برغم وصاية الزوج ورقابته، والحرس
والباب العنيد، والعدد الكبير من الأعداء.

هنا نصر جدير بإقامة أفراح خاصة،
لنيل جائزة حرب لم تصبغ بأي دم،
لا مدن بأسوار ضعيفة ومتاريس ضئيلة -
الحبيبة هي كل ما أحرزته براعتي العسكرية.
عندما جرى اجتياح طروادة في حرب عشر سنين،
أي ثناء ناله ابن أتريوس من بين ذلك العدد الكبير؟
ولكن شهرتي لي وحدي، لا يشاركني فيها أي جندي؛
ولا أحد يستطيع أن يدعي شرف الحرب التي كسبتها.

كنت القائد وحامل العلم،
والجنود، والفرسان، والمشاة؛ ونلت هدفي.
النصر نصري، وقد أحرزته بما بذلت من جهود؛
ولم يقم الحظ في نجاحي بأي دور أبدا.

أوفيد
الصفحة : ٨٥

أوفيد
الصفحة : ٨٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٠
وليس في حربي أي شيء جديد. ولكن لن يكون هناك
أي صراع بين أوروبا وآسيا أبداً من أجل هيلين.
إن امرأة هي التي أشعلت ذلك الصراع المخزي (١)
بين اللابيثيين والقنطورات حين دارت الخمرة بالرؤوس.
وامرأة في مملكة لاتينوس العادل (٢)

هي التي دفعت القوات الطروادية لامتشاق السيوف من جديد.

والنساء يوم تم تأسيس مدينة روما،
هن اللواتي أثرن حرباً بين الآباء والأزواج.

لقد رأيت ثيراناً يتعاركون على عجلة بيضاء؛(٣)
وكانت تراقبهم وتشعل قلوبهم وهي تقف قريباً منهم.
وأنا مثل كثير من الناس كذلك (لكني لا أسمح بإراقة الدم)
وقد دعاني كيوبيد للالتحاق بخدمته العسكرية.

١
المرأة هي (هيبوداميا) زوجة (بيريثوس) ملك اللابيثيين، والصراع نشب في حفلة زفافه. وتسمى تلك المنطقة ثيسالي أيضا، وهي شمال شرق اليونان.
٢
هي ابنة لاتينوس التي وعد بها أنياس، فارضاً سلطانه على المطالبين بتورنوس.
٣
استعمال جمع العاقل مقصود وليس سهواً لغوياً.

أوفيد
الصفحة : ٨٦

أوفيد
الصفحة : ٨٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١١

- ١٣ -

كورينا تستلقي منهكة، وحياتها في خطر (١)
وهي ترمي إلى إسقاط حملها - باندفاع طائش -
إن قيامها بمجازفات مخيفة كهذه من دون علمي
لابد أن يثير غضبي، لكن الخوف يودي بالغضب.
لكني مازلت أنا الذي جعلتها حاملاً - أو هذا ما أظنه؛
وغالباً ما اعتبرت ما يمكن أن يحدث حقيقة.
وأنت يا إيزيس، يا راعية الباريتونيوم، (٢)
ويا ملكة ممفيس وفاروس وكانوبوس،
حيث ينساب النيل مسرعاً في مجراه العريض
وعبر مصبات سبعة يمضي دافقاً في البحر،
ولكن بفضل أنوبيس المبجل، وبآلاتك المصلصلة(٣)
أصلي - وأرجو من أوزيريس بلا انقطاع

١

إن المقارنة بين الانتصار الحافل بالفرح والغرور في النشيد السابق (١٢) وبين مشكلات الحمل والإجهاض في النشيدين (١٣-١٤)، تظهر مدى سخرية الشاعر من واقعه الاجتماعي، وبخاصة أن الإجهاض كان مرتبطاً بالنساء المشبوهات بالرغم من أن جميع طبقات المجتمع كانت تمارسه على نطاق واسع.

٢

إيزيس: كانت معبودة بشكل خاص من قبل النساء. والأسماء الواردة بعدها كانت تذكر في الصلوات والأعياد، وهي أسماء مدن في مصر القديمة. وقد جاء الشاعر بهذه الأسماء لإيقاعها الصوتي وتأثيرها العام. وكذلك بالنسبة إلى الأسماء الأخرى.

٣

الصلاصل أو الآلات المصلصلة SISTRUM آلات معدنية خاصة بتلك العبادة. وأوزيريس: إله العالم السفلي، زوج إيزيس وأخوها، في حضارة مصر القديمة.

أوفيد

الصفحة : ٨٧

أوفيد

الصفحة : ٨٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٢

أن يبارك طقوس احتفالاتك، والأفعى
تسعى بطيئة حول خزينتك،
وفي أبهة موكبك وكبريائه
فليبق ذلك الثور العظيم ذو القرون أبيس في صحبتك –
التفتي بعينيك إلينا هنا؛ وأشفقي عليها وعليّ؛
ستمنحينها الحياة، وهي تمنحني إياها.
لكم عكفت على خدمتك في أيام أعيادك،
بينما كان الكهنة يضرجون خضرة إكليلك بالدم. (١)
وأنت كذلك يا إليثيا الطيبة، يامن تشملين النساء (٢)

بالرحمة وهن حبيسات في حالة مخاض،
وتنعشين حملهن المخبوء، احضري واسمعي صلاتي؛
ومدِّي لها يد المساعدة التي تستحق أن تلقاها.
سأحرق البخور على مذبحك العابق بالدخان، وأنا مسربل بالبياض؛
والهبات التي نذرتها سألقيها عند قدميك،
وعليها رقعة مكتوبة: "من أوفيد لأجل سلامة كورينا"،
لو تقبلين الهبات والرقعة وتبرئين من الإثم.

إذا كان للإنسان في مخاوف كهذه أن يقدم نصيحة،
لقد خضت هذه المعركة يوماً؛ فليكن ذلك كافيا.

١
كان الكهنة يجرحون أنفسهم جروحاً بليغة وهم في نوبة جنونية، لكن الشاعر لم يوضح سبب ذلك إن كان تقرباً أم لغرض آخر.
٢
إليثيا: ربة الولادة عند الإغريق، والشاعر يقرنها بـــ (ديانا) التي تغنى بها هوراس.

أوفيد
الصفحة : ٨٨

أوفيد
الصفحة : ٨٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٣

- ١٤ -

أي خير تجنيه النساء في إعفائهن من الحرب،
لا دروع ولا رتل في زحف عسكري لملاقاة العدو،
إذا جرحن، في السلم، بأسلحتهن الخاصة
وسلحن أنفسهن بتهور أعمى ليقعن في محنتهن ذاتها؟

إن التي تنتزع أولاً من الرحم تباشير الحياة (١)
تستحق أن تموت بيدها الحربية ذاتها
أتستطيعين مواجهة الصراع القاتل على الرمل المأساوي(٢)
حتى لا تشوه تلك الندوب بطنك؟
لو أن تلك المهنة لاقت استحساناً في الأزمنة الغابرة، (٣)
لأدت تلك الجريمة إلى تدمير الجنس البشري،
ولكان العالم الخالي بحاجة إلى شخص ما
لرمي حجارة خلقنا من جديد.(٤)

من كان سيستحق سلطان بريام لو أن إلهة البحر

١

في الأصل بدايات الحياة، لكني آثرت كلمة (تباشير) للصياغة الشعرية.

٢

الرمل في حلبة المجالدين.

٣

مهنة الطب التي تبيح الإجهاض.

٤

إشارة إلى الطوفان الكبير الذي أحدثه زيوس، ولم يسلم من البشر إلا دوكاليون وزوجته بيرا، وقد عملا على تكاثر البشر في الأرض برمي الأحجار من فوق كتفيهما فتتحول إلى بشر، كما أمرهما صوت الوحي ثيميس.

أوفيد

الصفحة : ٨٩

أوفيد

الصفحة : ٩٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٤

ثيتيس رفضت أن يحوي رحمها ذلك الحمل المتوقع؟(١)
ولو أن إليا أجهضت حملها التوأم
لفقدت ملكة المدن مؤسسها.(٢)

ولو أن فينوس هاجمت أنياس وهو في رحمها
لكان العالم بلا قياصرته أيضا؛(٣)
وأنت كنت ميتة – ولم تولدي بهذا الجمال الرائع –
لو أن أمك ذاتها قامت بالمحاولة مثلك.
وأنا، الذي أوثر أن أموت حباً، ما كنت
لأرى النور ضد إرادة أمي.

لماذا تقطفين الثمرة الفجة المرة –
وتسرقين الأعناب النامية قبل أن تملأ الدالية؟
دعي الثمرة الناضجة تسقط بشكل طبيعي؛ دعي البراعم
تواصل نموها؛ فالحياة ليست غنيمة تافهة لقاء انتظار قليل.
لم تسممين أطفالاً لم يولدوا، ولماذا تحملين السلاح
لسبر الرحم والتنقيب عن الحياة؟
إننا نلوم ميديا لأنها ملطخة بدم أبنائها،(٤)

١
أم أخيل، وبريام ملك طروادة.
٢
روموس ورومولوس: مؤسسا روما.
٣
يشير أوفيد في أكثر من موضع إلى أن القياصرة من نسل أنياس – بطل طروادة.
٤
ميديا قتلت ولديها انتقاماً من أبيهما جاسون الذي تخلى عنها وتزوج أيولي.

أوفيد
الصفحة : ٩٠

أوفيد
الصفحة : ٩١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٥

وتندب إيتيس الذي قتلته أمه؛(١)
الأُمَّانِ كلتاهما متوحشتان، ولكنَّ لهما كلتيهما سبباً للفاجعة،
والانتقام من الزوجين تبدد في ذلك الدم المختلط.

قولي لي أي من تيريوس أو جاسون دفعك
حتى تنتهكي حرمة نفسك في كارثة كهذه
لا نمرة في أوكار أرمينيا يمكن أن ترتكب ذلك،
ولا تقتل أشبالها لبؤة.

لكن السيدات اللطيفات يفعلن ذلك، وإن لم يسلمن من العقاب؛
وغالباً ما يخطفهن الموت، وهن يقتلن الحياة الوليدة في أرحامهن.
يمتن، وهن على المحرقة بشعر أشعث،
وجميع الواقفين قريباً يقولون: >رتبنهن جيداً<.
ولكن، لتكُنْ كلماتي هذه خاليةً من أيِّ فألٍ سيِّىء،
إنَّما تتلاشى في الريح، وسأكون راضياً.
أيتها الآلهة الكريمة، اصفحي عن ذَنْبها مرةً بسلامة؛
كفَى – وافرضي عقوبتَكِ في المرةِ التالية.

١
إيتيس: ابن تيريوس وبروكني التي قتلته وأطعمت أباه من لحمه، انتقاماً لأختها فيلوميليا التي اغتصبها تيريوس وقطع لسانها لكي لا تفضحه.

أوفيد

الصفحة : ٩١

أوفيد

الصفحة : ٩٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٦

– ١٥ –

اذهب، أيها الخاتم الصغير، إن قيمتك
لن تثبت شيئاً إلا حب واهبك.
طوق إصبع حبيبتي الجميلة، وكن
هدية سارة إليها مني.
أرجو أن ترحب بك وأن تدعك
تنزلق على سلاماها من حبيبها،
وبلا تردد ستعانق إصبعها برقة
وتنطبق عليها بلياقة حميمة
كما تليق بي. يا أيها الخاتم السعيد،
يا من تستطيع أن تلتصق بالمرأة التي أحب!
إنني أحسدُ الآنَ بيتَ هديَّتي الجديد.
لَكَمْ أتمنَّى أن أصيرَ فجأةً
تلك الهديَّةَ بنفسي (التحول السحري
الذي يستطيع بروتيوس أوكيركي أن يقومَ به).(١)

وحين أضغط على صدرها بعدئذٍ.
وتنسلُّ يدي داخلَ ثوبها
وأعتصر نفسي من إصبعها الغالي
(ومهما كان ضيِّقاً، فلن أتوانى)
وأتحرّكُ طليقاً بفن سحري

١
بروتيوس: إله بحري يغير شكله كما يريد. كيركي: إلهة وساحرة.

أوفيد
الصفحة : ٩٢

أوفيد
الصفحة : ٩٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٧
وأنحدرُ إلى الطيَّةِ بجانبِ قلبها؛
أو إذا كتَبَتْ رسالةً سرية،

لتساعدني بخَتْمِ الألواح بشكل أفضل،
(حجري ليس جافّاً، والشمعُ حُرٌّ تماماً)
ولسانُ حبيبتي سَيُنديني –
شريطة ألا أكون مستعداً أبداً
لختم رسالة سألتاع لفقدها.
وإذا جال في بالها يوما
أن تحبسني في صندوقها، سترى
أنني لن أتزحزح؛ سأنكمش وأقاومها،
وأطوق إصبعها بإحكام أشد.
إنني لن أربكك، يا غاليتي –
ولن يحمل إصبعك أي ثقل.
البسيني آن يكون حمامك حاراً،
ولا تخافي أن يصاب الحجر بأي أذى،
مع أني أتوقع أن الخاتم الرجولي
سينهض منتصباً، وأنا أراك عارية.

باللأوهام الفارغة! تابعي طريقك،
يا هديتي الصغيرة، ولتدرك
حبيبتي جيداً معك أنني
منحتها حباً مخلصاً وصادقاً.

أوفيد
الصفحة : ٩٣

أوفيد
الصفحة : ٩٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٨

- ١٦ -

أنا في سولمو، هنا في بلاد البيليغنيين؛(١)
هي صغيرة، لكنها صحية بجداولها وقنواتها.
حتى عندما تومض الشعرى اليمانية في أوج الصيف،
وتشقق الشمس التربة بأشعتها الحارقة
المياه الصافية تجري متعرجة عبر حقول سولمو؛
التربة ناعمة، والعشب موفور وأخضر.
الأرض طيبة للحنطة، وهي للكرمة أطيب بكثير،
وغالباً ما يشاهد الزيتون هنا وهناك،
وحيث تنساب الجداول عبر المروج المروية حتى أطرافها
تنتشر الخضرة الغضة ستارة على التربة الناعمة الندية.

ولكن محبوبة قلبي ليست هنا - لا، ثمة خطأ صغير -
إن مشعلة اللوعة بعيدة جداً، واللهب هنا.
ومع أني رفعت لأكون بين كاستور وبوللوكس،(٢)
فأنا أكره أن أكون في السماء إذا لم تكوني بجانبي.
ألا فليرقد أولئك الذين شقوا العالم بالدروب
بلا راحة تحت كتلة من الصلصال بلا مغفرة،

١

Peligni في وسط إيطاليا، وسولمو: مسقط رأس الشاعر.

٢

يعني أنه صار نجماً. كاستور وبوللوكس ابنا ليدا، كاستور من تينداريسو وبوللوكس من زيوس الذي تنكر في هيئة طائر التم.

أوفيد

الصفحة : ٩٤

أوفيد

الصفحة : ٩٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١١٩

أو إن كان لا بد من دروب تشق العالم،
فينبغي أن يدعوا الصبايا يسافرن مع عشاقهن حتى النهاية.

ومع أني تجولت في جبال الألب العاصفة، وأنا نصف متجمد،
فالرحلة كانت لطيفة عندئذ، لأني مع حبيبتي هناك؛
وهناك مع حبيبتي سأعبر أمواج سيرت الرملية المندفعة
وأنشر أشرعتي قبل أن تهب ريح الجنوب الوحشية.

وأنا لن أخاف منعطفات رأس ماليا،(١)
أو كلاب الجحيم النابحة في سيلا المتوحشة،
أو دوامات كاريبديس المتخمة بحطام السفن (٢)
والتي تمتص وتتقيأ وتمتص أمواج المحيط.

ولكن إذا انتصرت قوة نبتون العاصفة
وفقدت الآلهة التي تحرسنا في البحر الوحشي
ألقي ذراعيك الثلجيين حول كتفي،
سأحمل ذلك العبء الجميل بسهولة.

١
رأس ماليا في الطرف الجنوبي الشرقي من بيلوبونيس، وهي منطقة خطرة.
٢
سيلا وكاريبديس من المضايق البحرية الخطرة، وقد مر ذكرها في النشيد (١١).

أوفيد
الصفحة : ٩٥

أوفيد
الصفحة : ٩٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٠

لقد سبح ليندر مراراً عبر المضيق إلى هيرو(١)
حتى جاءت الليلة العمياء الأخيرة بالفاجعة.
ولكني هنا من دونك – رغم أن الكرم يجيش بالنشاط،
والأنهار الكسلى تفيض على امتداد المروج،
والفلاحين يديرون الماء ليصب في أقنيتهم
والأنسام المنعشة ببرودتها تداعب الأشجار المورقة –
لا أستطيع أن أفكر هذا بيتي، سولمو الصحية هذه
مسقط رأسي وبلاد أجدادي،
لكنها نفايات سيثيا أو بريطانيا المصبوغة بالأزرق
أو الصخور الوحشية التي صبغها بروميثيوس بدمه القاني.(٢)
شجر الدردار يحب دواليه، ودواليه لا تهجره أبداً،(٣)
فهل يجب أن نبقى أنا وحبيبتي منفصلين كل هذا الوقت؟
ولماذا تفصل بيني وبين عينيك نجوم قلبي –
وقد أقسمت أن تبقي معي إلى الأبد.

إن كلمات النساء أخف من أوراق متساقطة،

١

كانت هيرو كاهنة أفروديت (فينوس) في سيستوس، على الجانب الآخر لهيليسبونت من أبيدوس – بيت حبيبها ليندر الذي كان يعبر المضيق سباحة كل ليلة مهتدياً بضوء المصباح الذي تضعه على البرج حيث تقيم. لكن العاصفة أطفأته في إحدى الليالي فتاه وغرق، ولحقت به حبيبته منتحرة.

٢

دمى تلهو بها نزوات الريح والموج.
ولكن إذا شعرت نحوي يوما بأني مهجور في وحشتي،
فبادري إلى الوفاء بالعهود التي أسبغتها عليّ.

هيا أسرعي، وأخرجي عربتك وجيادك الرشيقة
وفرقعي السوط فوق أعرافها الطائرة؛
ولتجدي التلال وهي تطوى أمامك
وتغيب في دروب الوديان السهلة المتعرجة.

٣
بروميثيوس – سارق النار الذي كان الصقر ينهش كبده عقاباً له.

أوفيد
الصفحة : ٩٦

أوفيد
الصفحة : ٩٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢١

دمى تلهو بها نزوات الريح والموج.
ولكن إذا شعرت نحوي يوما بأني مهجور في وحشتي،
فبادري إلى الوفاء بالعهود التي أسبغتها عليّ.

هيا أسرعي، وأخرجي عربتك وجيادك الرشيقة
وفرقعي السوط فوق أعرافها الطائرة؛
ولتجدي التلال وهي تطوى أمامك

وتغيب في دروب الوديان السهلة المتعرجة.

أوفيد

الصفحة : ٩٧

أوفيد

الصفحة : ٩٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٢

- ١٧ -

إن أي إنسان يرى أن من العار أن يكون عبداً لامرأة،

سيحكم عليَّ بالتأكيد أني مذنب بذلك العار.

احكم عليَّ بالخزي، إن كان احتراقي أقل سوءاً

مما فعلته بي تلك التي تطالب بـــــــ "بافوسكيثيرا".(١)

وبما أن قدري أن أكون ضحية للجمال،

فكم أتمنى أن أكون هدفاً لفتاة أرحم.

إن الجمال يسبب الغرور. وجمال كورينا يجعلها
عنيفة. يا حسرة، لو تعرف وجهها جيداً.
وهي تأخذ غرورها مما تريها مرآتها –
لكنها لا تنتظر حتى يكون كل شيء في مكانه.

ومع أن جمالك يتولى ملكاً واسعاً جداً – أوسع مما ينبغي –
فذلك الجمال لم يولد إلا ليأسر عيني هاتين!
فلا تزدري بي لأني لا أستطيع أن أقارن بك؛
لأن أشياء أقل شأناً يمكن أن تتحد جيداً بالعظيم.
وقيل إن الحورية كاليبسو أحبت كائنا بشريا(٢)

١
المقصودة فينوس. كيثيراً هي الجزيرة التي ولدت من الزبد على شاطئها.
بافوس: مدينة في قبرص، ولها علاقة أيضا بفينوس.

٢
المقصود أوليس، بطل الأوديسة، وملك إيثاكا.

أوفيد
الصفحة : ٩٨

أوفيد
الصفحة : ٩٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٣

واحتجزته رغم أنه حاول الفرار منها؛
والنريدة ثيتيس شاركت بيليوس سريرها،(١)
وإيجيريا مع الملك نوما، هكذا يقولون.(٢)

وفينوس حصلت على فولكان أيضاً، مع أنه حين تخلى(٣)
عن سندانه راح يترنح ويتخبط بطريقة خرقاء.
إيقاعي الشعري هنا تنقصه تفعيلة، لكن اقتران(٤)
البيت البطولي بالبيت القصير يحقق الكمال.

خذيني بأية شروط ترضيك، يا حبيبتي؛
وفي ساحة مكشوفة يا عزيزتي، أعلني أوامرك.
فأنا لن ألحق بك عاراً، وأنت لن تندمي معي؛
ولن نحتاج أبداً إلى التبرؤ من حبنا هذا.

إن لديَّ أراجيزي السعيدة، عوضاً عن الثروة،

١
النريدة: حورية بحر من بنات إله البحر نيريوس: ثيتيس: أم أخيل، بيليوس: أبوه.
٢
إيجيريا، مستشارة نوما (ملك روما) وزوجته.

٣
فولكان: زوج فينوس، وهو زواج غير متكافىء. وهذا الخلل في الزواج تمهيد للخلل في إيقاع الشعر – كما في (٤).
٤
هنا يرمز الشاعر إلى العلاقة بينه وبين حبيبته.

أوفيد
الصفحة : ٩٩

أوفيد
الصفحة : ١٠٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٤

وما أكثر الصبايا اللواتي يأملن بالشهرة مني.
هناك واحدة أعرفها ستعلن أنها كورينا؛
وكم تمنيت لو أنها لم تكن سبب ذلك فعلا!
لكن يوروتاس الباردة لا يمكن أن تشاركنا في المجرى ذاته(١)
كما يفعل إريدانوس المطرز الحواشي بالحور بعيداً عنها، (٢)
وفي كتبي الضئيلة لن أتغنى بأحد سواك،
ولا أحد إلا أنت يلهم عبقريتي.

١
يوروتاس في إسبارطة.

٢
إريدانوس: نهر بو في شمال إيطاليا.

أوفيد
الصفحة : ١٠٠

أوفيد
الصفحة : ١٠١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٥

- ١٨ -

الأبطال يحلفون الأيمان ابتغاء الحرب
وأنت تنهي قصيدتك بغضب أخيل،

وأنا أنعم مسترخياً في ظل فينوس، يا ماكير؛(١)
والحب يدمر الموضوعات الرائعة التي واجهتها من قبل.
وقلت لحبيبتي مراراً أن تتركني –
وكثيراً ما عادت لتكون في حضني.
أخبرتها أني أشعر بالخجل، فأجابت بالدموع:
"آه يا حبيبي، هل أنت خجلان من عشقك لي؟"
ثم طوقت عنقي بذراعيها وأمطرتني
بألف مضاعفة من القبلات التي طرحتني أرضاً.
لقد خسرت وسرحت من مواهبي
وعادت أشعاري إلى واجهة بيتي.(٢)
ما زلت أمسك بالصولجان؛ وكنت أهلا
لكتابة المأساة؛ وجهودي راضية.
وسخر الحب من ملابسي المأساوية وجزمتي الملونة
وأمسكت الصولجان بيد غير ملكية

١

ماسير أو ماكير (باللفظ اللاتيني): بومبيوس ماكير، جعله أغسطس وكيلاً له على آسيا، وكان من أقرباء زوجة أوفيد.

٢

صعوبة الشاعر في عبارات التورية بين الحب والحرب، كالخلط بين جبهة الحرب وواجهة البيت.

أوفيد
الصفحة : ١٠١

أوفيد
الصفحة : ١٠٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٦

وهذا أيضاً أوقفته حبيبتي – يا للظلم المقدس –!
وقد انتصر الحب على الشاعر الملحمي.
هكذا أعلم فن العشق – وهو أمر مسموح به –
يااللمعلم البائس يرفعه منجنيقي ذاته!
اكتب رسائل حب، بينيلوبي إلى أوليس،(١)
ألف عن فيليس المهجورة مقالة طافحة بالدموع،(٢)
ومناشدات لباريس ومكاريوس وجاسون،(٣)
ليقرأها ثيسيوس وهيبوليتوس،(٤)
والكلمات الأخيرة للشاعرة الغنائية السحاقية العاشقة(٥)
وديدو البائسة، والسيف مجرد في يدها.(٦)
ويا صديقي سابينوس ما أسرعك وأنت تجوب أطراف العالم
عائداً بالرسائل من كل بلاد أجنبية!
بينيلوبي ميزت ختم أوليس،
وفيدرا قرأت الكلمات التي كتبها ربيبها؛(٧)

١
بينيلوبي انتظرت زوجها أوليس عشرين سنة: عشراً في حرب طروادة وعشراً في تيه البحر.
٢
فيليس وديموفون.

٣

أوينوني وباريس، كاناكي ومكاريوس، هيبسيبيلي وجاسون.

٤

أرياندي وثيسيوس، فيورا وهيبوليتوس.

٥

الشاعرة سافو وفاون.

٦

ملكة قرطاجة، قتلت نفسها بعد أن هجرها أنياس.

٧

فيدرا: بنت ماينوس ملك كريت، تزوجت ثيسيوس (الأمير الأثيني) وأحبت ابنه هيبوليتوس – وهو رمز العفة.

أوفيد

الصفحة : ١٠٢

أوفيد

الصفحة : ١٠٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٧

وأنياس أجاب ديدو التزاماً بالواجب،(١)
وفيليس تتلقى أنباء حزينة من جاسون،(٢)
هيبسيبلي تتلقى أنباء حزينة من جاسون(٣)
وسافو (محبوبة الآن) تقدم قيثارتها إلى فيبوس.(٤)

وأنت كذلك يا ماكير، وفي حدودك الملحية
أنشد في غمرة الحرب شهوات العشق العذبة –
باريس وهيلين، أشهر عاشقين آثمين.
ولاوداميا وفية حتى النفس الأخير.(٥)
خير لك أن تكتب عن الحب لا عن الحرب، أنا موقن من ذلك،
وستعبر حالاً من معسكرك إلى معسكري.

١
أنياس (ابن أنخيسيس وفينوس) من الأبطال المدافعين عن طروادة. أحبته ديدو (ملكة قرطاجة) وقتلت نفسها حين تخلى عنها.
٢
فيليس: أحبت ديموفون، وعدها بالزواج ولم يوف بالوعد، فانتحرت على الشاطىء بعد أن يئست من عودته.
٣
هيبسيلي: ملكة ليمنوس. والأنباء الحزينة: إشارة إلى قيام ميديا بقتل ولديها من أسون لأنه تخلى عنها من أجل أيولي.
٤
فيبوس: زلوللو (إله الشعر والموسيقا والطب).
٥
(١) لاوداميا: زوجة بروتيسيلاوس، أول قتيل إغريقي في طروادة.

أوفيد
الصفحة : ١٠٣

أوفيد

الصفحة : ١٠٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٨

- ١٩ -

يا مغفل! إذا لم تحرسها من أجلك أنت،
فاحرسها من أجلي، لتجعل شوقي إليها أشد.
الحب بارد ومتحجر أن يكون باستئذان آخر،
الممنوع يزيد اللهب اشتعالاً، والمباح يؤدي إلى الضجر.
العشاق في حاجة إلى الأمل والخوف، في حاجة إليهما معا؛
الصدود الغريب يفسح مجالاً للحلم من جديد.
لا خير في امرأة لا تواجهني بمقاومة مضاعفة،
وأنا لا أحب ما لا يسبب ألماً أبداً.
كورينا، فتاة ذكية، وقد أدركت ضعفي،
وعرفت أن المكر أفضل وسيلة لاجتذابي!
كم مرة تظاهرت بصداع رهيب
وصرفتني بعيداً عنها إذ كنت متوانيا!
وغالباً ما قالت إنها ظلمتني، ولا ذنب لي أبداً،
ومع ذلك كانت تبدو مذنبة.
وحين أثارتني عندئذ، ونفخت في الجمر الخابي،
عادت حبيبتي من جديد، مخلوقة من أجلي تماماً.
همسات ساحرة كهذه، وقبلات عديدة إلى هذا الحد،
أيتها الآلهة، يالها من قبلات، ويالها من فتنة رائعة!
وأنت يا حبيبتي، لكي تجتذبيني في أقرب وقت
فلا بد أن تبدي خائفة في الغالب، وأن تقولي >لا< في كثير من الأحيان.

أوفيد

الصفحة : ١٠٤

أوفيد

الصفحة : ١٠٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٢٩

ودعيني أمدد قامتي على درجة بابك الخارجي،
متحملاً الليل الطويل بصقيعه وثلجه.
هكذا يدوم حبي وينمو أقوى خلال السنين المديدة.
ذلك يعود عليَّ بالخير؛ وذلك يمنح قلبي غذاء قوياً.
الحب يتخم من كان حراً مطمئن البال، ومن تغذى بترف بالغ،
مثل عسر الهضم حين يكون الطعام أحلى مما ينبغي.
لو لم تحبس داناي في برج من البرونز،(١)
لما أنجب جوف أبداً الابن الذي حملته؛
وبينما كانت جونو تراقب العجلة التي هي آيو،(٢)
فإن آيو المسكينة أمتعت جوف أكثر من ذي قبل.

إن ما هو قانوني ميسور – إذا كان ذلك ما تسعى إليه،
اشرب من نهر، واقطف أوراقاً من شجرة.
ومن أجل عهد أطول، على المرأة أن تستغبي عاشقها –
وأرجو من نصيحتي ألا تؤدي بي إلى التعاسة!
إن ما يتبعني، أتهرب منه؛ وما يفر مني، أتبعه،
فليأت الزمن بما يهوي، إن ما هو مباح يدمرني.

١
داناي: كاهنة صرحت أنها ستحمل ولدا يقتل أباها. لذلك حبسها أكريسيوس في برج نحاسي، لكن جوبيتر شق طريقه إليها في شكل وابل من الذهب، فصارت أم بيرسيوس.
٢
جونو: أخت جوبيتر وزوجته، وقد حولت آيو إلى بقرة تطاردها النَّعَرة (نبابة الماشية)، انتقاماً منها لأن جوبيتر عشقها. وفي معجم (ويبستر) أن زيوس (جوبيتر) هو الذي حولها إلى عجلة ليجنبها غيرة (هيرا) التي تتماهى مع (جونو).

أوفيد
الصفحة : ١٠٥

أوفيد
الصفحة : ١٠٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٠

وهكذا أنت، يا من تحرس فتاتك الجميلة بمثل هذا السوء،
بادر بإغلاق بابك الخارجي مع ضوء النهار الأخير.

وباشر بالسؤال عمن جاء ينقر على النافذة،
ولماذا تنبح الكلاب في سكون الليل،
أية رسائل تقوم الخادمة الذكية بتسليمها،
ولماذا تنام زوجتك في أكثر الأحيان منفصلة عنك.
امنحني فرصة لأمارس خدعي،
ودع هموماً كهذه تنخر قلبك أحياناً.
إن أي رجل قادر على حب سيدة مرتبطة بأحمق،
قادر على أن يسرق الرمل من شريط الشاطىء الخالي العريض.
لقد أنذرتك: إذا لم تبادر إلى حراسة
امرأتك تلك، فهي ستبادر إلى قطع علاقتها بي.
ولقد قاسيت طويلاً وبما يكفي، وكثيراً ما أملت
أن أنسل عبر بابكم، وأنت تقف حارسا.
لا زوج ينبغي أن يتحمل ما تتحمله أنت؛
أما أنا، إذا كان الحب مباحاً، فلا أبغي إلا الحب.

ترى، هل سيبقى حق الدخول مباحاً أبداً لي،
وليالي خالية دائمة من تهديدات الانتقام؟

أوفيد
الصفحة : ١٠٦

أوفيد
الصفحة : ١٠٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣١

ألا تخاف أبداً؟ أما من تنهدات، أما من نوم مضطرب؟
أليس هناك من داعٍ إلى أن أتوق إلى رؤية موتك؟
أي خير لي في قواد مخنث يتوهم أنه زوج –
ما دام الفسوق يفسد بهجتنا؟
ابحث عن شخص ما يسره صبرك في أن تعمل قوادا!
وإذا أردتني أن أكون منافساً لك، قاتل!

أوفيد
الصفحة : ١٠٧

أوفيد
الصفحة : ١٠٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٣

الكتاب الثالث

أوفيد
الصفحة : ١٠٨

أوفيد
الصفحة : ١٠٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٥

- ١ -

هناك تنتصبُ أجمة قديمة لم تُشذَّبْ منذ أجيال
لعلَّ إلهاً ما يُقيم فيها متنعما.
فيها ينبوع قدسي، غار مسقوف بالصخر،
وطيور تسكبُ ألحانَها الشَّجيَّةَ في كلِّ اتجاه.
وكنت أتهادى في أفياءِ تلك الغابةِ متسائلا:
أيُّ عملٍ تودُّ ربات شعري أن تقوم به بعد ذلك،
حين ظهرت المرثاةُ (١) بشعرِها الملفوفِ المعطَّر
وهي تترنَّحُ كأنما في إيقاعها نبرةُ ناقصة،(٢)
كم تبدو فاتنة بثوبها الشفَّافِ ونظراتها الملتاعة
وكم كانت مباركةً كذلك بإيقاعها المضطرب.
ثم اندفعت التراجيديا (٣) بخطىً واسعة؛ بالحضورِها العاصف،
وهي تجرُّ عباءتَها على الأرضِ، عابسة،

١

(١+٣) المرثاة ELEGY ترد مقابل المأساة Tragedy. وهذا التقسيم المجازي بدأه الشاعر الصوفي بروديكوس (من القرن الخامس قبل الميلادي) مبنياً على اختيار هرقل بين الفضيلة والمتعة. فالمأساة تحتفي بالشعر الملحمي ومصائر الأبطال، بينما تهتم المرثاة بغير ذلك من الموضوعات.

٢

شعر التراجيديا الملحمي يضم ست تفعيلات في كل بيت، أما المرثاة فأقل من ذلك. والإشارة إلى الترنح أو العرج في مشية المرثاة تعني ذلك الإيقاع.ومن لعب الشاعر بالكلمات أن FOOT تعني (قدماً) وتعني (تفعيلة).

أوفيد

الصفحة : ١٠٩

أوفيد

الصفحة : ١١٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٦

ويدُها اليسرى تُلوِّحُ بصولجان ملكي
وتنتعلُ قدماها جزمةً ليديَّةً عالية.(١)
وهي أوّلُ من تكلَّم: >ألن تنتهي من غرامكِ أبداً
أيُّها الشاعرُ المتشبِّثُ بأبياتهِ المختارة؟
أخلاقُك السيئةُ مدارُ لغو في مفارق الدروب،
وموضوعُ ثرثرةٍ حول الخمر بعد الغداء؛
وكثيراً ما يلفتون الأنظار إلى الشاعر العابر:
(ذلك هو الفتى الذي اكتوى بلهبِ كيوبيد)؛
وأنت حديثُ المدينةِ كلِّها، وإن كنتَ لا تدري بذلك،
بينما تتباهى بما اقترفتَ ولا تُبدي أيَّ خجل.
آن لك أن تلتمسَ شاغلاً أهم؛
لقد هدرتَ من الوقتِ ما يكفي، باشرْ بعملٍ أجل.
موضوعُك يُكبلُ موهبتك؛ عليك أن تتغنَّى بالأبطال؛
ستقول:(إن هذا المجال هو كلُّ ما في وسعي أن ألتمس).
إنما ربَّةُ شعركِ كانت تعبث – قصائدُ وجدٍ تتغنىَّ بالصبايا الرقيقات؛

وقد بدَّدتَ شبابَك على شعرِ الفتيان.

أنا التراجيديا الرومانية، ألا فَلْتَجعلْني مشهورة؛

١

ليديا: بلاد قديمة تقع على بحر إيجة، غربي آسيا الوسطى.
والجزمة العالية baskin خاصة بممثلي التراجيديا الإغريقية.

أوفيد
الصفحة : ١١٠

أوفيد
الصفحة : ١١١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٧

أنت أدرى بقوانيني وسترتقي إليَّأيتها المأساةُ المغرورة، لماذا ترهقينني بكلماتك الفادحة؟ أليس في وسعِك أن تستعملي لهجة أخف؟

لقد تنازلتِ فعلاً لتختالي بأبياتٍ منقوصةِ الإيقاع؛
وأنت حاربتني بالوزنِ الشعريِّ الذي يَخصُّني وحدي.
أنا لا أقارن أغانيَّ بما لديك من دراما راقية،
فقصرُك يجعلُ من بيتي الصغير قزَماً، شيئاً بائساً.(١)
إنني ضئيلة، وضئيل معي محبوبي كيوبيد،
وأنا لست أقسى من الموضوعِ الذي أشدو به.
لكن فينوس ستكون من دوني ريفية ساذجة؛
فأنا أنظِّم عشاقَها، وأنا أشدُّ من أزرها.
إن البابَ الذي لا تستطيعين رفعَ رتاجِه بحذائك الصلب
سرعان ما ينفتح على مداه أمام كلماتي الظافرة.
منّي تعلمتْ كورينا أن تراوغَ حارسَها،
وتزعزعَ الإخلاص الذي يوصدُ الباب

١

(١) الإشارة هنا إلى أن التراجيديا تجري أحداثها خارج القصر الملكي، بينما تجري وقائع الحب في أماكن خاصة.

أوفيد

الصفحة : ١١١

أوفيد

الصفحة : ١١٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٨

منسلَّةً من السريرِ لتمضي بقميص الليلِ الفضفاض
ولم تضطرب مشيتُها أبداً وهي تعبر أرضَ الحجرة.
لقد اكتسبتُ من السلطانِ فعلاً أكثر منك، وذلك
بفضلِ مقاومةِ الكثيرِ مما لا يقوى غرورُك على احتمالِه.
لَكَمْ وقفتُ مسمَّرةً على صدغِ البابِ القاسي،(١)
لكي يُطالعَني العابرون، ولم أشعرْ بأي خوف!
نعم، إني أتذكَّرُ اختبائي في ثوب خادمة،
يالخَجلتي، حتى مضى حارسُها بعيداً.

نعم، يوم أرسلتني إلى عيد ميلادِ تلك الفتاة الفجَّة
فقد مزَّقتني وجرجرتني في ماءِ المجاري في ذلك اليوم.
لقد منحتُ قرينتَك السعيدةَ وجودَها
فإن تكنْ ملازمةً لك، فالفضلُ مرجعُه إليَّأتوسَّلُ إليكما
أصغيا كلتاكما إلى حجَّتي الجبانة.
إحداكما أكرمتني بصولجانٍ وجزمةٍ عالية،
حتى غصَّت حَنجرتي الضيقةُ بموجةٍ من غناء.

١
doorpost: عضادة الباب، كما وردت في المعاجم، لكن فصحى العامية تطلق كلمة (صدغ) على الجانب الحجري العمودي من الباب. ولعل هذه الكلمة تليق بالشعر أكثر من الأولى.

أوفيد

الصفحة : ١١٢

أوفيد

الصفحة : ١١٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٣٩

والأخرى منحتْ حبي مجداً خالداً
وهكذا، ضمِّي الأبياتَ القصيرةَ إلى الطويلة، أيتها المرثاة.
وأنت،أيَّتُها المأساةُ، دعي شاعرَك يلتقط أنفاسَه، رجاءً.
أنتِ صراع سرمدي، وهي حاجاتُها ضئيلة".
ها قد أذِنتْ لي بالانطلاق. فَلْتُسرعوا يا عشّاق!
ما دام لديَّ وقتُ فراغٍ، فإن عملاً أجلَّ ينتظر الإنجاز.

أوفيد

الصفحة : ١١٣

أوفيد
الصفحة : ١١٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٠

– ٢ –

لا أجلسُ هنا لأني مولَعٌ بالخيول الأصيلة،(١)
مع أن الجوادَ الذي راهنتِ عليه قد يكون الرابح.
جئت لأتحدَّثَ معك، ولأجلسَ بجانبِك،
لعلك تتعلمين الحبَّ الذي أشعلته في قلبي.
أنت تراقبين المضمار، وأنا أتأمَّلُك؛
دعينا نراقب، كلانا معاً، ما نحبُّ ونمتعُ أعيننَا.
ما أسعدَ سائقَ المركبة الذي حظي بعطفك!
ذلك الفتى يفوزُ بحسنِ الطالع؛ وهو الذي تكافئين.
أتمنى لو أن ذلك الطالعَ لي. وسأجعل الجياد
تعدو من نقطةِ الانطلاق، وسأكون في غايةِ الجرأة؛
سأرخي لها الأعنَّةَ، وسأستعمل السوطَ كما تقتضي الحاجة،
وبالعجلة اليسرى سأمسُّ علامةَ السباقِ مسَّاً خفيفاً.
لكني حالما أراكِ بعد الفوز الساحق سأترنَّحُ
وتُفلتُ يداي الأعنَّةَ وتتَدلَّيانِ باسترخاء.
كم كان بيلوبس قريباً من الانهزام أمام أونوماوس
عندما لمحت عينُه هيبوداميا الجميلة! (٢)

١
هنا تعني ميدان السباق حيث كان الجلوس حراً، أما في المسرح فكانوا يفصلون مقاعد الرجال عن النساء.
٢
أونوماوس: ملك بيزا في إيليس (جنوب اليونان) قدم ابنته هيبوداميا لمن يغلبه في السباق. وكان قد غلب>دزينة< كاملة من المتنافسين قبل أن يأتي بيلوبس ويفوز لتصبح زوجته.

أوفيد
الصفحة : ١١٤

أوفيد
الصفحة : ١١٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤١

ومع ذلك فقد فاز، من خلال محبةِ فتاته، كما تعلمين،
فلتكنْ محبتُك هي التي تمنحنا الانتصارَ كذلك!
لماذا تبتعدين؟ لا فائدة؛ الصفُّ يبقينا متلاصقين –
وهذا أمرٌ جيدٌ فيما يتعلق بالجلوسِ هنا.
وأنتَ يا من تجلس إلى اليمينِ هناك، انتبهْ، رجاءً.

إنك تُزعجُ السيدةَ بمرفقك؛ أنت أقربُ مما ينبغي.
وأنت يا من تجلس وراءنا، ارجعْ بساقيك،
وانتبهْ لأخلاقك. أبقِ ركبتيك بعيداً.
ثوبُكِ مجرورٌ على الأرضِ، يا حبيبتي.
ارفعيه – أو، انتظري، أنا سأرفعهُ من أجلك.
ياله من ثوبٍ بخيلٍ وغيورٍ حتى يغطي ساقين جميلتين إلى هذا الحد!
وبقدر ما ينظرِ المرء – يتأكد أنه ثوبٌ بخيلٌ وغيور.
هكذا كانت ساقا أطلانطا الرشيقة الخطى،(١)
الساقان اللَّتان تلهَّفَ ميلانيون لأخذهما وضمِّهما.
وهكذا يعرض الرسامون ساقَي ديانا الرشيقة،
الصيَّادة التي كانت أجرأ من طريدتِها الجريئة.
كنتُ مشتعلاً من قبل. فكيف حالي الآن وقد رأيتهما؟
لقد أضفتِ إلى النيرانِ نيراناً وإلى البحارِ بحاراً.
ساقاك جعلتاني متأكداً أن جميعَ الباقي مخبوءاً

١
أطلانطا: بنت الملك سخونيوس وزوجة ميلانيون. وهناك فتاة أخرى تحمل الاسم ذاته.

أوفيد
الصفحة : ١١٥

أوفيد
الصفحة : ١١٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٢

تحت عباءتك الشفافة حافلٌ بالمسَرَّة.
ولكن هل تحبين نسيماً لطيفاً ونحن ننتظر؟
إن برنامجي هنا يمكن أن يُروِّحَ عنكِ الهواءَ الثقيل.
أو هل الحرارةُ من قلبي، وليست من الطقس،
وفي صدري يتوهّجُ لهبُ العاطفة؟
انظري، ثوبُك الأبيضُ – بعضُ الغبارِ هناك، وأنا أتحدَّث.
بُعداً لك، أيها الغبارُ الكريه، لا تلوثْ حضنَها الثلجي.
ولكن صمتاً! ولننتبهْ! الموكبُ الجليلُ يتقدَّم،(١)
ياللْموكبِ الذهبي، وكلُّ شخصٍ يُصفِّق!
انظري إلى ربَّةِ النصرِ أمامه تتقدَّمُ بأجنحتِها العريضة.
تعالَيْ، يا إلهة، وامنحي النصرَ لحبي العميق.
ابتهج يانبتون، يا من منحتَ المحيطَ ثقتَك كلَّها؛(٢)
ليس البحر من اهتمامي:جفف الأرض لأجلي
هلِّلوا لإلهكم مارس، أيُّها الجند، فأنا أكره الحربَ والأسلحة؛
إنني أحبُّ السلامَ، والحبَّ الذي يأتي به السلام.
دَعْ فيبوس يرعى العرَّافين، وفيبي ترعى الصيَّادين
ودَعِ الفنونَ والمهاراتِ الحرفيةَ تتغنىَّ بمجدِ بالاس.(٣)

١
موكب تماثيل الآلهة.

٢

نبتون: إله البحر عند الرومان.

٣

فيبوس: أبوللو (إله الموسيقا والشعر والطب). فيبي: ديانا، أخته. بالاس (منيرفا): إلهة الحكمة عند الرومان.

أوفيد

الصفحة : ١١٦

أوفيد

الصفحة : ١١٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٣

دعِ المزارعين يكرِمون سيريز وباخوس اللطيف،
ولْيَنْحنِ الملاكمون لبوللوكس والفرسانُ لكاستور(١)
ولكني أهلِّلُ لفينوس والغلام، رامي سهامِها.
ابتسمي الآن لمغامرتي، أيتُها الإلهة الساحرة،
وأفعمي بالدفء قلبَ حبيبتي الجديدةِ لتسمحَ لي بحبها.
لقد أومأتْ برأسها! تلك إشارةُ محاباةٍ لي.
لقد وعدتْ؛ فامنحيني وعدَك كذلك؛
وبسرعة يا فينوس، ستكونين أعظمَ إلهة.
ولْيكن الجمهورُ وموكبُ الآلهةِ شهودي
ستكونين أبداً حبيبتي، ولن يخيبَ حبي.

ولكنْ انتبهي، ساقاك متدلّيتان. فإن أردتِ
لماذا لا تريحين أصابعَ قدميكِ هنا على الحاجز؟

ها قد أُخْليَ المضمارُ – الحدثُ العظيمُ – والقاضي
انطلق بالمركبة ذاتِ الجيادِ الأربعة. إنهم ينصرفون بعيداً!
وتلك مركبتُك. إنَّ التي تراهنين عليها ستكونُ الفائزة؛
ويبدو أنَّ رغباتك وحتى جيادَك تعرف ذلك.
أوه، ياللّجحيم! ماذا يفعلُ؟ لقد بالغَ الفتى
باستغلالِ منصبهِ أكثرَ مما ينبغي. إنهما عنقٌ لعنقٍ أيضاً.

١
بوللوكس وكاستور: توأمان، ابنا ليدا من زيوس الذي جاءها بشكل طائر التم.

أوفيد
الصفحة : ١١٧

أوفيد
الصفحة : ١١٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٤

ماذا تفعل أيها الأبله؟ إنك تدمِّرُ
آمالَ الفتاةِ المثلى. العنان طليق! الآن بشدَّةٍ والعنانُ طليق!
راهنًا على حلزون. اسحبوها، أعطوها الإشارة
أيها الرومان الطيبون! لوِّحوا بتُوجاتِكم في كلِ مكان!(١)
انظري، لقد انسحبوا. ويمكن لعباءتي أن تمنحَك السِّتر،
وهكذا فالتُّوجاتُ الملوحة لن تُفسدَ ترتيبَ شعرِك.
وها هي بوَّابات الانطلاقِ الآن مفتوحةً من جديد
وكلُّ تلك الألوانِ الزاهيةِ تعدو بعيدا.(٢)
والآن هيا، خذِ الطليعة عبر هذه المسافاتِ الرحبة
واجعلْ آمالَها وآمالي تتحقق اليوم.
آمال حبيبتي تحققت اليوم؛ وآمالي تنتظر.
لقد حاز رمزَ انتصاره؛ ورمزُ انتصاري لم يُرفَعْ بعد.(٣)
لقد ابتسمت. وهاتان العينانِ المشرقتانِ وَعَدَتا بشيءٍ بلا ريب.
هذا يكفي هنا. وامنحيني الباقي في مكان آخر.

١

التوجة toga: لباس روماني فضفاض.

٢

كانت ألوان: الأحمر والأبيض والأزرق والأخضر، خاصة بأنصار كل فريق من الفرقاء المتنافسة، وبخاصة الأزرق والأخضر. وفي أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية صارت أحداث الشغب بين أولئك الأنصار أكثر مما يفعله أنصار كرة القدم في أيامنا.

٣

رمز الانتصار هو غصن من الغار أو سعف النخيل. من الواضح أن الفتاة راهنت على إحدى المركبات من لون معين، بينما كان هم الشاعر العاشق أن يفوز بحبيبته.

أوفيد

الصفحة : ١١٨

أوفيد

الصفحة : ١١٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٥

- ٣ -

آمنْ بالآلهة، أوه، نعم! لقد حلفتْ وكسرتْ
يمينَها، ونظراتُها الجميلةُ لا تزال جميلة.
شعرها كان طويلاً قبل أن يحلف قلبها يميناً كاذبة،
وشعرُها الآن طويل كذلك، وإن أساءت لمشيئةِ السماء.
وجنتاها كانتا في بياضِ الثلجِ مع تورُّدِ الخجل،
وما تزالُ الورودُ تتوهجُ وسطَ الثلج.
كانت رائعةً وطويلة، وما تزال طويلةً ورائعة،
وكانت قدمُها صغيرةً عندئذ، وقدمُها الآن أنيقةٌ جدا.

عيناهاكانتا متألقتين، ولا تزالان تشعان كالنجوم،
عينان ما أكثرَ ما تحدَّثتا إليَّ بأكاذيبَ كهذه.
حتى الآلهةُ الخالدة تَدَعُ الفتياتِ يحلفن زورا -
أمرٌ طبيعي - والجمالُ معبودٌ أيضا.

وهي حلفت في ذلك اليوم، مازلت أتذكر جيداً،
بعينيها إياهما وبعيني – وعيناي أصيبتا بالوجع.
قولي لي، أيتها الآلهة، إذا خدعتْكِ ولم تُعاقبْ
لماذا أعاني من هجرِها ما لا أطيق؟
لكنك يومئذٍ، حكمت على أندروميدا بالموت.

أوفيد
الصفحة : ١١٩

أوفيد
الصفحة : ١٢٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٦

عقاباً لذنبِ أمها ولم تَرَيْ في ذلك مايُخجل.(١)
من السوءِ بما يكفي أن يكونَ شاهدُ السماء عديمَ القيمة:
تتعاملُ حرةً مع الآلهة – أما معي – فهي تلعبُ لعبتها.

أينبغي عليَّ أن أكون الضحيةَ المخدوعةَ لتلك المخادعة،
وأن أعاقَبَ لأكفِّرَ عن حنثِها بالقسم؟
إما أن إلهاً لا يعني شيئاً، مجردُ شبح(٢)
يعبثُ بالجِنس البشري بسذاجة تامة،
أو، إن كان هناك، فهو يعشقُ المحبوباتِ الصغيرات
ويسعى لمنحهن الحريةَ الشاملة.
يقف مارس ضدَّنا، نحن الرجال متمسكاً بسيفه العريض
وعلينا تسددُ بالاس حربتَها التي لا تخيب،
وأبوللو العظيم يشدُّ وترَ قوسه نحونا،
وعلينا تقذفُ يد جوف اليمنى العاليةُ لهبَ السماء.
الآلهة المهانة لا تجرؤ أن تجرح مشاعر الفاتنات،
الفتياتُ لا يَخفنَ منها؛ بل هي التي تعاني الخوفَ منهن.

١

أم أندروميدا، كاسيوبيا أثارت غيرة الفريدات (حوريات البحر) وهي تتباهى بجمالها، وكانت الكفارة عن إساءتها تضحية ابنتها (أندروميدا) لوحش بحري. لكن زوجها بيرسيوس أنقذها بعد ذلك.

٢

سخرية الشاعر من تلك الآلهة الوثنية، قبل ظهور المسيحية، هي استمرار لسخريته من النزعة العسكرية لدى الرومان.. ودليل على عبقريته المتألقة.

أوفيد
الصفحة : ١٢٠

أوفيد
الصفحة : ١٢١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٧

من يهتمُّ بحرقِ البخورِ على مذابحها؟
نحن الرجال ينبغي علينا بالتأكيد أن نُظهرَ جرأة أكبرَ في المعاملة.
جوف يُدمر بنارِه الأجماتِ والأبراجَ المقدسةَ
لكنه موقنٌ أنَّ الصواعقَ التي يقذفُها محجوبة
عن الفتيات الحانثات بالأيمان. مع أن العديداتِ جديراتٌ بها،
ولكن سِيميلي، ياللنفس المسكينةِ، أحرقتْ وحدها.(١)

عقوبةُ الفتاةِ المسكينة كانت من صنع يديها
لأنها منحت نفسَها، لكنَّ قلْبَها انقبض
حين جاء عاشقُها، ولأنَّ الأبَ
لم يفعلْ للأم ما فعله من أجلِ باخوس الطفل.
ولكن لمَ الشكوى؟ ولِمَ الإساءةُ إلى كلِ من في السماء؟
للآلهةِ عيونٌ أيضا، وللآلهة قلوبٌ تخفق كذلك.
لو كنت إلهاً لتركت الفتيات يُعدِّلنَ رأسي الإلهي.
فلا يصابُ بالأذى – وهنَّ يمكن أن يكذبن ويخدعن بلا عقاب.

سأحلفُ أن الفتياتِ كنَّ يحلفنَ بصدق،
وأنا لست إلهاً لأتخذَ موقفاً صلبا.
ولكن استعملي موهبتَهن، يا حبيبتي، بمزيدٍ من الحذر –
أو تجاوزي عينيَّ هاتين بأيةِ حالٍ، رجاءً.

١
سميلي (أم باخوس) كانت ضحية خدعة قامت بها جونو إذ أخذت عهداً على جوبيتر أن يغشى سيميلي في درع من الرعد والبرق، وكان ذلك سببا لموتها، لكنه أنقذ ابنهما باخوس.

أوفيد
الصفحة : ١٢١

أوفيد
الصفحة : ١٢٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٨

- ٤ -

إن حراسةَ فتاة جميلة، أيها المتوحش، لا تؤدي إلى أي مكان؛
أخلاقُ الفتاة الفاضلةُ هي الحارسُ الذي تحتاجُ إليه.
والفتاةُ التي لا تخدعُ مراعاةً لما يجب، هي التي ترتكبُ الخداع.
الفتاةُ العفيفةُ بلا إكراهٍ هي العفيفةُ حقا.

الجسدُ الذي يمكن أن تحرسه – يَدَعُ العقلَ مذنبا؛

لا سبيلَ إلى أن تحرسَ أفكارَ فتاةٍ من الإثم.
ولست قادراً على حراسةِ الجسد، وجميعُ الأبواب مغلقة؛
أحكمِ الإغلاق كما تريد، والعاشق مختبىء في الداخل.

حين يكون الإثمُ مباحاً، قليلاً ما تأثَمُ الفتاة؛
السماحُ يُضعفُ بذورَ الشر.
صدقني، إن التحريمَ يُحرضُ على الرذيلة. فَانْبذْه،
وستنالُ هدفَك كلَّما كان اعتراضُك أقل.

رأيت جواداً في يومٍ من الأيام وهو ينطلقُ كالبرق،
ويقاومُ الشكيمةَ والعنان؛
وحالما استسلم برأسه توقَّف،
والعنانُ الجلديُّ يتدلَّى على العُرفِ المتهدِّل.
إننا نقاتلُ للحصولِ على ما هو محظورٌ، ونرغبُ بما هو محرَّم،

أوفيد
الصفحة : ١٢٢

أوفيد
الصفحة : ١٢٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٤٩

هكذا يسيلُ لعابُ الرجلِ المريضِ حبّاً بالشرابِ الممنوع.
كان لآرغوس مئةُ عينٍ في القفا والوجهِ معاً،(١)
أما الحبُّ، وهو فردي، فقد جعل كثيراً من الناس مغفَّلين.
دَانَايْ حُبستْ في مقصورةٍ من الحجرِ والفولاذ؛(٢)
دخلتْ عذراء، لكنَّها حصلتْ على زوج:
وبِنِلوبي ظلَّت طاهرةً لم تُمَسَّ،
مع أنها بلا حرسٍ بين عددٍ لا يُحصى من طالبي يدِها.(٣)
الإنسانُ يرغب بمزيدٍ من الأشياء الموضوعة في خزائن مغلقة؛
والتدابيرُ الوقائيةُ تغري اللِّصَّ، وقليلٌ من الحبِ يُنالُ بالاستئذان.
إن عشقَكَ هو الذي يُبهجهم وليس نظراتها؛
وهم يعتقدون أن ثمة شيئاً ما يستحوذُ عليك.
الأقفالُ لن تجعلَ الصبايا صالحات، ارفعِ السعرَ وكفى؛
ولْتَخَفْ أكثرَ من الرقمِ الذي يحددُ القيمة.
واعترضْ كما تشاء، هناك سحرٌ في الأفراح الممنوعة؛
وهي جادَّةٌ، ما لم تقل >أنا خائفة<.

١
كائن خرافي بمئة عين ، استخدمته جونو لحراستها بعد تحولها ، لكن عطارد قتله بعد تنويمه، ويشير الشاعر إلى أن كثرة عيون آرغوس لم تنفعه.

٢
حبسها أبوها في بيت نحاسي ؛لأنها تنبأت بأنها ستحمل بولد سيقتل أباها. وقد حبلت من جوبيتر. واسم ابنها بيرسيوس.

٣
زوجة أوليس (بطل طروادة) التي ظلت وفيَّة بانتظاره عشرين سنة.

أوفيد

الصفحة : ١٢٣

أوفيد

الصفحة : ١٢٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٠

إن حجزَ حريةِ المرأة أمرٌ غير شرعي،
دَعِ النساءَ الأجنبيات عُرضةً للخوفِ من ذلك.
هل ستكون محتشمةً – لتمنح حارسَها الثقة،
ليضعَ عبدُك ريشة امتيازٍ في قبعتِه؟
إن رجلاً يؤذيه الزنا لابدَّ أن يكون
ريفياً ساذجاً. فهو لا يعرف التقاليدَ
في روما حيث كان توأما مارس، رومولوس وريموس
غيرَ شرعيين – وإيليا هي التي وضعت قاعدة الفحش.(١)
إن كان لا بدَّ أن تأخذها محتشمة، فلماذا تسعى إلى الجمال؟
لا يمكن اقترانهما بأية وسيلة – هاتان الصفتان، لا.
كن واعياً! ولا تكنْ عابسا وجامداً هكذا؛
استسلمْ لها – ولا تطالبْ بحقِ الزوج.

يكفي أن تتودَّدَ لكثرة من الأصدقاءِ الذين ستأتي إليك بهم؛

بلا مشقة، لكنَّ مكافأةً رائعةً ستجيء:
ستحظى دائماً بفرصةِ الانضمامِ إلى حفلاتِ الرجال،
وترى من الهدايا ما لم تقدمْ في بيتك.

١

إيليا: أم ريموس ورومولوس.

أوفيد

الصفحة : ١٢٤

أوفيد

الصفحة : ١٢٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥١

"حين أثقلَ النومُ العيونَ المتعَبةَ في إحدى الليالي
رأيتُ حلماً وكنتُ خائفاً:
هناك، تحت تلٍّ مشمسٍ تنتصبُ
غابةٌ من البلُّوطِ الأخْضرِ تكتظُّ بالجذوع،
وكانت أغصانُها تُواري كثيراً من الطيور،
وفي جوارِ الغابةِ حقلٌ أخضرُ خصيب،
ياله من نسيجٍ عشبيٍّ نديٍّ مزدانٍ بالألوان
والماءُ بجانبه يثرثرُ رقراقا.
هناكَ، بحثتُ عن ملاذ من الحرارة
وفي ظلِّ الأوراقِ اتَّخذتُ مقعدي
(وكانت الحرارةُ تخترقُها جميعاً على حدٍّ سواء)،
حين مرَّتْ، وهي تَلتهمُ الأعشابَ والأزهارَ،
أمام عينيَّ بقرةٌ بيضاءُ رائعة،
أشدُّ بياضاً من باكورةِ الثلجِ الطريِّ وهو يستقر
ولمَّايَذُبْ بعدُ في أجواء أكثرَ دفئا،
وأشدَّ بياضاً من الحليبِ الذي يُهسهسُ
للسّطلِ المزبد وهو يُسحَبُ من الشاَّة.
وحلمت أن ثوراً كان معها الآّن،
وهو يستريحُ بجانبِ محبوبتهِ البقرة
على العشبِ الطري، ياله من عاشقٍ سعيد؛

أوفيد
الصفحة : ١٢٥

أوفيد
الصفحة : ١٢٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٢

وبينما كان يسترخي ويَجترّ ببطءٍ
الطعامَ الذي الْتَهمَه من قبلُ،
رأيتُه والنومُ يَحني عنقَه المفتولَ العضلات
وكان رأسُه وقرناه في حالةِ تربُّصٍ هناك
حين انْسابَ عبر الهواءِ رشيقاً،
قادماً من هناك غرابٌ من أَكَلَةِ الجيف
وراح ينعبُ وهو يستقرُّ على المرجِ المعشب.
ثم هوى على صدرِ البقرةِ البيضاء
وشكَّ منقارَه النافذَ ثلاثَ مرات
لينتزعَ خصلاتٍ بيضاءَ من شعرها.
لَبثتِ البقرةُ فترةً طويلةً هناك،
ثم غادرتْ – لكنَّها كانت تحملُ على صدرِها
كدمةً سوداءَ كبيرةً، ولمَّا رأتْ
ثيراناً في الحقولِ الخصبةِ على مقربةٍ منها
(بعضُ الثيرانِ كانت ترعى في ذلك اليومِ هناك)
جرتْ لتنضمَّ إلى الجماعة،
آملةً أن تجدَ عشباً أوفرَ نوعاً ما.
والآنَ قلْ لي، يا مفسِّرَ الأحلام،
أيَّما امرىء يمكنُ أن تكون،
ماذا تُنبىء هذه الأشياءُ التي رأيتُها
إن أمكن أن يكونَ فيها أيُّ صدقٍ إطلاقا؟"

أوفيد

الصفحة : ١٢٦

أوفيد

الصفحة : ١٢٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٣

وردَّ مفسِّرُ الأحلام عندئذ،
وهو يَروزُ كلَّ كلمة قُلتها، بهذا الجواب:
"الحرارةُ التي سعيتَ أن تنالَ
ملاذاً منها، وعبثاً بحثت عن ملاذ
تحت حفيف الأوراق، هي لوعةُ الحب.
والبقرة البيضاء،كما يدل اللون
تلك البقرةُ هي حبيبتُك، ولونُها لائقٌ
والثورُ، زوجُها (رَجلُها)، هو أنت؛
والغرابُ الذي نقر صدرَها يرمزُ
إلى فاسقٍ قديمٍ يحاول إغواءَها؛

وتلك البقرةُ تربَّتتْ ثم غادرتْ
تعني أنك سوف تستلقي في الفراشِ بارداً محروما؛
وكدمةُ صدرِها السوداءُ تُظهر لي
قلباً مصبوغاً بالزنا".
تلاشى الدمُ من وجنتيَّ، والليلُ
انتصب أمام ناظري عميقاً حالكاً.

أوفيد
الصفحة : ١٢٧

أوفيد
الصفحة : ١٢٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٤

توقفْ أيها النهر، أنت ياموحلَ الضفاف، يا محفوفاً بالقصب،
أنا مستعجلٌ إلى حبيبتي، أتوسلُ إليك أن تقف.
ليس عليك أيُّ جسرٍ ولا من مَعدِّيَّةٍ مشدودةٍ بحبل
لكي تحملَني من دون حركةِ المجاذيف.
لم أكنْ لأخافَ أن أخوضَك، يوم كنتَ ضئيلا
وكعباي جافّان تقريباً، على ما أذكر.
أما اليومَ فقد ذاب الثلجُ متدفقاً من الجبال
وفيضانٌ هائلٌ طاغٍ يجري مدوّماً في الجوار.
أيُّ خيرٍ في رحلةٍ تختصر ساعاتِ الراحة،
واصلةً الليل بالنهار بإلحاحٍ شديد،
حتى أقف هنا، ولا من وسيلةٍ ترجى
لوضع قدمي على الضفة الأخرى التي تقابلني؟
أريد أجنحةَ بيرسيوس، عندما حَمَلَ
رأسَ ميدوزا مكلّلاً بالأفاعي المروّعة؛(١)
أريد المركبةَ الطائرة التي نقلت
بذورَ كيريس إلى الأرضِ البكرِ لأوّلِ مرةٍ – (٢)

١
بيرسيوس، ابن جوبيتر وداناي، لبس الحذاء المجنح عندما قتل الغولة ميدوزا وأنقذ زوجته أندروميدا.
٢
كيريس (أوسيريس):إلهة الزراعة. ومن عربتها نثر تريبتوليموس (المخترع الأسطوري) بذور القمح على الأرض.

أوفيد
الصفحة : ١٢٨

أوفيد

الصفحة : ١٢٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٥

كلها أكاذيب، حكايات جن من نسج شعراء قدماء؛

إنَّ أمثالَ تلك الأشياء لم تُوجَدْ ولن توجدَ أبداً.
خيرٌ لك، أيها النهرُ الطاغي، أن تنسابَ في سريرِك المناسب
(وإلاَّ، فلتكنْ دائماً في حالةِ فيضان!)
صدِّقْني أنك ستكون مكروهاً بما لا تطيق،
لو انتشر النبأُ بأنك سددتَ طريقَ عاشق.

على الأنهارِ أن تفعلَ ما في وسعِها لمساعدةِ العشاق؛
فالأنهار كابدتِ الحبَّ أيضاً وتعلَّمتْ سحرَه.
إنَّ إيناخوس من شدةِ ولعه بميلي (١)
جرى شاحباً وأصبحت أمواجُه الجليدية كلُّها دافئة.
والسنواتُ العشرُ في حصارِ طروادةَ لم تكن قد انتهتْ بعدُ
عندما فَقَدَ إكسانثوس قلبَه لدى نايِيرا. (٢)
ألم يكنْ حبُّ أريثوسا صادقاً
حتى جعلتْ ألفيوس يتدفَّق في الأرض منفردا؟(٣)

١

إيناخوس: نهر في أرغوس، وهي مدينة في بيلوبونيس جنوب اليونان.

ميلي: من حوريات الماء التي هام بها إيناخوس.

٢

إكسانثوس هو سكاماندر، كما ذكر هوميروس. لكن قصته مع حورية الماء غير معروفة. ونايير ا: حورية من حوريات الماء.

٣

أريثوسا هربت من عاشقها ألفيوس فتحولت إلى ينبوع يتدفق تحت البحر من أركاديا في بيلوبونيس إلى جزيرة أورتيجيا قرب صقلية. وقد لحق بها وامتزجت مياهه بمياها.

أوفيد

الصفحة : ١٢٩

أوفيد

الصفحة : ١٣٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٦

وانطلق بينيوس بعيداً إلى ثِيا

وكْرِيوس التي كانت ستغدو عروسَ إكسوثوس(١)

وأسوبوس الذي هام بابنةِ مارس، كما تذكر

وثيبي، التي كانت أُمًّا لخمس فتيات.(٢)

وإن أسألْ أخيلوس أين قرونُه
فإنَّ غضبَ هرقل قد خلعها – (٣)
ولم يكنْ كاليدون ولا أتوليا جديرين بذلك
إنما ديانيرا كانت تساوي العالمَ في ذلك اليوم
والنيلُ الغنيُّ المشهورُ، بمَصبَّاته السبعةِ
وهو يُخفي جيداً موطنَ مياهه الغزيرة، (٤)
لم تستطعْ فيضاناتهُ المدومةُ أبداً أن تتغلبَ
على اللهبِ الذي أشعلتْه إيفانثي، ابنةُ أسوبوس. (٥)

١

بينيوس في ثيسالي، شمال شرق اليونان. كريوس: زوجة جيسون بعد ميديا. ولم تذكر علاقتها السابقة إلا هنا.

٢

أسوبوس في بيوتيا، شرق اليونان. ثيبي: أحبها مارس.

٣

أخيلوس: في أتوليا، غرب اليونان. قاتل هرقل للحصول على ديانيرا، ابنة إينيوس ملك كاليدون، وهي قصة مشهورة تحدث عنها أوفيد في (التحولات). وكانت آلهة الأنهار تمثل بقرون عادة.

٤

كانت منابع النيل من الألغاز الجغرافية في العالم وقد ظلت كذلك حتى العصور الحديثة.

٥

قصة إيفانثي غير معروفة.

أوفيد
الصفحة : ١٣٠

أوفيد

الصفحة : ١٣١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٧

وإنيبيوس أمرَ مياهَه أن تتوقفَ لتدعَه
يعانقُ تايرو؛ توقفتْ فَمُنِيَ بالجفاف.(١)
وهناك النهرُ الذي يتلوَّى عبر الأقنيةِ الصخرية
ويغسلُ أراضيَ البساتينَ في تيفولي، (٢)
النهرُ الذي سحرتْه إيليا، مع أنَّها لم تكن مرتَّبة
وقد جرحت الكارثةُ وجنتيها وانتزعتْ خصلاتِها.(٣)
وكانت تتفجعُ لجريمةِ خالِها والإثمِ الذي اقترفه مارس،
وهي تطوفُ حافيةً عبر القفار،
ومن منحدراتِه الهادرةِ رآها آنيو(٤)
وثار في مياهِه وصاح بلهفة:
<لماذا تذرعين ضفافي جيئةً وذهابا وأنتِ مضطربة،
إيليا، يا طفلةَ طروادةَ وسلسلةِ نسبها؟
لماذا تسيرين وحيدةً؟ لماذا تَتَجرجرين في الوحل؟
ولا من شريط أبيضَ مجدولٍ لتربطي شعرك؟

١

إينيبوس: في ثيسالي من بلاد الإغريق.

٢

مدينة على نهر أينو، بالقرب من روما.

٣
إيليا، ريا سيلفيا، عذراء ربة الموقد، أغواها مارس فولدت ريموس ورومولوس لكن خالها أموليوس حكم عليها بالتخلي عنهما وإلقائهما طافيين على النهر. وقد نجيا وأرضعتهما ذئبة – كما تروي الأسطورة وهما مؤسسا روما.
٤
ويقال إنها انتحرت في التيبر أو آنيو، والرواية الدارجة أن آنيو تزوجها.

أوفيد
الصفحة : ١٣١

أوفيد
الصفحة : ١٣٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٨

لِمَ تلك الدموعُ الحرَّى، ولماذا تؤذين عينيك بالبكاء،
ولِمَ صدرُك مرضوضٌ وعارٍ في نوبةِ سعار؟
إن من لا تَهزُّه عبراتٌ على وجنتين بمثلِ هذه الرقة
فلا بد أن حبةَ قلبِه القاسي من الحديدِ والصوَّان.
كفاك خوفاً يا إيليا! إن قصري ينتظرك،
وأمواجي ستُهلِّلُ مرحِّبةً بك، إيليا، كفاكِ خوفاً!
مئةُ حورية أو أكثرُ تسكنُ في مياهي،
وستحكمين ملكةً على مئةِ حوريةٍ أو أكثر

أتوسَّلُ إليكِ، يا أميرةَ طروادةَ، لا تَزدري بي
وستَنالين من الهدايا أغنى من وعوديكم تمنَّيتُ لو متُّ وأنا عذراءُ
وفي قبرِ أبي استراحتْ عظامي
لِمَ طُلبتْ يدي للزواجِ، وأنا كاهنةُ فيستا(١)

١
فيستا: إلهة نار الموقد عند الرومان.

أوفيد
الصفحة : ١٣٢

أوفيد
الصفحة : ١٣٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٥٩

وقد رفضني اللهبُ الطرواديُّ مجلَّلةً بالخزي؟
ولِمَ أبقى في الحياة، وأنا بَغيٌّ يشيرُ الناسُ إليَّ؟
فإلى الفناءِ ذلك الوجهُ الذي يحملُ وصمةَ العار!"

قالت ذلك، وهي ترفعُ أمام عينيها المتورِّمتين
ثوبَها، وهكذا ألقت بنفسِها في التيَّار.
النهرُ، انزلقت يدُه خلسةً إلى ثدييها،
وجعلها زوجتَه في قاعِ المجرى.
وأنتَ أيضا وجدتَ فتاةً ما تمنحك الدفءَ، كما أعتقد
لكنَّ الأشجارَ والغاباتِ تُخفي مجراك الخطِر
إن أمواجَك المرتفعةَ تفيضُ إلى مدىً أبعد، حتى وأنا أتكلم
وسريرُك العميقُ لا يستطيع احتواءَ قوةِ مياهك.
أيها النهرُ المتوحشُ، ما أسوأ طباعك، لماذا تضايقني
قاطعاً رحلتي، محبطاً أفراحي التي أشارك فيها؟
ربما كنت نهراً مميزاً، أو مشهوراً،
معروفاً في جميع أنحاء العالم ولا ندَّ لك –
ولكن ليس لك اسمٌ– فيضٌ من السيول المنحدرة –
وليس لك أصلٌ ولا موطنٌ تدَّعيه لنفسك.
لأن النبعَ الذي تخرج منه هو من الأمطارِ والثلوجِ الذائبة،
الثروةُ التي يأتي بها الشتاءُ الخامدُ من الأعالي.

أوفيد

الصفحة : ١٣٣

أوفيد

الصفحة : ١٣٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٠

إمَّا أن تكونَ بنياً وموحلاً في النهارات القصيرة (١)
أو يشهد الصيفُ سريرَك جافاً ومغبرّاً.
وعندئذ أيُّ عابرِ سبيلٍ يمكن أن يشربَ منك،
وأيُّ صوتٍ شاكرٍ يتلو البركاتِ على رأسك؟
كم من الخسائر تُسبِبُ للقطعان، ومزيد منها للأراضي المحروثة؛
إنها تضايق الآخرين، وخسارتي تضايقني.
وكم كنت مجنوناً حين أدرجت حبَّ الأنهار في بيان!
من العارِ أن أعدِّد أسماءً كتلك لا تستحق الذكر،

وأن أتحدَّثَ عن إينخاوس وأخيلوس
وأسمِّيَ النيلَ وهو قبل ذلك نكرة!
أيها التيارُ المغشَّى بالضباب، أتمنَّى لك أحوالَ الصحراء،
الأيامُ المشمسة ضارية محرقة، والشتاء جاف دائما.

١
واضح من السياق أن نهار الشتاء قصير، لذلك آثرت كلمة (نهار) على (يوم) الكلمة التي تضم الليل والنهار معاً.

أوفيد
الصفحة : ١٣٤

أوفيد

الصفحة : ١٣٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦١

- ٧ -

نسخة مارلو، وهي محدثة قليلا]

نعم، كانت جميلةً وأنيقةَ اللباس،
إنها الفتاةُ التي حلمت بها طويلاً،
ورغم ذلك فقد استلقيت معها خائراً وكأنني ما أحببت
ياله من عبءٍ مخزٍ على السرير الذي لا يتحرك.
ومع أننا كلانا كنا واثقين من عزمنا،
ولكني لم أستطع أن أُلقي مرساتي حيث اعتزمت.
هي التي وضعت ذراعيها العاجيين حول عنقي،
وذراعها أشد بياضا من ثلجِ سيثيا بكثير، (١)
وبلهفة قبَّلتني بلسانها
ودفعت بفخذها الشهواني تحت فخذي.

نعم، ولقد هدَّأتني تماماً ودَعتني مولاها

واستعلمتْ كلَّ كلامٍ يمكن أن يستفزّ ويُثير.
ومع ذلك كنت كأنني تناولت شرابَ الشَّوْكرَان(٢)
لقد قهرني، ومال برأسي منتكساً حتى استغرقت.
وكجذعِ شجرة، ثقلٌ لا جدوى منه، تمدَّدت.
هل كنتُ شبحاً أم شخصاً، من يستطيعُ أن يقرر؟

١
سيثيا: بلاد في شمال البحر الأسود.
٢
شجرة يستخرج من ثمرها شراب سام.

أوفيد
الصفحة : ١٣٥

أوفيد
الصفحة : ١٣٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٢

وماذا سوف تفعلُ شيخوختي، إذا حَظيت بواحدةٍ
ما دامتْ قوتي في شبابي منهوكةً مستهلكة؟
أنا أحمرُّ خجلاً لأني شابٌ مشحونٌ باللهبِ والاشتهاء،
وبرهنتُ أني لا شابٌّ ولا رجلٌ، إنما عجوزٌ وصدىء.
إنها وردةٌ طاهرة، كراهبةٍ للتضحية
أو كالتي تستلقي مع أخيها الرقيق.
ورغم ذلك كنت قد غَشيت كلايد الذهبية مرتين
وليباس وبيثو ذات الوجنتين البيضاوين ثلاثاً(١)
والتمستْ ذلك كورينا بلهفة ذاتَ ليلة صيفية
فأدَّينا تسعَ جولاتٍ لذيذةٍ قبل انبلاجِ الفجر.

يا ويلي، أأكون قد تسمَّمتُ بعقاقيرِ ساحرة ما؟
وهل الرُّقَى والأدويةُ تُلحقُ بي كلَّ هذا الأذى؟ يالشقائي!

أتراها صبَّت صورتي في شمع أحمر؟
وراحت تَشكُّ كبدي برؤوس إبرِها
التعاويذُ تحوّلُ القمحَ إلى أعشابٍ وتودي به إلى التلف،
والتعاويذُ تودي بالأنهار والينابيعِ الجاريةِ إلى الجفاف.
بالتعاويذِ ينفصلُ جوزُ البلُّوطِ عن أمِّه وتَسقطُ الأعنابُ من الكرمة

١
كانوا يفضلون الأسماء الإغريقية للنساء المشبوهات، وهذه الكلمات تعني: الفجور، والجدول أو الغدير، والإقناع، وفق ترتيبها.

أوفيد
الصفحة : ١٣٦

أوفيد
الصفحة : ١٣٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٣

والثمارُ تهوي من الأشجار وليس هناك من ريحٍ أبدا،
فلماذا لا تكونُ أعصابي عندئذ مسحورةً،
وأصابُ بالإغماءِ وكأنمَّا انتابتني روحٌ ما؟
أضِفِ العارَ إلى ذلك: العارَ الذي أضناني ليأخذَ مجراه،
وكان السببَ الثانيَ للوَهَن الذي مُنيَتْ به قوَّتي.
ولكن ياَلَها من فتاة لمستُها ورأيتُها لا أكثر،
وأنا ملتصقٌ بها كالثوبِ الذي ارتدته!
مع أن لمستَها يمكن أن تُجددَ شبابَ نِستور،(١)
وتجعل تيثونوس الخرفَ مفعماً بالاشتهاءِ من جديد. (٢)
نعم، هَمَمْتُ بها ، وهمَّتْ بي- إنما عبثاً
فإذا التمستها ثانية ، فبأي شيء أرغب أكثر؟
أظنُّ أنَّ الآلهةَ العظيمةَ أسفت لأنها منحتني
الموهبةَ التي أسأتُ استعمالها بخزيٍ لا حدَّ له.
تمنَّيتُ أن تَستقبلَني في بيتها، فنلتُ ما تمنَّيت
وأن أُقبِّلها، فقبَّلتُ؛ وأن أستلقي معها فهيأتْ لي ذلك.
ياله من طالعٍ حَسن! لماذا أُمنَحُ التاجَ، وأرفضُه؟
حصلتُ على ذهبِ بخيلٍ ولم أستطعِ استعمالَه،

١
محارب قديم في جيش الإغريق، قبل طروادة، وهو مضرب المثل بالحياة المديدة.
٢
تيثونوس: زوج أورورا التي هيأت له الخلود لكنها نسيت أن تطلب له الشباب الدائم.

أوفيد
الصفحة : ١٣٧

أوفيد
الصفحة : ١٣٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٤

مثل تانتالوس في البِركةِ التي طال الحديثُ عنها، (١)
وهو يحدِّقُ إلى الفواكهِ ولا يستطيع لمسَها.
هل من رجلٍ ينهضُ هكذا مبتعداً عن صبية.
عندما ذهبت مباشرةً إلى المعبدِ وصلَّت؟

لعلَّها لم تُقبِّلني كما ينبغي لها،
ولم تستعمل المكرَ والبراعةَ وهي قادرةٌ على ذلك.
كلا! كان في وسعِها أن تغلق بابَها وتحرك الصخرَ الصُّلبَ.

وتُسمعَ كلماتُها العذبةُ المشاغبين الصم.
إنها كانت أهلاً لتحريكِ جميعِ الرجالِ الأحياء،
لكني لم أكنْ رجلاً ولا حيًّاً في ذلك الحين.
هل تستطيع الآذانُ الصمَّاءُ أن تبتهجَ حين يغني فيميوس؟(٢)
ويستمتع تاميراس بالأشياء الملونة الزاهية؟(٣)
فكم من طرقِ الحبِّ الجميلة التي لم أبتكرها بعد،
وكم من الأوهامِ جاءت في صمت!
ولكن برغم ذلك، كان يتمدَّد مثلَ ميت
مَلوِيَّ العنقِ أكثرَ من وردةٍ قُطفتِ البارحة.

١

كان عقابه في البركة أن ينحسر الماء كلما حاول أن يشرب منه، وتبتعد الفاكهة عن متناول يده كلما حاول قطفها ليأكل.

٢

فيميوس: شاعر بلاط أوليس.

٣

حكمت عليه ربات الفنون بالعمى لأنه تحداها في مباراة الغناء.

أوفيد
الصفحة : ١٣٨

أوفيد
الصفحة : ١٣٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٥

وها هو الآن كالسهمِ استقامةً، حين لاينبغي له ذلك
توّاقٌ للقيامِ بمهمتهِ، وهو يسعى لخوضِ معركته.
استرخِ في مكانك مجلّلاً بالعارِ وإياك أن تتحركَ بعد اليوم!
لقد سحرتني بوعودك من قبل.
أنت خدعتني حتى أُخذتُ أسيراً بلا سلاح،
وتحمَّلتُ خزياً كبيراً ومحنةً موجعة.
ما جرى يكفي، فالحسناءُ لم تأنفْ أبدا
أن تأخذَه في يدِها وتلعبَ به.
ولكن حين رأتْه ولا سبيلَ إلى انتصابه،
إنَّما لا يزالُ ملويَّ العنق، لا مبالياً بيدِها،
صرخت: >لماذا تسخرُ مني هكذا، وإن كنتَ مريضا،
من أمرَك بالاستلقاءِ هنا ضدَّ إرادتك؟
إمَّا أن تكونَ مخلوبَ اللبِّ وأنت نصفُ ميت،
أو أنك جئتَ منهوكَ القوى من سريرِ إحداهنَّ<.
قالت ذلك ثم وَثَبَتْ بعيداً عني، في عباءتها الفضفاضة
(وكان منظراً جميلاً أن أرى قدميها العاريتين)
ولكي تُخفيَ هذا العارَ مخافةَ أن
تدري خادماتُها به، سكبتِ الماءَ على الأرض.

أوفيد

الصفحة : ١٣٩

أوفيد

الصفحة : ١٤٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٦

– ٨ –

الفنون الحرة – هل من شخص يحترمها،
أو يرى أن هناك قيمة في شعر الحب؟
مضى الوقت يوم كان الذهب يعد أقل قيمة من العبقرية؛
واليوم فإن من السوقية المطبقة ألا تملك شيئاً.

ومع أن حبيبتي تمنح عملي استقبالاً حميما،
فأنا لا أستطيع أن أذهب بنفسي إلى حيث تذهب كتبي،
لقد أثنت عليها، لكن بابها موصد على ثناءاتها؛
إن عبقريتي في الخزي تتجرف يميناً وشمالاً.
حديث الثراء هو الذي صنعت جراحه ثروته،
والفارس الذي هدر دمه يغتصب مكاني.(١)
هل في وسع ذراعيك الجميلتين، ياحبيبتي، أن تطوقا ذلك الرجل؟
وهل في مقدورك أن تستلقي في حضن ذلك الرجل، يا حبيبتي؟

ذلك الرأس لبس خوذة يوماً، ولعلك لا تدرين،
والجانب الذي يلبي رغبتك حمل سيفاً من فولاذ.
وتلك اليد اليسرى، حيث تبدو حلقته الجديدة غير لائقة،(٢)

١
كانت الفروسية مجالاً للحصول على الثروة السريعة. والشاعر يشير إلى أن أجداده كانوا من الفرسان.
٢
الحلقة الجديدة: حلقة ذهبية يضعها الفارس في زنده.

أوفيد
الصفحة : ١٤٠

أوفيد
الصفحة : ١٤١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٧

كانت تحمل درعه؛ ويده اليمنى هناك – يكفي أن تتلمسيها –
ارتكبت قتلاً دموياً عمداً – أتطيقين لمسها؟

يا حسرة، أين رقة قلبك الحنون؟

انظـــري إلى تلك الندوب، علامات المعارك الغابرة –
إن جسمه اشترى له كل ما يملك.
ولعله سيروي كم من الرجال ذبح؛
أيمكنك، لأجل الذهب، أن تلمسي تلك الأيدي التي تعترف؟

أعليَّ أنا، كاهن فيبوس وربات الفنون،
أن أنشد أشعاراً بلا جدوى لدى باب موصد بالرتاج؟
إن كنت حكيماً، فلا تتعلم ما نعرفه، نحن العاطلين عن العمل
ولكن خطوط القتال وأسلحة الحرب الضارية.
حاول تنظيم الصفوف بدلاً من ترتيب الأبيات؛
وجند هوميروس، وستكون داخل الرتل فوراً.
إن سلطة الذهب هي العليا، وجوف يعرف ذلك جيداً؛
جعل نفسه الأجر حتى ينال الفتاة.(١)
وقبل الصفقة كانت الأبواب من برونز، والبرج

١
هي داناي، وقد مرت قصتها: فقد ذكرت النبوءة أنها ستلد من يقتل أباها، لذلك حبسها في برج من البرونز والحديد. لكن جوف (جوبيتر) جاء في شكل وابل من الذهب فحملت ووضعت (بيرسيوس).

أوفيد
الصفحة : ١٤١

أوفيد
الصفحة : ١٤٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٨

من حديد، والأب قاسياً والبنت متزمتة.
ولكن حين جاء الفاسق الماكر في شكل مال
منحته الهدية المطلوبة – نفسها.

ومع ذلك،حين كان ساتورن العجوز يحكم السماء (١)
كانت الأرض تحتفظ بثروتها في الظلام العميق.
كانت تخزن الذهب والفضة والحديد والنحاس
في جوفها مع الأشباح: ولا من قوالب، بالتأكيد
لكنها أعطت ما هو أفضل، غلالاً من حقول لم تحرث،
وفواكه، وعسلاً من شجرة مجوفة،
ولا من أحد شق التربة بسكك المحراث القوية
ولا من مساح علم التخوم.
ولا من مجاذيف مغمورة خطَّت مسالك عبر المحيط،
وأطول رحلة للإنسان كانت تنتهي عند الشاطىء.

فيا أيتها الطبيعة البشرية، ما أبرعك في تدمير الذات!
وأنت أذكى مما ينبغي، فيما يتعلق بالمآسي المعروضة في السوق!

أي خير ينوبك من مدن مطوقة بالمتاريس،
وأي خير أن تعطي الرجال أسلحة في العداوة؟
وأي خير في البحر – ينبغي أن تكوني قانعة

١

ساتورن: والد جوبيتر، كبير آلهة الرومان.

أوفيد

الصفحة : ١٤٢

أوفيد

الصفحة : ١٤٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٦٩

باليابسة. لم لا تبغين مملكة ثالثة في الجو؟(١)

نعم، إن أمكنك ذلك، ستطالبين بالسماء أيضا:

فأنت تؤلهين باخوس، ورومولوس وهرقل،

والقيصر أيضاً. فنحن لا ننقب بحثاً عن طعام بل من أجل الذهب؛

ومن أجل المال يريق الجنود دمهم ويقاتلون.

مجلس الشيوخ موصد دون الرجال الفقراء؛ فالثروة تمنح الشرف،

والثروة تجعل الماضي الجليل فارساً مغروراً.

حسناً، دعهم يمتلكون القدر. دع المحاكم والمجالس

تنحني لهم؛ ودعهم يدبرون الحرب والسلام،

ما دام حبنا الصادق غير قابل للمزاد،
فثمة شيء ما متروك للفقراء، وذلك يكفي.
والآن ولو أن فتاة أمكنها أن تجاري السابينات
فالرجل بهداياه يسيطر عليها مثل عبد.
أما أنا – فهي تخاف زوجها بسببي،
ويوصد البواب الباب في وجهي؛ ولو كان الأمر لي
لجعلت الاثنين يتركان البيت مفتوحاً على مداه
ويتواريان. وإكراما لإله عادل،
عليَّ أن أنتقم للعاشق المستضعف، انتقاماً شديداً
وأحول ثروتهم التي جنوها بالحرام إلى رماد!

١

يبدو أن سخرية أوفيد امتدت إلى عصرنا الذي ملأ الأجواء بالطائرات الحربية والصواريخ وسفن الفضاء.

أوفيد
الصفحة : ١٤٣

أوفيد
الصفحة : ١٤٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٠

- ٩ -

لو من أجل أخيل، لو من أجل ميمنون الميت، (١)
أما هما حزننا، إن كان في وسع الآلهات أن تتفجع،
اندبي، أيتها المرثاة، وحلي شعرك وأهمليه -
ومن المؤكد أنك أخذت اسمك مما ذرفت من دموع حزينة

إن تيبوللوس، شاعرك الخاص، مجدك، هو الآن(٢)
جثة هامدة على المحرقة الشاهقة تلتهمها النار.
انظري، ها هو ابن فينوس يحمل كنانته مقلوبة(٣)
مع شعلة منطفئة وقوس مكسورة، يا حسرة.

تأملي كيف يمضي محزوناً وجناحاه متدليان،
كيف تتساقط العبرات على شعره الطويل المشعث،

١

أخيل: بطل الإغريق في حرب طروادة. وقد قتل ميمنون (ابن تيثونوس وأورورا) قبل الحرب. وكانت الطيور تخرج من رماده لتتعارك على قبره في ذكرى مصرعه.

٢

مات الشاعر تيبوللوس في ١٩ ق.م. وكان أوفيد في الرابعة والعشرين. ولم تكتب القصيدة في تلك الفترة وإنما بعد ذلك.

٣

تنكيس الأسلحة كان تعبيراً عسكرياً عن الحزن.

أوفيد

الصفحة : ١٤٤

أوفيد

الصفحة : ١٤٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧١

وكيف تمزق شهقاته المرتفعة رئته اللاهثة،
وكم هي قاسية تلك القبضة التي تلطم صدره العاري.

وهو تفجع هكذا يوم مات أخوه،
يوم مضى أنياس من قصر لولوس؛(١)

والآن ليست فجيعة فينوس بهذا الموت بأقل
مما كانت يوم طعن الخنزير البري الضاري فخذ أدونيس.(٢)

نحن الشعراء مصنفون كأننا عناية السماء المقدسة
الألوهية تجري في عروقنا، كمايقولون،
لكن كل شيء مقدس ينتهك حرمته الموت القاسي؛
ولا ينجو من براثنه الخفية أي شيء.

والدا أورفيوس العظيمان – ماذا استفادا؟(٣)

١

لولوس: ابن أنياس.

٢

إشارة إلى الأسطورة البابلية ومصرع تموز (أدونيس) وحزن عشتار عليه، والشاعر يماهي بين فينوس وعشتار، وبين أدونيس وتموز.

٣

والدا أورفيوس: أبوللو وكاليوبي (ربة الشعر الملحمي). ويضرب المثل بعزفه السحري على القيثارة. وأوفيد يعني أنه لا يقل أهمية عن ابن الإله أبوللو.

أوفيد

الصفحة : ١٤٥

أوفيد

الصفحة : ١٤٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٢

أو تلك الأغنية التي خضعت لقوتها السحرية الوحوش؟

والقيثارة الكارهة للحزن في الغابة الوحشية
وعويل أبيه يردد: "آه، لينوس، يا لينوس".
وهوميروس كذلك، وهو يستلهم ينابيع غنائه
من تدفق ربات الفنون على شفاه الشعراء إلى الأبد،
غاص إلى أعماق أفيرنوس في يومه الأخير:(١)
الشعر، الشعر وحده ينجو من المحرقة التي لا تشبع.
في الشعر تواصل أحداث طروادة الحياة، (٢)
ولن تحل براعة الليل ذلك النسيج الممل.
وهكذا ستنعم نيميسيس وديليا بالشهرة،(٣)
أي نفع في تلك الطقوس المصرية،
وتلك الدفوف، وطهارة هذه الليالي الطويلة؟
عندما يحكم القدر المشؤوم على الرجال الطيبين،
فليغفر لي إذا كنت لا أؤمن بالآلهة أبدا!
عش باستقامة – وستموت؛ وابذل جهدا مضنيا في الصلاة –
الموت يجرك من العبد إلى القبر.

١
أفيرنوس: بحيرة تشكل في الأسطورة المدخل إلى العالم الآخر.
٢
يقصد الشاعر الإلياذة: والنسيج إشارة إلى ما كانت تفعله بنلوبي في غياب زوجها أوليس، إذ كانت تنسج في النهار وتحل النسيج في الليل لتبعد طالبي يدها بعد أن وعدتهم بقبول الزواج بعد إنهاء النسيج.
٣
نيميسيس وديليا من معشوقات تيبوللوس.

أوفيد
الصفحة : ١٤٦

أوفيد
الصفحة : ١٤٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٣

ضع ثقتك في الشعر الجيد – وتأمل، إن تيبوللوس يتمدد أبكم،
وإن جرة صغيرة تستطيع أن تستوعب ما تبقى.(١)
أيها الشاعر المقدس، كيف استطاعت النيران أن تلتهمك
وتتغذى على قلبك ولا تشعر بأي خوف؟
النيران التي استطاعت أن تتجرأ على اقتراف جريمة كهذه،
في مقدورها أن تحرك المعابد الذهبية للآلهة العظيمة حتى تتفحم.
الإلهة التي اتخذت عرشها في أعالي إريكس(٢)
أدارت وجهها الحزين جانباً، وبعضهم قال إنها بكت.
لكن هذا أفضل من أن تحتفظ كورسيرا(٣)
بتلك الجثة مدفونة في قبر وضيع مجهول.

لأن أمك هنا أغلقت عينيك الزائغتين،
وهنا حملت الهدايا الأخيرة إلى رمادك،
وأختك جاءت إلى هنا، وخصلات شعرها الوحشي منتوفة
لتشارك أمها المحزونة في محنتها.

١

الجرة التي احتوت على رماد جثمانه.

٢

إريكس جبل في شمال غرب صقلية، فيه هيكل مشهور لفينوس.

٣

كورسيرا: جزيرة يونانية. وأفكار الأبيات (٤٧ – ٥٨) مقتبسة من مرثاة كتبها تيبوللوس على فراش الموت، بعيداً عن أهله. لكن أوفيد أعاد صياغتها وقلب بعض الأحداث جاعلاً أمه وأخته وديليا حاضرات.

أوفيد

الصفحة : ١٤٧

أوفيد

الصفحة : ١٤٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٤

ونيميسيس وحبيبتك الأولى منحتا
قبلاتهما المغرمة كذلك، وقدمتا كلتاهما الهدايا لدى المحرقة.
وقالت ديليا: "كنت تحيا يوم كنت نارك:
كنت المحظوظة التي تشاركك حبكلماذا تندبين خسراني؟
كانت يده الواهنة تمسكني حين جاءه الموت".
ومع ذلك، لايبقى إلا الطيف والاسم،
وتيبوللوس يسكن في رحاب النعيم،

ويأتي لتحيته، وجباههم مكللة بالغار،
كالفوس وكاتوللوس وأنت يا غاللوس كذلك(١)
مالم تكن التهمة التي أساءت للصداقة صحيحة
يا غاللوس، يا من نبذت الحياة والروح بعيداً.
روحك تنضم إليهم، إذا كانت الأرواح باقية أبداً؛
أنت، أيها الصديق الكريم، معدود مع المباركين
وأنا أتوسل أن تستقر عظامك في الجرة آمنة،
وأن تكون وطأة الأرض خفيفة في مدفنك.

١

كالفوس: شاعر معروف بملحمته المصغرة (آيو)، لكنها فقدت بعد أن تركت تأثيرات واضحة في الشعراء التالين. وكاتولوس صديقه، وغالباً ما يذكران معاً. أما غاللوس فقد خسر صداقة أغسطس، بسبب سلوكه غير اللائق. لم يحتمل العار الذي لحق به فانتحر. ودفاع أوفيد غير المباشر عنه لا ينبع من موقفه السياسي وحده، وإنما لأنه شاعر أيضا.

أوفيد
الصفحة : ١٤٨

أوفيد
الصفحة : ١٤٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٥

- ١٠ -

هوذا مهرجان سيريز السنوي يطل علينا،(١)
وحبي يستلقي وحيداً في السرير ليلاً.
أيتها الإلهة الذهبية، المكللة بسنابل القمح،
لماذا يقضي عيدك بكبت ابتهاجنا؟
إن أمم العالم تمجد غلالك
وما من إلاهة تعطي البشرية مخزونا أوفر.
قبل مجيئك لم يقم أي فلاح خشن.
بشيٍّ الذرة، لا أحد كان يعرف باحة الدرس.

أشجار البلوط زودت الكهنة الأوائل بالجوز
ذلك كان غذاء الناس، والأعشاب والأوراق الطرية.
سيريز كانت أول من علَّم استنبات البذور في الأثلام
وهي أول من حصد بالمنجل الحزم الملونة.

جعلت الثيران تحني أعناقها للنير، والمحراث
يشق بسكته أثلاما في قلب الأرض القديم
أيمكنها أن تستمتع بدموع العشاق، وعبادتها
تزدهر على آلام لياليهم وهم منفصلون؟

١

سيريز (واللفظ اللاتيني القديم: كيريس): إلاهة الزراعة عند الرومان.

أوفيد
الصفحة : ١٤٩

أوفيد
الصفحة : ١٥٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٦

إنها تحب الحقول الخصبة، لكنها ليست فلاحة
وقلبها ليس غائباً عن دروب الغرام،
وكما تشهد كريت – (وأبناء كريت ليسوا كاذبين دائما؛(١)
كانت كريت يوماً مزهوة بأنها مرضعة جوف.(٢)
هناك أرضع يوماً وهو طفل صغير (٣)
سيد السماء المرصعة بالنجوم وحاكمها الجبار.
وربيبها بالرضاعة يوافق على أنها شاهدة).
وفي اعتقادي أن سيريز لن تنكر تهمتي.

رأت إياسيوس عند سفح جبل آيدا،(٤)
يصطاد طريدته فلا يخطىء الهدف؛
رأته – فأضرم لهب في قلبها،
وهناك تصارع الحب والخجل جيئة وذهاباً.

١

هذه العبارة المسيئة يكررها أوفيد في (فن الحب) وهي مأخوذة عن الشاعر إبيمينيديس EPIMENIDES إذا يقول: أبناء كريت دائماً كاذبون..

٢

جوف: جوبيتر أوْ زيوس، حين أنقذه أبوه (كرونوس أو ساتورن) نشأ على حليب عنزة.

٣

هناك: في كريت.

٤

قصة حب سيريز (ديميتر) وإياسيوس تحدث عنها هوميروس باختصار، وكانت نهايتها أن زيوس قتل إياسيوس لوقاحته.

أوفيد

الصفحة : ١٥٠

أوفيد

الصفحة : ١٥١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٧

انتصر الحب، وفي وسعك أن ترى الأثلام الجافة القاسية،
والمردود الهزيل الشحيح الذي أعطته البذور الآن.
مع أن الحقول كانت محفورة بمعاول جيدة القصد،
والتربة القاسية مشقوقة بالمحراث المنحني،
البذور منثورة بالتساوي عبر الأطيان الواسعة،
وعبثاً كان العهد الذي أخذه على نفسه ذلك المزارع المخدوع.
والإلاهة الحبلى في أعماق الغابة مأخوذة بالمغازلة؛(١)
وقد سقط عن جبينها إكليلها من السنابل.
في كريت وحدها كانت السنة مزدهرة مثمرة؛
وحيثما حطت قدمها كان الحصاد وافراً.
وكان آيدا، موطن الغابات، مكسواً بحقول القمح الشاحبة،
وكانت الخنازير في الغابات تكتسح السنابل.
المشرع مينوس كان يتمنى مزيداً من تلك المواسم؛(٢)
ولا شك أنه جعل من حب سيريز المديد قضيته.
أيتها الإلاهة الذهبية الغالية، كم كرهت الليالي بلا أنيس –
لماذا يفرض عليَّ عيدك قضاء الليالي وحيداً؟

١
أغنى الشاعر قصة سيريز بما اقتبسه من قصة أفروديت (فينوس) وأنخيسيس الذي كان يرعى قطيعه على سفوح جبل آيدا بالقرب من طروادة.
٢
ملك كريت الحكيم وهو ابن زيوس وأوربا. بعد موته صار أحد القضاة في الجحيم.

أوفيد
الصفحة : ١٥١

أوفيد
الصفحة : ١٥٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٨

ولماذا عليَّ أن أحزن؟ أنت وجدت ابنتك الغالية؛(١)
وستحكم بعد جونو مباشرة!
إن يوم العيد يستلزم الغناء والخمر والنساء؛
تلك هي الهدايا التي ينبغي أن تنالها الآلهة الجليلة.

١
ابنتها: بروسيربيني (بيرسيفوني) وقد خطفها واغتصبها بلوتو (ديس): ملك الجحيم، ويروي أوفيد قصتها في كتاب (التحولات). والأساطير الرومانية تقسم الكون إلى ثلاث إمبراطوريات أو ممالك كبيرة: السماء والبحر والعالم السفلي أو الجحيم. ودرجة بلوتو هي الثالثة تحت نيبتون (بوزيدون)، ودرجة بروسيربيني هي الثالثة بين الملكات الثلاث، لكن أوفيد جعلها الثانية.

أوفيد
الصفحة : ١٥٢

أوفيد
الصفحة : ١٥٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٩

- ١١أ -

أكثر مما ينبغي! وأطول مما ينبغي! حاولت فوق طاقتي.
قلبي مرهق؛ يكفي، أيها الحب الكريه، يكفي!
اليوم نلت حريتي، وطرحت قيودي؛
وأنا أتورد خجلاً لأني لم أخجل من قبل.

لقد فزت بالمباراة، والحب يتمدد مذللاً وموطوءاً،
شجعت نفسي، فثارت شجاعتي أخيراً.
يكفي أن تصر على أسنانك. وسيثبت الألم أنه مساعد
إن جرعة الدواء المر غالباً ما تجعل حالة الإنسان أفضل.

لتفكري أنني ألقيت بنظام مولدي الحر
على أرضية المدخل الحجرية، وغالباً ما رفضت!
ولتفكري أنني، من أجل ذلك الفتى الذي تلاطفين
بقيت ساهراً، مثل عبد، أمام بابك الموصد!

راقبت عاشقك يغادر البيت مرهقا،
وقد تحرر من أعباء حمله العشق، كما أعتقد.
ولكنه رآني أنتظر – وذلك أسوأ ما في الأمر:

ولكم تمنيت أن يكون ذلك العار لألد أعدائي.

أوفيد

الصفحة : ١٥٣

أوفيد

الصفحة : ١٥٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٠

متى لم أتشبث بجوارك وباستمرار
رفيقاً وحامياً، وأنا حبيبك الصادق؟
الناس أحبوك لأننا ذهبنا معا؛
وحبنا أكد أن الذين أحبوك كثيرون أيضاً.

ماذا عن أكاذيبك القذرة، وعن تلفيق الكذب العقيم
وعن أيمانك الكاذبة المخصصة لتدميري؟
ماذا عن الإيماءات الخرساء للفتيان في الحفلات،

وعن كلماتك الرمزية المنقولة سراً بالإشارات؟
قالوا: إنها مريضة – فاندفعت إليها كالمجنون؛
وصلت لأجد غريمي وقد وجدها على ما يرام.
هذا كله – وأشياء لم تقل – جعل قلبي متحجراً.
فابحثي عن شخص آخر ليتحمل مثل هذه الجحيم.

مركبي في الميناء الآن، مزيناً بالأكاليل وشاكراً.
ولا يضايقه الموج المرتفع في البحر.
لا تضيعي كلماتك الساحرة عليَّ. إن سحرك
زال – فأنا لست المغفل الذي اعتدت أن أكون!

أوفيد
الصفحة : ١٥٤

أوفيد
الصفحة : ١٥٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨١

- ١١ ب -

يالقلبي المتقلب! فالحب والكراهية يتصارعان الآن
بهذه الطريقة وتلك، لكني واثق أن الحب سينتصر.
وأنا أكره الاختيار. وإلا، فسأحب بلا رغبة؛
الثيران لا تحب النير، لكنها تتحمله.

إني أشمئز من تصرفاتك السيئة، لكني أحب جسدك؛
ورغم أنك كلبة، فإن جمالك يعيدني إليك.
فأنا لا أستطيع أن أعيش معك أو من دونك؛
وأنا لا أعرف ما أريد – إني في عذاب شديد.

أتمنى لو كنت أقل جمالاً أو أقل استهتاراً؛
مثل هذا الجمال يغدو فاسداً مع النذالة.
أكره سلوكك، وأحبك من أجل حسنك –
إن الجمال يتفوق على الفسوق، ويالللأسف.
سألتك بالسرير الذي أبرم ميثاقنا،
وبجميع الآلهة التي تسمح لك أن تقسمي باسمها عبثا،
وبعينيك اللتين فتنتا عيني، ووجهك الذي أعبد
كإلاهة سامية، أشفقي على أوجاع قلبي!

أوفيد
الصفحة : ١٥٥

أوفيد

الصفحة : ١٥٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٢

كوني كما تشائين، ستظلين لي إلى الأبد.
وعليك أن تختاري عندئذ – أيكون حبي إجبارياً أم حراً؟
بودي أن تهب الريح مؤاتية، لذلك يا من أرغمتني
على أن أحبك بلا رغبة، سأحبك بلهفة.

أوفيد

الصفحة : ١٥٦

أوفيد

الصفحة : ١٥٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٣

- ١٢ -

أكان ثمة يوم نعب فيه غراب أسود باللعنات
على روح محكومة بالحب أكثر فأكثر إلى الأبد؟
وأي نجم مشؤوم قد اعترضني، عليَّ أن أتصور،
وأية آلهة تشن حرباً ضدي؟

كانت معروفة يوماً بأنها لي، وأنا حبيبها وحدها؛
واليوم أخاف أن يشارك كثيرون في قلبها.
لا ريب أن شعري جعل اسمها مألوفا؛
تلك هي المشكلة – لقد جعل فني منها بغيا.

إنني أستحق العقاب! فأنا أشعت عن جمالها بين الناس.
إذا كانت حبيبتي معروضة في السوق، فلا تلوموا غيري.
أنا كنت القواد، وأنا من يدبر العشاق؛
يدها فتحت الباب وأنا أدرت المفتاح.

أشك بأن يستحق الشعر ذلك. لقد آذاني دائما،
ونجاحي جعل الرجال حساداً .
ومع أن هناك طيبة وطروادة ومآثر القيصر،

أوفيد
الصفحة : ١٥٧

أوفيد
الصفحة : ١٥٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٤

فإن كورينا وحدها هي التي أشعلت عبقريتي.(١)
أتمنى لو أن ربات الفنون أحبطن مسعاي منذ البداية،
وأن فيبوس تركني على الشاطىء من ساعة الانطلاق.
الشعراء لا يحلفون الأيمان، كما تعلمين؛ وأنا أفضل
لو أن أهمية أقل أعطيت لفني الكلامي.

نحن الشعراء جعلنا سكيللا المسكينة تسرق خصلة والدها،(٢)
وحول وركيها تجري الكلاب نابحة مسرعة؛
ونحن منحنا الأقدام أجنحة والشعر ثعابين؛ ونحن رفعنا بيرسيوس(٣)
ليمتطي حصاناً طائراً إلى النصر.
وتيتيوس أيضاً، نحن مددناه على الأرض الفسيحة،(٤)
وأعطينا كلب الجحيم وجوهه الثلاثة،(٥)

١

انحرف الشاعر عن موضوعات الملحمة والشعر البطولي إلى شعر الحب في مجال المرثاة.

٢

عندما أحبت مينوس، سرقت خصلة الشعر الأرجوانية من أبيها، وتلك هي مصدر قوته. والشاعر يدمجها مع سكيللا أخرى كان عقابها بمطاردة الكلاب لها.

٣

بيرسيوس قاتل الغولة ميدوزا. والحصان المجنح الذي خرج من رأس ميدوزا المقطوع، لم يكن راكبه بيرسيوس وإنما بيلليروفون. ولا يمكن أن يقع الشاعر بمثل هذا الخطأ، لكن ذلك من الرواة – كما يشير الباحثون.

٤

تيتيوس: حاول اغتصاب لاتونيا (ليتو) فعوقب إلى الأبد بأن النسور تلتهم كبده.

٥

سيربيروس.

أوفيد

الصفحة : ١٥٨

أوفيد

الصفحة : ١٥٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٥

وجعلنا إنسيلادوس بأذرعه الألف يقذف الحراب،
وأغرينا الأبطال بسيمفونية السيرينات.(١)

نحن عبأنا الرياح الوحشية في زق أوليس،(٢)
وجعلنا تانتالوس ظمآن والماء موفور هناك، (٣)
وتركنا فيلوميلا تولول على آيتيس المسكين،(٤)
وحولنا نيوبي إلى صخرة، والمرأة إلى دبة،(٥)
وأتحنا لجوف أن يتحول ذاتيا إلى طير أو ذهب، أو سباحة
وإلى ثور والأميرة جالسة على ظهره.(٦)

١
إنسيلادوس:عملاق و السيرينات: الساحرات اللواتي خاض أوليس معهن مغامرة مثيرة في (الأوديسة).
٢
إيلوس (إله الرياح): أعطى أوليس الرياح العاصفة محبوسة في كيس مغلق أو زق الخمر – كما ورد هنا. لكن البحارة ظنوا أن الكيس كنز فأطلقوها وحاقت بهم الكارثة.
٣
قصة تانتالوس مرت من قبل، وقد عوقب بحرمانه من الوصول إلى الماء أو الفاكهة رغم توافرهما من حوله.
٤
فيلوميلا كان قد اغتصبها الملك تيريوس، وهو زوج أختها بروكني التي انتقمت من زوجها بقتل ابنها آيتيس وإطعامه من لحمه.
٥
نيوبي أهانت (لاتونا) فعوقبت بموت أطفالها، ومن شدة حزنها تحولت إلى صخرة ودموعها إلى نبع ماء. كاالليستو أغواها جوبيتر فحولتها جونو الغيرى إلى دبة.
٦
تحولات جوبيتر: إلى ثور مع أوربا، وإلى عقاب مع غانيميري، وإلى وابل من الذهب مع داناي.

أوفيد

الصفحة : ١٥٩

أوفيد

الصفحة : ١٦٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٦

وخذ بالاعتبار بروتيوس، وأسنان التنين والثيران(١)
تنفث النيران الرهيبة على امتداد الأثلام.
وخذ أخوات فيثون وهن يبكين بدموع من الكهرمان،(٢)
والسفن التي توجهت إلى حوريات البحر لتنجو من النار،(٣)
والشمس تفر من وليمة أتريوس الجهنمية،(٤)
وكتل الحجارة تقودها القيثارة السحرية.(٥)
ليس هناك من حد لحرية العمل الشعري،
وهو غير مرتبط بالحقائق التاريخية،
لا بد أنك اكتشفت أن مدحي لصديق حبيبتي،
كان أكاذيب؛ إن سرعة تصديقك حطمتني.

١

بروتيوس: إله بحر يتخذ أشكالاً متعددة. أسنان الثعبان الذي قتله قدموس، وحين تبذر تلك الأسنان كانت تنتج محصولاً من الرجال المسلحين. وقد قرنها الشاعر في صورة مجازية مع الثيران التي تنفث النيران في محنة جيسون.

٢

فيثون قتله جوبيتر بصاعقة، حين فقد السيطرة على عربة الشمس التي كان يقودها، وراحت تهدد العالم بالدمار. وأخواته تحولن إلى أشجار حور يندبن عليه بدموع من الكهرمان.

٣

سفن إنياس نجت بهذه الطريقة من هجوم تورنوس.

٤

أتريوس انتقم من زوجته التي خانته بأن قتل أبناء عاشقها وقدمهم في وليمة إلى والدهم. وقد روع الشمس هذا المنظر فارتدت جارية إلى الوراء.

٥

أمفيون (مثل أورفيوس) كانت الأحجار تتبعه مسحورة عندما يعزف.

أوفيد

الصفحة : ١٦٠

أوفيد

الصفحة : ١٦١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٧

إن فاليري، مدينة البساتين استولى عليها كاميللوس،
هي مسقط رأس زوجتي؛ لقد قصدناها يوما.(١)
كانوا يحتفلون بجونو وعيدها الطاهر (٢)
وكان المكان مبتهجاً بالألعاب والتضحيات؛
عيد جدير بالزيارة حقاً، رغم أن الرحلة
شاقة، والطريق منحدر مرهق.
وهناك تقوم أجمة، قديمة وكثيفة وكئيبة؛
وفي وسع المرء أن يؤكد أن المكان يجب أن يكون خاصاً بإله.
المؤمنون يقدمون البخور على المذبح،
مذبح بسيط شيد في الأيام الخوالي.
هنا، وعلى صوت المزامير والترتيل المهيب،
يمر الموكب الطويل كل عام
خلال الشوارع المزينة، مع عجلات فاليري البيضاء
من حقولها الخاصة، والناس جميعهم يهللون.
مع عجول أيضاً لا تحمل جباهها أي تهديد بعد،
وخنازير، ضحايا خسيسة، من زرائبها الحقيرة

١
ليس من المألوف أن يشير الشاعر إلى إحدى زوجاته في المرثاة.
٢
جونو: أخت جوبيتر وزوجته، وهي ملكة السماء في أساطير الرومان، كما أنها إلهة الزواج، لذلك وصف العيد بالطهارة.

أوفيد
الصفحة : ١٦١

أوفيد

الصفحة : ١٦٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٨

وأكباش مخصية ذات أجراس وقرون لولبية،
الماعز وحده كان مكروهاً في عيني الإلهة.
يقولون إن تيساً غدر بها في أعماق الغابة،
وهناك وجدت وأرغمت على إنهاء فرارها.(١)
لذلك يجعل الفتيان من الخائن دريئة؛
ومن يصب الهدف فالتيس جائزته.
الشباب والصبايا الخجولات يمثلون أمام الإلهة،
وثيابهم المجرورة تكنس الشوارع الواسعة.

شعر الصبايا مزين بالذهب والجواهر،
والحلل الفخمة تخفي نصف أقدامهن المذهبة.
وعلى رؤوسهن يحملن الأوعية المقدسة،
وهن في الحلل البيضاء وفقاً للطقوس الإغريقية العريقة.
الجمهور مغشى بالسكون والإلهة تخطر
في موكبها الذهبي خلف كهانها.
شكل الموكب جيء به من آرغوس.(٢)
وعند مصرع أغاممنون فر هاليسوس(٣)

١

لماذا كانت هاربة وممن؟ الأمر غير معروف، لعلها كانت هاربة من جوبيتر.

٢

أرغوس مدينة في بيلوبونيس، جنوب اليونان.

٣

هاليسوس: مؤسس مدينة فاليري، ويبدو أن تبديل الفاء إلى هاء كانت مسألة لغوية.

أوفيد

الصفحة : ١٦٢

أوفيد

الصفحة : ١٦٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٨٩

من القاتل وثروة أبيه، ومضى هائماً

إلى أطراف البر والبحر كما شاء المنفى.

يده حالفها الحظ السعيد فأنشأت

تلك الجدران الشامخة؛ وعلم فاليري
طقوس جونو. فلتثبت إلى الأبد
أنها صديقة حميمة لي ولهم جميعا!

أوفيد
الصفحة : ١٦٣

أوفيد
الصفحة : ١٦٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٠

- ١٤ -

نسخة مارلو مصوغة بأسلوب حديث]

أنت ساحرة – وأنا أقر أن من سوء التصرف عندئذ
ألا أرى كما ينبغي، فيالي من مغفل مسكين!
أخلاقي لا تطالبك بأن تعيشي محتشمة،
ولكن حاولي أن تخفيه عندما ينقضي.
الفتاة لم ترتكب إثما إذا استطاعت أن تنكره؛
إن أولئك المعترفين هم الذين يفقدون أسماءهم الفاضلة باعترافهم.
ياله من جنون أن نكشف مداعبات الليل في النهار،
ونخون علنا الأسرار المكنونة!
إن البغي تقوم بعملها في سرية
وتستوثق أن الغرفة خالية ثم تدير المفتاح.
لماذا تجعلين من اسمك المحترم حطام سفينة
وتمكنين العالم من أن يكون شاهداً على الأمر ذاته؟
تصرفي بأدب، أو تظاهري بأنك تطهرية،
وسأعتقد أنك محتشمة، فافعلي ما تستطيعين.
افعلي ما يحلو لك؛ إنما قولي إنك لم تفعليه؛
ولا تتخلي أبداً عن الحذر، وليكن ذلك جهاراً كذلك.
هناك مكان يتطلب لعبة فاحشة؛
املئيه بالمزاح، املئيه ولا تشعري بالخجل.

أوفيد
الصفحة : ١٦٤

أوفيد
الصفحة : ١٦٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩١

ولكن حين تنهضين وتتزينين، كوني جدية رصينة
واتركي في السرير جميع الذنوب التي ارتكبتها.
نعم، اخلعي ثيابك هناك ولا تكوني خجلى
من الاستلقاء ملتصقين معاً، فخذاً إلى فخذ.
وهناك في شفتيك الورديتين لساني مدفون؛
وعندما تأتين مارسي ألف لعبة حب
ثمة كلمات من حرارة العشق لا تعجز عن التعبير،
فلا تدعي السرير يكف عن الصرير وأنت تقومين بالتسلية.
ولكن البسي وجهاً فاضلاً وأنت في ثيابك،
وتوردي خجلاً واظهري وكأنك غارقة في الفضيلة.
اخدعي الجميع، واخدعيني، ما دمت لا أراك،
دعيني أستمتع بسذاجتي التامة.

لماذا ألمح تلك الإشارات تؤخذ وتعطى؟
ولماذا تركت جانبي السرير بلا ترتيب إلى هذا الحد،
ولم شعرك مشوش أكثر مما يفعله النوم،
وعلى عنقك تظهر عضات الغرام.؟
إني أرى كل شيء أمام عيني إلا الممارسة؛
إذا لم تحافظي على اسمك، فحافظي عليَّ في أقل تقدير.
إنه الموت أن تعترفي بما فعلت
وأشعر بالدم البارد يجري في عروقي.

أوفيد

الصفحة : ١٦٥

أوفيد

الصفحة : ١٦٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٢

وعندئذ عبثاً أكرهك، أنت التي يجب أن أحب،
وسأكون ميتاً، إنما ميت وأنت باقية.
ولن أبحث عن الأشياء التي تخفينها أو أدقق فيها،
وإن تخدعيني، فسأقدر ذلك عالياً وكأنه هدية.
لكن إن قبضت عليك مرة وأنت في وسط الإثم
وبرهنت على لباس العار تماما،
أنكري ما رأيته واضحاً كالنهار، وكوني حكيمة،
فأنا سأصدق كلماتك أكثر من عيني.
من السهل هزيمة من يريد أن ينهزم؛
يكفي أن تقولي: >لست مذنبة< – إنها الكلمات التي تفيد.
بهاتين الكلمتين يكون النصر الذي ينبغي أن ينال،

فاكسبي القاضي هكذا، مع أن القضية باطلة.

أوفيد

الصفحة : ١٦٦

أوفيد

الصفحة : ١٦٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٣

- ١٥ -

يا أم الحب الرقيق، ابحثي عن شاعر جديد!

فها هي المرحلة الأخيرة للمرثاة،

إن الشعر الذي كتبته، أنا ابن بيليغني(١)

(الهزل الذي قمت به لم يسىء إلى شرفي)،

فأنا، وفروسيتي تمتد ثلاثة أجيال غابرة،(٢)

وإكراماً لذلك، أنا لست طارئاً في غمار الحرب.
فيرونا تدعي كاتوللوس، ومانتوا فيرجيل؛
وشعب بيليغني أحرز مني شهرة وافرة،
الناس الذين قاتلوا بشرف من أجل حريتهم (٣)
يوم أحدثت الجيوش المتحالفة مثل ذلك الرعب الرهيب لروما.
ومن يتطلع إلى حيطان سولمو المشبعة بالجداول
وحقولها القليلة، فإن ذلك الزائر سيقول:
"أن نتأمل أنك استطعت أن تقدمي شاعراً عظيماً كهذا
سأدعوك عظيمة، مهما كنت صغيرة".
أيها الغلام المهذب، وأنت يا أمه القبرصية،
اقتلعي أعمدتك الذهبية، إن حقلي خال!

١
شعب إيطاليا الوسطى.
٢
كرر الشاعر انتسابه إلى أسرة لها تاريخها في الفروسية في أكثر من موضع.
٣
إشارة إلى الحرب الأهلية (٩١ – ٨٨ ق.م).

أوفيد
الصفحة : ١٦٧

أوفيد

الصفحة : ١٦٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٤

إن باخوس الأقرن بصولجانه الأهم يوبخني؛(١)
وفريقي الجبار يجب أن يسير في حقل أعظم.
والآن وداعاً يا ربة الشعر العبقرية، أيتها المرثاة الرقيقة القلب،
إن عملي هذا سيواصل الحياة عندما أموت.

١
باخوس وربات الفنون التسع هم الذي يلهمون الشعر الجليل.
والإشارة هنا إلى أن المرثاة أقل أهمية من الشعر الملحمي الذي يحتفي بالأبطال، وأعمالهم المجيدة. لكنه لا ينسى أن يتحدى ذلك الاعتقاد في البيت الأخير.

أوفيد
الصفحة : ١٦٨

أوفيد

الصفحة : ١٦٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٥

فن التجميل

أوفيد
الصفحة : ١٦٩

أوفيد
الصفحة : ١٧٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٧

تَعَلَّمْنَ، يا بنات، الأساليبَ التي تزيد من محاسنِكنَّ،
والوسائلَ التي يمكن أن تحمين بها مظاهرَكنَّ،
بالحراثةِ تجود البراري القاحلةُ بالغلال،
وتواجه الورودُ البريةُ نهايتَها،
والرعايةُ تُكسبُ الفاكهةَ المرةَ حلاوة،
ومن الأشجار المطعَّمة تنمو الموارد المختارة.
الثقافةُ تمنح المسرَّة. والردهاتُ الراقية مزيَّنةٌ
بحواشٍ من الذهب، والمرمر يستر التربة السوداء.
الأنسجة الصوفية مضاعفة الصباغ بالأرجوان الصوري،
والعاج المنحوت تنتجه الهند لافتتاننا.
وربما اهتمت النساء السابينيات في عهد تاتيوس(١)
بكساء حقولهن أكثر من اهتمامهن بكسوتهن.
والسيدة مورَّدة الوجه تغزل بأصابعها الصلبة
خيطها الدائم الحركة وهي جالسة على مقعدها العالي.
وهي نفسها زربت الخراف التي رعتها ابنتها
وهي نفسها التي أمدت الموقد المألوف بالحطب.
ولكنكن مولودات ومربيات للرقة الناعمة!
وتحببن حللكن مزينات بحواش ذهبية.
وتحببن تعطير شعركن وتغيير تسريحتكن؛
وتحببن أن تكون أيديكن متوهجات بالجواهر..

١
تاتيوس: ملك السابين، وهم شعب إيطالي قديم مشهور بالقوة.

أوفيد
الصفحة : ١٧٠

أوفيد

الصفحة : ١٧١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٨

وتلبسن حول أعناقكن درراً شرقية
وجواهركبيرة لا تقوى أي أذن على حمل اثنتين.
وذلك ليس ذوقاً فاسداً: فأنتن بحاجة للجاذبية
حين يكون الرجال في هذه الأيام لا مبالين تماما.
أزواجكن يلبسون لربات الفنون كالسيدات.
ونادراً ما تلبس العروس أشياء أجمل.

الصبايا يتزينَّ لإرضاء أنفسهن؛ فلا يمكن للأناقة
أن تكون خطأً، ولا تدفع بالذين يلاحقونهن للنفور.
الشعر مجعد جداً في الريف؛ ومع أنهن متواريات
على أثوس(١)، فهن أيضاً أنيقات على ذلك الجبل.
وهناك بهجة في رضى النفس كذلك؛
وحسن الصبايا يفعم قلوبهن بالدفء.
يخطر الطاووس مزهواً بحسنه في صمت
وينفش رشيه ليحظى بإطراء الرجال.
بتلك الطريقة ينبغي أن ينشأ الحب، لا بما تُعدُّ
بعض الساحرات المخيفات من قوة النباتات.
فلا تَضعنَ أي ثقة في الأعشاب والعصارات الممتزجة،
ولا تجربنَ دفق السم من الأفراس المشتعلة بالرغبة.

١
أثوس: جبل في مكدونيا.

أوفيد
الصفحة : ١٧١

أوفيد
الصفحة : ١٧٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٩٩

ما من أفاع تندفع بتعازيم مارسي(١)
ولا من نهر يجري عائداً إلى نبعه،
وحتى لو لم يكن من صفيح يضرب أو يقرع بعنف،(٢)
فالقمر لن يتزحزح عن مساره.

إن تفكيركن الأول، يا بنات، ينبغي أن يكون في سلوككن؛
فالوجه سيمنح البهجة إن كان الخلق كريما.
الحب يدوم بالسمعة الحسنة، والشيخوخة تتلف الجمال

والمظاهر التي كانت فاتنة محروثة بكثير من الأثلام.
وسيأتي الوقت الذي تعافين فيه مرآتك.
ويبعث الحزن سبباً ثانياً للتجاعيد.

الطيبة تكفي وتبقى إلى الأبد؛
وعلى هذا يتوقف الحب الصادق عبر السنين.

وحين يغادركن النوم، تعلَّمنَ الطرق والوسائل
لتبدين متألقات وناضرات وجميلات الوجوه.
لتأخذن الشعير المجلوب بحراً من حقول ليبيا

١
مارسي: شعب مشهور بكثرة السحرة.
٢
كانت الساحرات يتدخلن بحركة القمر بواسطة قرع الصنوج. والشاعر هنا يسخر من تلك العادة.

أوفيد
الصفحة : ١٧٢

أوفيد
الصفحة : ١٧٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٠

وانزعن قشرته القاسية،
وبعد ذلك يوزن رطلان من الشعير المقشور
وتخفق عشر بيضات مع وزن مماثل من البيقة(١)
وعندما يجف هذا في تيار هوائي، دعن حماراً
يطحنه على حجر خشن بمشيته البطيئة،
ولتطحنَّ معه "أو نصتين" من القرون(٢)
سقطت مباشرة من أيِّل عاش طويلا؛
وحين يخلط هذا مع مسحوق الدقيق
انخلن كل شيء في الحال بمنخل دقيق العيون
بقوة في هاون نظيف من الرخام
ثم تخلط مع قمح توسكان، ولكل "أو نصتين"،
بمقدار تسعة أضعافها من العسل.
إن الفتاة التي تعالج وجهها بتلك الوصفة
ستبدو أنعم من مرآتها ذاتها.
فلتحمِّصي حبوب الترمس الشاحبة أيضاً، ومعها
الفاصوليا التي تنفخ البطن – فلا تخافي.
وزِني ستة أرطال من كل نوع بالتساوي

١
البيقة: نبات علفي.
٢
Ounce الأونصة: يتراوح وزنها بين ٢٨ – ٣١ غراما.

أوفيد

الصفحة : ١٧٣

أوفيد

الصفحة : ١٧٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠١

واطحنيها معاً قطعاً صغيرة في رحى تدور ببطء.
ولا يكن الرصاص الأبيض مفقوداً أو النتر الأحمر
أو السوسن النامي على تلال إليريا.(١)
أعطيها إلى فتيان أشداء ليدقوها معا؛
وإذ تسحق فإن "أونصة" واحدة ستكون كافية
النمش يزول بمادة مبنية على أساس
عش طائر حزين: يدعى ألكيوني.(٢)
وإذا سألت عن الوزن الذي يرضيني
فهو ما يبلغ وزنه نصف "أونصة".
ولكي تجعلي عجينة سهلة الاستعمال
أضيفي عسلاً يتقطر من خلايا إغريقية
ومع أن البخور يهدئ الآلهة والأرواح الغضبى
فلا ضرورة أن تمنحيه كله لنار المذبح.
وحين تمزجين ذلك بالنتر المزيل للثآليل
فأنت بحاجة إلى أربع "أونصات" كاملة من كل نوع.

١

كان السوسن يستعمل كثيراً في التجميل وفي العلاج.

وإليريا: بلاد قديمة في البلقان.

٢

ألكيوني وزوجها كيكس تحولاً إلى طائرين من طيور القاوند أو الرفراف. وتغريد هذه الطيور شجي حتى صار مضرب المثل.

أوفيد

الصفحة : ١٧٤

أوفيد

الصفحة : ١٧٥

أوفيد

الصفحة : ١٧٥

أوفيد

الصفحة : ١٧٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٢

ثم أضيفي تسع <أونصات> من صمغ مقشور، ومعها
مكعب من المر الزكي الرائحة ليس كبيراً جداً،
وعندما تدق كلها جيداً، انخليها بنعومة؛
وعليك بعدئذ أن تحركي المسحوق في العسل.
ومن المفيد أن تضيفي الشمر إلى المر المعطر
(خمسة مقادير من الشمر وتسعة من المر)
مع تويجات الورد كذلك (حفنة واحدة)
ولبان وملح من مقام أمون.(١)
الورود والملح يجب أن يكونا من وزن البخور
ثم اسكبي بعض شراب الشعير على الخليط.
امسحي وجهك بهذا المستحضر فترة قصيرة تماماً
وستحصلين على مظهر ناضر جميل.
رأيت فتاة تنقع الخشخاش في ماء بارد،
ثم تسحقه وتفرك به وجنتيها الرقيقتين.

١
ملـــــــــح النشادر، وسمي بذلك لأنه موجود تحت رمال ليبيا. والرمل في اللاتينية ammos.

أوفيد
الصفحة : ١٧٦

أوفيد
الصفحة : ١٧٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٣

فن الحب

أوفيد

الصفحة : ١٧٧

أوفيد
الصفحة : ١٧٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٥

الكتاب الأول

أوفيد
الصفحة : ١٧٨

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٧

إنَّ من لايعرف فنَّ الحبِّ في هذه المدينة
عليه أن يقرأ هذا الكتابَ ليقوم بمهمة الخبير
إنه الفنُّ الذي يزيد السَّفينةَ سرعةً بمجاذيفَ وأشرعة
الفنُّ الذي يقود المركبة الحربية ، فن الحب هو المسيطر
أوتوميدون(١) كان بارعاً بالمركبةِ والعنان
وتيفيس(٢) يدير دفةَ الأرغو فوق العباب
لقد اختارتني فينوس دليلاً فتيَّاً للحب
وسأكون ملاَّحَ العشق وقائدَ مركبةِ الغرام
ومع أنه متوحش وميَّال إلى انتهاك قانوني؛
فما هو إلا صبي، السنُّ المناسبةُ للمدرسة
لقد تعلَّم أخيل الصبيُّ عزفَ القيثارة من كيرون
واستلانت روحُه النارية لذلك الفنِّ اللطيف
وهو الذي غالباً ما أرعب الأصدقاء والأعداء
كان يخاف من ذلك العجوز – كما يروون لنا.
واليدان اللتان كُتِبَ عليهما هلاكُ هكتور
كانتا تحت عصا المعلم ممدودتين طوعَ الأمر
كان أخيل تلميذَه، والحبُّ تلميذي
والولَدانِ كلاهما من مزاجٍ شرسٍ ومنبتٍ قدسي.
ومع أن رقبةَ الثور تنحني تحت النير

١

قائد مركبة أخيل.
٢
ربان سفيند الأرغو.

أوفيد
الصفحة : ١٧٩

أوفيد
الصفحة : ١٨٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٨

واللجامَ الذي يلوكه الحصانُ يحطُّ من كبريائه
فلا بدَّ للحب أن يخضعَ لي، وإن سدَّدَ على قلبي
قوسهَ وأطلق سهمَه المتَّقد.
وكلما تمادى في طعناته الطائشة وكان أذى لهبه أشدَّ ألماً
فإني سأكون أكثرَ استعداداً لكي أثأر لجراحي
لن أدَّعيَ القوى التي منحني إيَّاها فيبوس(١)
ولا التحذيرات التي تُطلقها طيورُ السماء
ولا كليو(٢) ولا شقيقاتها اللائي لمحتُ خلسة
وهنَّ سارحاتٌ بالقطيع على سفح جبل أسكرا.
التجربةُ هي التي ترتقي بأعمالي، فانتبهْ لصاحبةِ الحكمة:
أي فينوس! أعينيني لأملأ صفحتي بالحقائق.

من هنا، ومن الآن، لِتَرفلِ الثَّيِّباتُ والأبكارُ بعلاماتهن
الثيابُ المتدلية حتى الأقدام والمناديلُ الرقيقة!
وأنا أنظم القوافي عن المكائد المأمونة والاختلاسات المشروعة
وليس لأغنيتي أن تُتَّهمَ بأيِّ جرمٍ شائن.
إن الواجب الأول لمجنَّدِنا(٣) الجديد
هو أن يجدَ هدفاً جديراً بلباسه
والتاليَ أن يفوز من الآنسة المختارة بـــــــ "نعم"

١
فيبوس: أبوللو.
٢
من ربات الفنون.
٣
السخرية واضحة من تشبيه الحب بالحرب والعشاق بالمجندين.

أوفيد
الصفحة : ١٨٠

أوفيد
الصفحة : ١٨١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٠٩

والأخيرَ أن يحتفظ بحبِّهِ إلى أمدٍ بعيد
هو ذا هدفي، وفي هذا السبيل ستمضي مركبتي
وهذه هي العلامةُ التي لا بد أن يبلغها قرار أغنيتي في منتصف الحياة
ما دمتَ طليقاً في تجوالك مرخيَّ العنان
فاخترْ واحدةً يمكنك أن تسمِّيها حبَّك الوحيد
لاتحسبْ أنها ستنزلُ عليك من السماء
لكي تحظى بخليلة لائقة، استعملْ عينيك
فالصيادُ يعلم أين يُوقعُ الأيائل في الشِّباك
ويعلم في أيِّ الوديان يختبىءُ الخنزيرُ ذو الأنياب
صيادُ الطيور يعرف الغابات، والبارعُ بالصنارة
يعرف الجدولَ الذي يجيش بالأسماك.
لهذا، يا من تصمم على حُبٍّ دائم
عليك أن تعرف الأمكنة التي تتردد إليها الصبايا كثيراً
لا ضرورةَ أن تنشر الأشرعةَ في وجهِ الريح
أوترحلَ بعيداً حتى تلاقي الهدف الذي تبحث عنه
ليحملْ بيرسيوس(١) عروسَه من الهند الداكنة
ولْيخطفِ الطرواديُّ(٢) جميلتَه من هيلاس

١
بيرسيوس: ابن جوبيتر وداناي، زوج أندروميدا وهي إثيوبية وليست هندية.
٢
هو باريس خاطف هيلين، وكان ذلك سبباً لحرب طروادة ودمارها.

أوفيد

الصفحة : ١٨١

أوفيد

الصفحة : ١٨٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٠

إن روما لاتشكو من قلة النساء الفاتنات
فلا بدَّ أن تجد هنا صفوةَ ما في العالم أجمع
إنهنَّ وافرات كأعناب ميثيمنا وغلالِ غارا غارا
أوكالأسماك في البحار أوالطيور في ذرى الغابة الخضراء
الجميلاتُ اللواتي تزخر بهنَّ روما كثيرات كالنجوم
وفينوس تبني بيتها في مدينةِ ابنها
فإن تكنْ مهتماً بسنوات الصِّبا وهي لا تزال في طور البراعم
فهناك عذراءُ أصيلة سترحبُ بعينيك
وإن تكنْ في ريعان الشباب فإن ألفاً من لِدَاتِك
سيمتِّعنَ قلبك ويجعلنَ اختيارَك محطَّ ارتياب
وإذا اجتذبك العمرُ المختمرُ والعقلُ الناضج
فكنْ موقِناً أن حشداً من الملاح ستجده هنا كذلك.
وهل لك إلاّ أن تتهادى بلطف واتئاد
في ظل رواقِ بومبي، في أوج الصيف
أو حيث تنتصبُ قاعاتُ المرمرِ الغريبِ النفيس،
تلك الهدية المزدوجة من فضل الابن والأم(١)
ولا تتجنَّبْ ذلك المبنى ذا القناطر لأنه مشهور بأصحابه القدماء

فقد أنشأته ليفيا وليفيا هي التي أسمته(٢)

١
الإشارة إلى رواق أوكتافيا – أخت أغسطس – وابنها مارسيللوس (ماركيللوس).
٢
Arcade بناه أغسطس وأطلق عليه اسم زوجته ليفيا.

أوفيد
الصفحة : ١٨٢

أوفيد
الصفحة : ١٨٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١١

ولا حيث ينتظر دانوس الرهيب بسيفه المعقوف،
بينما تقتلُ بناتهُ أقرانَهن التعساء.
ولا تغفلْ عن المكان الذي تبكي فيه فينوس أدونيس
ولا حيث يقضي اليهوديُّ سبتَه المقدس.

ولْيلجأْ إلى مقام إيزيس(١) بلباسها الأبيض في ممفيس
كلُّ من ارتكب من أفعالٍ بعدد ما فعله جوف بها.
إن دُورَ القضاء تلائم لعبةَ الحب أيضا (من يظن ذلك؟)
وغالباً ما يشعل قنديلَه في المحاكم الصاخبة.
حيث ينبجس الرذاذُ غزيراً طوالَ اليوم
من نافورة أبياديس(٢) بجانب هيكل فينوس الرخامي
هناك غالبا ما ينصب كيوبيد شَرَكاً للتشاور
ويُعتَبَرُ المحامي اليقظُ جاهلا.
وهناك غالباً مايجدُ بلاغتَه تبدَّدت
وعليه أن يدافعَ عن قضيةٍ جديدة – قضيته ذاتها.
بينما فينوس من مقامها المجاور ستسخر
من المحامي الذي أحيل إلى قفص الاتهام.

لكنَّ المسرحَ المدرَّجَ يمنحك مجالاً أوسع

١
غالبا ما تتطابق مع آيو Ioوهي من ضحايا نزوات جوبيتر.
٢
Appiades عروس الماء، ونافورتها بالقرب من معبد فينوس، أمر يوليوس قيصر بإنشائها وأكملها أغسطس.

أوفيد
الصفحة : ١٨٣

أوفيد

الصفحة : ١٨٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٢

والصيدُ هناك أوفرُ من جرأتك على الأمل
وهناك ستحظى بسيدةٍ أو دُمية
فلا تلمسها إلا مرة واحدة أو ستكون بهجة دائمة.
كالنمال التي تسارع جيئة وذهاباً في قافلة لا نهائية
لتُحضر إلى بيتها حملها المألوف من الحبوب،
وكأسراب النحل الطائرة فوق الأزهار وأوراق الزعتر
وسط منفرجات الغابة الأثيرة والمروج العطرة
هكذا تحتشد الأسرابُ المتأنِّقة لتلهو
إن هذه الوفرةَ من الاختيار تجعل الارتيابَ يطول
يأتون ليمتِّعوا أنظارَهم وليتمتَّع الآخرون بمرآهم كذلك
آه أيتها الفضيلةُ، أنت في ورطةٍ لا خلاصَ منها.
الفضيحةُ أوّلُ من بدأها رومولوس
يوم استمتعت جماعتُه العزّابُ باغتصاب السابينيات(١)
ولم يبدُ للعيان عندئذ لارخام ولا حسكُ السنابل
ولم يرشَّ الزعفران الذهبي في المسارح المعطرة.
تلٌّ بالاتيني المشجرُ جيداً أعار خضرته
ليزينَ المنظر الساذج بذوق عادي.
وعلى مصاطب المرج المدرَّج استلقى الناس
وقد ضفروا شعرهم الأشعث بتيجان خشنة من الأوراق.
يتطلعون، وكلٌّ واحدٍ يُعلِّم جميلته المختارة

١
اغتصاب السابينيات جزء من أسطورة تأسيس روما.

أوفيد
الصفحة : ١٨٤

أوفيد
الصفحة : ١٨٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٣

وكلٌّ يردد في قلبه كثيراً من الصلوات الصامتة.
وبينما ينطلق عازفُ المزمار التوسكاني(١) بلحنه المألوف
يمضي به المثلُ إلى السهل الممهَّد
وسط تصفيق المعجبين (كان التصفيق طبيعياً يومئذ)
ويومىءُ الزعيمُ لرجاله المنتظرين
فيثبون فجأةً وهم يطلقون صرخات محذرة
وتندفع الأيدي الجائعة نحو العذارى.
وكحمائم مذعورةٍ تفرُّ أمام العُقاب،
وكخراف لمحها الذئبُ الرهيب من بعيد،
هكذا ينكمشن أمام هجوم الرجال الضاري،

فليس من وجنةٍ تحتفظ بلونها الوردي المألوف.

جميعُ المخاوف سواء، لكنَّ للخوف حالاتٍ عديدة.

بعضُهنَّ ينتزعنَ شعرهنَّ، بعضهنَّ يجلسنَ في ذهول يائس

واحدة تتفجع بصمت، واحدة تندب عبثاً: >أميلمَ تؤذنين عينيك اللطيفتين بالدموع؟< قال

١

الإشارة إلى دور الإتروسكيين في نشوء الدراما في إيطاليا.

أوفيد

الصفحة : ١٨٥

أوفيد

الصفحة : ١٨٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٤

؟لن نكون أناوأنت إلا كوالديك تماما؟.

كان رومولوس الخبير يعرف جائزةَ الجنود

وكرمى لجائزةٍ كهذه سأكون جندياً أيضاً!

هكذا كان الأسلوب الدارجُ يبدأ، والجميلةُ
لا تزال ترى أن المسرحيةَ خطَرَ وشرَك.

إياك أن يفوتك المضمارُ حيث تتسابق أفراسٌ أصيلة
ستجد كثيراً من الفرص المواتية في ذلك المكان المحتشد.
وهنا لا تحتاج، بتلويحةِ يدٍ أو إيماءةِ رأس،
إلى التخلي عن تلميحاتٍ أو الإسراع في الرسائل.
اجلس بجانب خليلتك، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا
اضغط جنباً إلى جنب لتكون لصيقاً بقدْرِ ما تستطيع
شكراً لعادة المقعد المزدحم
أنت ملزَمٌ باعتصار الفتاة، وإن تكنْ خجولاً
بعضُهنَّ يلتمسنَ آنئذ فتحَ حديثٍ ودي
فتكلَّمْ في أولِ موضوعات الساعة
<لمن ذلك الفريق؟< اسألْ بطريقةٍ جادة
وأيِّدْ هواها، أيَّاً كان.
وحين يدنو موكبُ التماثيلِ متقدماً
صفِّقْ للسيدةِ فينوس واهتفْ مهللا
ولو أنَّ ذرةً من غبار، ولعلَّها كذلك،
وقعت على صدرها، فانفضِ الذرةَ بعيداً

أوفيد
الصفحة : ١٨٦

أوفيد
الصفحة : ١٨٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٥

وإن لم يكن ثمة شيء، فانفضْ ما ليس موجوداً
التقطْ أيةَ ذريعةٍ لتُظهر اهتمامَك.
وإذا تجرجرت عباءتُها على الأرض وانحلَّ رباطُها
فارفعها بيدين متلهفتين عن التراب الوسخ
إذا سمحت لك بذلك، فإن نظرةً آنئذ
إلى ساقَيِ السيدة ستكون جزاءَ تلك الخدمة
وأيّاً كان الجالسُ وراءكما، راقبْ وتيقّنْ
لئلا يلطمَ ظهرَها الرقيقَ بركبته.
الأشياء القليلة تسرُّ العقول الصغيرة: وهي تثمر كثيراً
كأن تسوّي وسادتَها بلمسةٍ بارعة،
وبمروحة رقيقة ترسل إليها نسمة
وتضع المسندَ الأجوف تحت قدمها الأنيقة.

معوناتٌ كهذه لابدَّ أن يأتي بها الميدانُ للحب الجديد
وحلبةُ المجالد الحزين الرملية
وغالباً ما يشترك الحبُّ بجولةِ صراعٍ في تلك الحلبة
ثم يكون المشاهدُ هو المهزومَ جهاراً
فبينما يقف متحدثاً أو مصافحاً أو مشترياً برنامجاً
أو مراهناً على المباراة بانتباه،
يشعرُ بالسهمِ ويئنُّ تحت الطعنة
وهو ذاتهُ يغدو فقرةً في العرض.

أوفيد

الصفحة : ١٨٧

أوفيد

الصفحة : ١٨٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٦

ويوم قدَّم القيصرُ ساخراً مسرحيةَ حرب(١)
والأساطيل الفارسيةُ والأثينية اشتبكت في القتال،
يوم جاء الفتيان والصبايا من الشرق والغرب
وكان العالم أجمع محشوراً في روما،
من يستطيعُ في ذلك الحشدِ أن يكون محروماً من حبيبة؟
كم من عشرات الألوف، ياحسرة! برَّح بهم عشقُ الغريبات!
عجباً! إن قيصرَ عازمٌ على أن يضع تحت سيطرته
ما تبقَّى من العالم. كوني ملكَنا اليوم، أيتها الصينُ البعيدة
هلِّلوا لأطيافِ كراسوس: سيدفع الفرسُ الثمنَ الآن(٢)
هللوا للراياتِ المستسلمة بأيدي البرابرة
لا إقدام فتى، يدفعُ بفتىً إلى الحرب

طلباً للثأر، والقائد يثبت جدارته في صباه.
لا تأخذوا في الحسبان أعيادَ ميلادِ العظماء، أيها الجبناء
إن أزهارَ القيصر الباسلةَ تسمو على تاريخها.
الروح المقدسة تتقدم على نموِّ الجسد
وهي تبلى تحت سنوات الكسل الفاترة.

١

تمثيل معركة سالاميس Salamis على بحيرة اصطناعية قرب نهر التيبر.
وكانت المناسبة تدشين معبد مارس المنتقم Mars Ultor في السنة الثانية قبل الميلاد.

٢

كراسوس: قائد روماني. الرايات التي انتزعها الفرس يوم هزموا الرومان في كاريه، كانوا قد استعادوها بالمفاوضات الدبلوماسية.

أوفيد
الصفحة : ١٨٨

أوفيد
الصفحة : ١٨٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٧

هرقل قتل الثعابين بيدَيْ طفل،
وأثبت باخوس في مهده أنه سليلُ جوبيتر(١)
كم كان باخوس كبيراً، وهو في طور المراهقة،
حين ركز صولجانَ انتصاره على الهند
إن مباركةَ أبيك تزوّدك بسلاحِ العراك
ولا بد أن تفوز بالمباراة مادمت مسلحا بمباركته.
وأنت تستلهم ذلك الاسم الجبار لتجيد التدريب
فاليوم أنت أمير الشباب، لكنك غداً أمير الشيوخ.
إن لك إخوةً، فاثأر لما ألمَّ بإخوتك من ضيم
الأبُ أبوك، فكنْ لحقِّ الأب مؤيداً
راعي بلادك أمدك بالسلاح ولك حقٌّ استعماله:
العدوُّ سلب من الوالدِ عرشَه
وسيفُك العادلُ يتحدى سيفَه الآثم
والحقُّ والواجبُ يقفان إلى جانبِ رايتِك.
ولعلَّ فارسَ ستندم لما حاق بقضيتها من هزيمةٍ منكرة
ولْيَعُدْ أميرُنا غنيَّاً بالغنائم الشرقية!
باركاه يا مارس ويا قيصر، فكلاكما سماويان

١
هرقل وباخوس: ابنا جوبيتر، وأم كل منهما من البشر، لكن يضرب المثل بما أنجزاه من أعمال مجيدة رفعتهما إلى مصاف الآلهة. وفي الإنيادة (فرجيل) يقارن أنكايسيز (والد أيناس) مستقبل أغسطس بهما. والثعابين أرسلتها زوجة أبيه الغيرى (جونو).

أوفيد
الصفحة : ١٨٩

أوفيد

الصفحة : ١٩٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٨

أحدكما إله، والآخر سيدرك الألوهية.
اسمع! إني أرى انتصارَك قادماً، وسأرفع
ترنيمةَ شكر وأتغنّى عالياً بمدحك.
بكلماتي ذاتها لا بد أن تُلهبَ رجالَك حماسة
وعليَّ أن أكتب كلماتٍ جديرةً بشجاعتك!
سأحكي عن رماح تقذفها الجيادُ الهاربة(١)
وظهورُ الفرس مكشوفةٌ لوجوه الرومان.
عجباً أيها الفارسي! كم كانت خدعتك سيئة الطالع:
من يفر ليربح، ماذا يبقى منه إذا خسر؟
وآنئذ سنرى حبيبنا في يوم عظيم
مكسواً بالذهب، تجر عربته أربعة جياد ثلجية البياض
وأمامه يسير الزعماء مكبلين بإحكام
لئلا يلوذوا بفرارهم المعتاد.
والشباب والصبايا يتفرجون بمظاهرهم البهيجة
وكلُّ قلبٍ مسرورٌ بذلك اليوم
وإذا سألتْ حسناءُ: أيُّ زعماء هؤلاء
وأيُّ مدن وتلال وجداول يعرض الموكب(٢)
أجبْ عن كلِّ شيءٍ تسأل عنه وأكثر من ذلك

١

الشاعر يسخر من مناورة الفرس في الكر والفر، وذلك خيانة في نظر الرومان.

٢

كانت مواكب النصر تعرض صوراً من بلاد المهزومين.

أوفيد

الصفحة : ١٩٠

أوفيد

الصفحة : ١٩١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢١٩

وأعط أجوبتك إيقاعاً لطيفاً، وإن كنت لا تعرف شيئاً
ذلك هو الفرات بتاجه القصبي
وتلك هي دجلة بأعشابها الرمادية الطويلة
اعتبر هؤلاء من الأرمن، وذلك تاج دانان(١) الفارسي
وهذه بعضُ مدنِ الوديان الميدية

وهناك القادة، أضفْ اسماً أو اسمين
أسماء لائقة، وإن لم تكن صحيحة.
ابحث أيضاً عن ثغرات حول مائدة المهرجان
لأن الخمر ليست المكافأةَ الوحيدة في الغداء.
إن رأس باخوس، وهو يستلقي هناك،(٢)
غالباً ما يفتل كيوبيد المشرق بدغدغات ناعمة
وحين ترش الخمرة جناحيه المتقطرين
يبقى في مكانه مفتوناً مثقلاً بالأسى
وسرعان ما يقوم بنشر ريشه المندَّى
ولكن القلب يستسلم حالما يبتلُّ بالحب.
تُشعل الخمرةُ نارَ العاطفة في الروح
فيذوب الحذر ويتلاشى في الكأس المترعة

١
هو بيرسيس، ابن بيرسيوس وأندروميدا. ويقال إنه السلف الأسطوري للبيت الملكي الفارسي.
٢
الصراع بين الخمر والحب لا يبدو واضحاً في الأبيات التالية، لكن الحب هو المنتصر في النهاية.

أوفيد
الصفحة : ١٩١

أوفيد
الصفحة : ١٩٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٠

ثم يأتي الضحك ويعلن الفقر القتال
ويلوذ العبوس والقلق والأحزان بالفرار
وحينئذ يحل الصدق، وهو وافدٌ نادرٌ في أيامنا
فيفتح الصدر ويطرح الخداع بعيداً
وغالباً ما تكون ألبابُ الرجال هناك مسلوبةً بالرغبة
لأن فينوس ليس في أكوابها إلا النارُ فوق النار
إياك أن تثق كثيراً بضوء الشمعة المخاتل
لأن بصرك للجمال يزيغ بالليل والخمرة
ويوم قضى باريس بين الثلاث(١) وأعطى الجائزة
إلى فينوس، كانت السماء صافية لا سحاب فيها
الليل يخفي كلَّ عيب، وكلُّ زلةٍ ستُغتفر
وتستطيع الساعة أن تجعل من الشمطاء جميلة
اللآلىء والحلل الأرجوانية تدل على ضوء النهار
فليكن النهار حكماً على الوجه والأوصال
لماذا تحاول أن تدخل مناطق الصيد في الحساب
والأمكنة التي تزخر بالنساء كالرمل لا تحصى؟
ألا فَلْنَتَحَدَّثْ عن باياي(٢) وشاطئها الموشى بالأشرعة
وينابيعُها التي تنفث البخار مغشَّاة بالكبريت

١

هن فينوس وجونو ومنيرفا.

٢

منتجع جميل على خليج نابولي، معروف بينابيعه الحارة وشواطئه الرملية، مشهور بمواعيد الحب.

أوفيد
الصفحة : ١٩٢

أوفيد
الصفحة : ١٩٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢١

ولنعد من حيث بعض البائسين صرعى الحب قد هتفوا:
"هذا الماء ليس مأموناً بقدرِ ما هو مشهور".
وينتصب هيكل ديانا ربة الغابات في جوار المدينة موجعاً
حيث الكهنة يرتكبون القتل العمدَ والقتلة يحكمون
إن ربةً عذراء تكره سهم كيوبيد المريش
قد دمرت، وسوف تدمر، كثيراً من القلوب.
كذا رسمت ربةُ الشعر(١)، منطلقة بالأراجيز(٢) إلى حد بعيد
خرائطَ المواقع حيث يمكن العثورُ على الحبيبات وإيقاعُهنَّ في الشرك.
والآن بأي الفنون عليك أن تصطاد الجميلة المختارة
تلك مهارة عليا في العمل، سأسعى جاهداً لإعلامك بها
الرجال جميعاً يحسنون سماعَ المجاملة
وأسرابُ الحسان لا يَسمعنَ إلا وعودَ المودَّة
لتِعلم أوَّلاً أن جميعَ النساء يمكن الظفرُ بهن

وما عليك إلا أن تنشر الشّباكَ، والأمر جيد بقدر ما تتقنه.
إن طيورَ الربيعِ وجنادبَ الصيفِ ستظل خرساء
وتلوذ السّلوقياتُ بالفرار من مطاردة الأرنب
قبل أن ترفض المرأةُ مداهنات خاطب

١
Muse ربات الفنون والعلوم، لكني آثرت ربة الشعر لاقترانها بالأرجوزة.
٢
Couplets الدوبيت: مقطع شعري مؤلف من بيتين، وهو يشبه شعر الأرجوزة العربية.

أوفيد
الصفحة : ١٩٣

أوفيد
الصفحة : ١٩٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٢

وحتى تلك، التي حلفتَ بأنها لن تقبل أبداً، ستقبل.

المباهج المسروقة تثير الرجلَ والمرأةَ كليهما
هي تكتم أشواقَها وهو يتظاهر بالمرض
لو اتَّفق الرجال ألا يسألوا أيَّ امرأةٍ أوَّلاً
لكان دورُ السائل بقوة الضرورة أن يأتي معكوسا(١)
البقرةُ تخور للثور عبر المرج العطر
والفرسُ ماتزال تصهل للجواد المنتعل بالقرون
شهواتُ الرجال أهدأ باشتعالها وأكثر اتزانا
فنحن نكتب لواعجنا في قيود قانونية.
ولنتأمل بيبليس(٢)، وهي بلا خوف من حبل المشنقة
دفعت ثمن عاطفتها المحرمة؛
وميرا(٣) التي أحبت أباها، إنما بلا حكمة بنوية
تكمن حبيسة في جذع شجرة
تلك الشجرةُ العطرة التي من دموع عارها
تستقطر العبيرَ الذي يحتفظ باسمِها.
وفي وديان إيدا(٤) الظليلة كان يُربَّى يوماً

١
هذا اعتقاد قديم يتمسك به الرجال، والأمثلة التي أوردها أوفيد مأخوذة من القصص الأدبية المعروفة عن الحب غير الشرعي.
٢
Byblis شقيقة كاونوس caunus التوأم وقد وقعت بحبه.
٣
Myrrha بنت سينيراس Cinyras وأم أدونيس، وقد تحولت إلى شجرة المر.
٤
إيدا في جزيرة كريت.

أوفيد
الصفحة : ١٩٤

أوفيد

الصفحة : ١٩٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٣

ثورٌ بلون الثلج، مجدُ القطيع.
وبين قرنيه خطٌّ رفيعٌ من العنبر
إنه الشائبة الوحيدة على جلده الحليبي.
جاءت عجلات كنوسوس وسيدون(١) ملتهبات جميعاً
لتحمل عبءَ مغازلته.
وباسيفاي(٢)، في توقها لأليف حيواني
كانت تنظر إلى الأبقار الجميلة بغيرة وكراهية.
أتغنَّى بالصدق المعروف: لا ببلاد الأكاذيب تلك،
كريت بمدنها المئة، إن حكايتي بريئة منها.
وهي ذاتها جمعت لسيدها، كما يقال،
الأوراق الطازجة وأطرى الأعشاب بيدين غير بارعتين
وانضمت إلى القطيع لاتبالي بوضع سيدها
ويخلي ماينوس(٣) أبهة المكان لثور.
باسيفاي، لماذا ترتدين تلك الملابسَ الرائعة؟
ما من زينةٍ تستطيع أن تثيرَ خليلَك ذاك.
ما نفعُ تلك المرآة بين قطعان الجبل؟
وما الفائدة أيتها الحمقاء المتيّمة، أن تسوِّي شعرك المرتَّب؟

١

مدينتان في كريت.

٢

زوجة ماينوس، ملك كريت.

٣

ملك كريت، وهو ابن زيوس وأوربا. ونظراً لحكمه العادل صار القاضي الأعلى في العالم السفلي بعد موته.

أوفيد

الصفحة : ١٩٥

أوفيد

الصفحة : ١٩٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٤

ومع ذلك ثقي بمرآتك التي تريك أنك لست بقرة:

كم ستكون القرونُ سارَّةً على ذلك الجبين!

ألا فلتعشقي زوجَك ولا ترغبي بأيٍّ غريب

ولتأثمي مع واحد من أبناء جنسك، إن كان لابد من الإثم.

ها هي تهجر قصرَها وبين الأعشاب والأجمات
تطوف كأنَّما ركبها عفريتٌ في حفلة باخوسية متهتكة.
كم مرةٍ راقبتْ عجلةً بازدراء، هاتفة:
"لماذا ينبغي لهذه بذاتها أن تُبهج سيدي؟
انظر إليها على المرج وهي تثب مرحاً عند أقدامه
لاريب أن الحمقاء تظن أنها تبدو محبوبة هيا اذهبنَ واسحرنَه الآن!"
وفيما يتعلق بقدر أوربا وتضرع آيو(١)
إحداهما راكبةُ الثور، والأخرى عجلةٌ عذراء

١
أوربا وآيو من ضحايا نزوات جوبيتر، الأولى تنكر لها في هيئة ثور وخطفها، والثانية حولتها جونو – أخته وزوجته – إلى بقرة تطاردها ذبابة قارصة.

أوفيد
الصفحة : ١٩٦

أوفيد
الصفحة : ١٩٧

حتى خُدع ببقرة خشبية(١) فمنحها
بزرته، وخان الطفل(٢) سلالته.
لو أن بنت كريت(٣) لم تنتهك ما أخذ ثييستيس على نفسه من عهود
– ما أصعب أن تحتفظ الواحدة بالمودة لقرينها! –
لما مالت الشمس أبداً عن أوجه مدارها
ولا رجعت بجيادها إلى الفجر(٤) على عجل.
الطفلة التي سرقت من نيسوس(٥) ضفيرته الذهبية –
وعلى جانبيها قطيعٌ من كلاب الجحيم الهاجمة.
نجا ابن أتريوس(٦) من الحرب والعاصفة
وعلى يد زوجهِ الحاقدة لقي مصرعَه.
وحكاية حب كريوسا(٧)، من يقوى على قراءة عينٍ بلا رحمة –
يدا أمٍّ مصبوغتان بدم الأطفال؟

١

صنعها دايدالوس – المخترع الأثيني، وهو والد إيكاروس.

٢

المينوطور، وهو نصف رجل ونصف ثور.

٣

أيروبي، حفيدة مانيوس، اقترفت الزنا مع زوج أختها، ثييستيس وهو أخو أتريوس.

٤

الإشارة إلى نجمة الصباح (لوسيفير) قائد مركبة الشمس.

٥

ملك ميغارا (غرب أثينا) والطفلة ابنته سكيلي.

٦

أغاممنون – قائد حرب طروادة، وقد قتلته زوجته كليتيمنيسترا إثر عودته من الحرب، انتقاماً لابنتها.

٧

كانت زوجة جاسون، بعد ميديا التي قتلتها وقتلت ولديها من جاسون.

أوفيد

الصفحة : ١٩٧

أوفيد

الصفحة : ١٩٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٦

ويندب فينكس(١) قدرَه الفاجعَ فاقدَ البصر
وهيبوليتوس(٢) تنفر به الجيادُ المذعورةُ حتى يتهشم.
وأنتَ يا فينيوس(٣)، لماذا سلبت بنيك عيونَهم ولا ذنبَ لهم؟
تلك الوحشية لا بد أن ترتدَّ على رأسِك ذاته.
جميعُ هذه الأهوال اقترِفتْ بدافع من شهوات النساء
وهي أقسى من أفعالنا ومشحونة بجنونٍ أشد
إذن، إياك أن ترتاب، فكلُّ امرأةٍ عند طلبك،
ونادراً ما تقول لك إحداهنَّ "لانعملا" تكمنُ تعويذتُها في طلبِ اليد
وستنسحب بلا أذى، وإن كنت مهزوماً.
ولكن لماذا تنهزم؟وجميعُهن مولعات بالألاعيب الجديدة
يزدرين ما لديهن ويحسدن مباهج الآخرين.
الغلالُ كلُّها أوفرُ في حقل جارك،
والماشيةُ في الحوش التالي تعطي إنتاجاً أغزر.
حاول أن توطِّد معرفتك بخادمة فاتنتك:

وسيكون سبيلك ممهداً أكثر أمام مساعدتها.

١

اتهمته زوجة أبيه بأنه حاول إغواءها، وكانت تهمة باطلة، لكن أباه أمينتور صدق التهمة وعاقبه بسمل عينيه.

٢

اتهمته فيدرا زوجة أبيه ثيسيوس باغتصابها ظلماً، وقتل حين جمحت به الجياد مذعورة من وحش استحضرته لعنات أبيه.

٣

أقنعته زوجته إيدايا بسمل عيون ولديه من كليوبترا – زوجته الأولى، ثم أصيب بالعمى.

أوفيد

الصفحة : ١٩٨

أوفيد

الصفحة : ١٩٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٧

اعتبرْ أنهاتشارك سيدتها ثقتَها

وتحتفظ بسر علاقاتها الغرامية.
عليك بها حتى تضمنها بالتوسلات والوعود
بمساعيها الطيبة سيكون انتصارُك السهلُ أكيدا
ستحدد المواعيدَ بمهارةِ طبيبٍ دقيق
حين يكون قلبُ السيدةِ رقيقاً ومؤاتيا لتفوز به.
وهو يانعٌ للاستسلام إذ يكون مبتهجاً بالحياة تماماً
وهي وافرة كالغلال في حقول الذرة الحافلة.
عندما تكون القلوبُ طليقةً ولا تقوى الأحزانُ على تجريحها بعد
يتسلَّل الحبُّ بلطفٍ من خلال الباب المفتوح.
وخلال سنوات الكارثة دافعت طروادةُ بسلاحها
وفي غمرة البهجة رحبت بالحصان(١) المملوء بالمقاتلين.
ثم امتحنها آن تستثير منافسةٌ غيظها:
وليكن واجبُك أن تثأرَ للضعيف.
اطلبْ من خادمتها، وهي مشغولة بمشطها الصباحي،
أن ترد بسرعةِ المجذاف والشراع تلك الإهانةَ إلى صاحبها،
أن تتنهدَ وتهمس بصوتٍ خفيضٍ تحت أنفاسِها:
"أشك إن كنت وحدك قادرة على الثأر منها".

١
قصة الحصان الخشبي الذي تركه الإغريق على أبواب طروادة وهو ملآن بالمقاتلين وكان السبب في احتلال المدينة وتدميرها وقتل فارسها هكتور على يد أخيل.

أوفيد
الصفحة : ١٩٩

أوفيد
الصفحة : ٢٠٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٨

ثم ينبغي أن تتحدث عنك وتدافع عن قضيتك
حالفةً أن العشق المسعور سيودي بك سريعاً.
ولكن أسرعْ، مخافةَ أن تنهار الأشرعةُ وتموت الأنسام
إن الغيظَ يذوب مع مرور الوقت، مثلَ الثلج الهش.
وتتساءل: أينبغي على المرءِ أن يغويَ الخادمةَ كذلك؟
إن أدهى الأخطار يكمنُ في مغامراتٍ كهذه.
واحدةٌ متحمسة، واحدةٌ متهربة من عملها شاطرتك نومَك،
واحدةُ تحسب أنَّها معشوقتُك، واحدة تبغي الاستمرار.
النتيجةُ تثير الارتياب: حتى وإن كان الحظُّ صديقاً
وليست الخطةُ مما ينبغي لي أن أنصحَ بها.
أنا لا أقودُك فوق جرفٍ صخري أو رأس جبل،
فالشباب تحت إرشادي لن تزلَّ به قدمٌ أبداً.
وإذا شعرتَ، وهي تقوم بدور الوسيطة،
أنَّ نظراتِها ليست أقلَّ جاذبيةً من حماستها
احصلْ على السيدة أوّلاً: أجّلِ الخادمة،
لا يمكن للعاشق أن يبدأ مع امرأةٍ مشبوهة لإشباع الرغبة.
إني أحذِّرك من هذا، إذا كانت النصيحةُ البارعةُ هي السائدة
ولا تجعل كلماتي تندفع مع العاصفةِ نحو البحر
ولا تَقُمْ بالمحاولة، أوتعتصرْها حتى الثمالة؛
من شاركتك المعصية يوماً فلن تخونَك أبداً.
عبثاً يحاول الطائرُ الواقعُ في الشرك أن يفرَّ بريشه،

أوفيد

الصفحة : ٢٠٠

أوفيد

الصفحة : ٢٠١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٢٩

ويصابُ بالأذى الخنزيرُ الذي يندفع للخلاص من الشبكة المعقدة.
والسمكُ الذي ابتلع الصنارةَ سيظل عالقاً بإحكام حتى يهلك:
ادفعْ بالتهمةِ إلى بيتِ صاحبها، ولا تغادر الميدانَ إلا منتصراً.
هي لن تنقلبَ أبداً على شريكها في الجريمة،
وستَعلَمُ بكل ما تقولهُ وماتفعلهُ سيدتُها.
ولكنْ احتفظْ بذلك سراً، فإذا أبقيت جاسوسَك خفِياً،
فستظلُّ حبيبتُك دائماً تحت عينك الراصدة.
لا تحسبْ أنَّ أحداً لايحتاج تحديدَ الموعد
إلا من يحرثُ الأرضَ الصعبةَ أو يُقلعُ في البحر:
لا ينبغي لك أن تبذرَ الحبوب الغادرةَ دائماً،

ولا تأمنِ العبابَ اللازَوَرْدِيَّ على مركبِك الضعيف.
إن صيدَ الجميلةِ ليس مأموناً دائماً:
من يُحسنْ توقيتَ الضربة بعناية فهو الفائزُ الأفضل.
وإذا كان قريباً من متناولِ اليدِ عيدُ ميلادِها
أو ذلك الصباح الذي يموت فيه مارس ويولد شهر فينوس(١)
أو عندما يزدري الناسُ بالبهارجِ القديمة
ويزدهي المسرحُ بالثروةِ التي يُقدِّرها الملوك
تمالكْ نفسَك؛ إنه الوقتُ الذي تُطلق فيه بناتُ أطلس(٢)

١
أبريل.
٢
Pleiads وهن أيضاً مجموعة نجم الثريا.

أوفيد
الصفحة : ٢٠١

أوفيد
الصفحة : ٢٠٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٠

تهديدات العاصفة، وينطلقُ الغلامُ في المحيط.
خيرٌ لك أن تتوقفَ: إنَّ منْ يثقُ بالموج عندئذٍ
لن يُنقذَ حطامَ مركبهِ إلا بشق النفس.
ولكن ابدأ مغامرتَك في ذلك اليوم من ذكرى الكارثة(١)
ذلك الذي شهد آلليا يتدفقُ أحمرَ بدمِ الرومان،
أو حين يجعلُ اليهوديُّ السوريُّ يومَه السابع
مقدساً ويكون كلُّ عملٍ محرَّماً.
واحذرْ عيدَ ميلادِ سيدتي أكثرَ من أيِّ شيءٍ آخر،
وليكنْ أيُّ يومٍ محظوراً حين يعطى الموعد ويذاع.
راوغْ كما يحلو لك، ستَسلبُك: عقلُ المرأة
يكتشف طرائقَ لسلبِ عاشقٍ ملتاع.
البائع الظريف سيمر بك وأنت جالس هناك،
ويعرض بضائعه أمام الفتاة المبذرة،
وهي ستطلب منك أن تلقي عليها نظرة خبير،
ثم تقبّلك وبعدئذ تلح عليك بالشراء.
وتحلف أنها ستظل قانعة بهذا طوال سنين.
وهي اليوم بحاجة إليها، إنها اليوم جد رخيصة.
إن تتذرع بقلة المال فهي ستطالبك
بصك تعهد(ومن المؤسف أن تكون قادراً على الكتابة)

١
١٨ يوليو ٣٩٠ ق.م. هزم الغاليون الرومان على نهر آلليا في لاتيوم (إيطاليا).

أوفيد
الصفحة : ٢٠٢

أوفيد

الصفحة : ٢٠٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣١

وهي ترجو مبلغاً ضئيلاً لكعكة عيد ميلادها،
وتحدد ميلادها كلما كان ثمة مال للرهان،
أوتتظاهر بخسارة وتبكي بيأس مطلق
على قرط سقط منها وهو لم يكن هناك أبداً.
وهن غالباً ما يقترضن، لكنهن لا يفين الدين أبداً.
أنت تخسر مالك ولا تنال أي شكر.
إن عشرة أفواه، في كل منها عشرة ألسن لا تجدي
في سرد فنون البغايا الشيطانية.

أودع لوحك الشمعي رسالة استكشاف،
وامض قدماً مستبشر القصد،
واشحنها بكلمات الود والتحبب،
وأضف، مهما تكن، توسلاً متواضعاً.
التوسل جعل أخيل يشفق على بريام(١)
ويعيد له ابنه: التوسل يجعل حتى غضب الإله لطيفاً.
ثم اجعل الوعد قاطعاً: أي ضرر في الوعد؟
ليس هناك من هو أفقر من أن يَعِد بأي شيء.
الأمل ينبثق سرمدياً في القلب الإنساني،

إلهة نافعة، مع أنها مخادعة في أفضل أحوالها.(٢)

١

الإشارة إلى افتداء بريام لجثة ابنه هكتور وأخذها من قاتله أخيل.

٢

ربة الأمل، وكانت تعبد بالاشتراك مع الإخلاص الصادق والحظ والإشارة لا تخلو من غموض وهو سمة من سمات أسلوب أوفيد، تتكرر في أكثر من موضع.

أوفيد
الصفحة : ٢٠٣

أوفيد
الصفحة : ٢٠٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٢

أعط، وستجازف بالانصراف إلى آلامك؛
وهي تمضي بمكاسبها بعيداً، محتاطة من أي خسارة؛
لا تُعطِ، ولكن اظهر وكأنك دائماً على وشك العطاء،

كالحقول القاحلة التي تسخر من حلم المزارع
كالنرد الذي لا بد أن يقذفه المقامرون المتحمسون
وهم مستمرون في الخسران ليعوِّضوا عن خسارتهم.
هذه مهمتك آنئذ، فمدخلك للكسب سالك،
فهي لن تتوقف أبداً عن العطاء، مخافة أن يكون ما تعطيه بلا جدوى.
اكتب تملقك هكذا وأرسل بريدك
لتختبر قلبها وتكون في طليعة القافلة.
سيديبي أوقعتها رسالة التفاحة في الشرك،
فانقادت بكلماتها ذاتها إلى الموافقة العمياء.(١)

يا روما الفتية، انتبهي واهتمي بعلم البيان،
لا للدفاع عن قضية سجين فقير ما وحسب:

١
فتاة أثينية أحبها أكونتيوس فكتب على تفاحة: >أقسم بأرتيميس (إلهة القمر) أن أتزوج أكونتيوس، فالتقطت التفاحة وقرأت العبارة بصوت مسموع، كما كانت العادة في القديم، وهكذا التزمت بعهدها وإن لم يكن بإرادتها.

أوفيد
الصفحة : ٢٠٤

أوفيد
الصفحة : ٢٠٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٣

فكما في المحاكم ومجلس الشيوخ والجمهور تماماً،
كذلك قلب المرأة، بالبلاغة يستمال.
لكن الفن ينبغي أن يكون مقنعاً ولا ضرورة لاستعراض القوى
وإياك أن تملأ الصَّفحات بخطبة فضفاضة مملة.
من يتخذ من الخطابات البلهاء، دون سواها، صديقه الأثير؟
إن الرسالة في الغالب ستنتهي بكراهية مرة.
استعمل لغة سهلة وكلام عامة الناس،
ولكن بملاطفة، وكأنما تتحدث في الأسرة.
فإذا رفضتها وأعادتها من دون قراءة،
فتوقع أنها ستقرأها عما قريب وتمضي قدماً.
الثور العنيف يخضع للنير مع الوقت،
ومع الوقت تتعلم الفرس أن تتحمل الشكيمة.
الاستعمال المتواصل سيؤدي بحلقة الحديد إلى التلف
والحراثة الدائمة تثلِّم السكة الحادة.
أهناك ما هو أرق من الماء أو أقسى من الصخر؟
ومع ذلك فالماء يجوِّف أقوى الصخور.
ثابر بعناد وستخضع حتى بينيلوبي(١)
لقد استولوا على طروادة في النهاية، وإن تأخر الاستيلاء.
افترض أنها قرأت، لكنها لم تجب: فلا تستعجل،
دعها تواصل قراءة ما تكنُّ من ولع.

١

بينيلوبي: رمز العفة لأنها انتظرت زوجها أوليس عشرين سنة.

أوفيد

الصفحة : ٢٠٥

أوفيد

الصفحة : ٢٠٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٤

إنها سترغب في أن تجيب ما كانت مهتمة بقراءته،
أشياء كهذه تستوجب التقدم على خطوات ومراحل.
ربما ترسل في بادىء الأمر طلباً بارداً.
حتى تكون راضياً بألا تتحرش بها أبداً بعد ذلك،
إنها تخاف ما تطلب، وترغب بما يلائم تمنعها؛
تابع بإصرار: وستجني الفاكهة التي بحثت عنها في أوانها.
وفي غضون ذلك إذا مضت في محفتها
فانسل نحو الجميلة المتكئة من دون أن يلحظ أحد
وأحبط مسعى أي مزعج يسترق السمع
بأن تقنِّع حديثك بإيماءات محيرة ببراعة
وإذا طافت بلا هدف في الرواق الطويل
فتريث هناك أيضاً وشارك المتسكعة دورها.
وابذل جهدك أن تتبعها حيناً وتقودها حيناً آخر.
وتارة أسرع خطاك وطوراً خَفِّفْ من سرعتك.

ولا تكن خجلان من الانزلاق حول الأعمدة
وتقطع طريقها أو تمشيان الهوينى جنباً إلى جنب.
ولا تدعها في المسرح تفقد مفاتنها،
اجلس هناك وشاهد (دراما) ذراعيها.
هناك فرصتك لتراقبها ولتعجب بها،
وتتحدث كثيراً بالإيماءة والنظرة الخاطفة.
امتدح الرجل الذي يؤدي دور الفتاة المغناج
وصفق لكل من يعرض قلب عاشق.

أوفيد
الصفحة : ٢٠٦

أوفيد
الصفحة : ٢٠٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٥

انهض عندما تنهض، واجلس حالما تجلس،

واهدر وقتك لتوافق هوى سيدتي.

لا تدع شعرك مغطى بملاقط التجعيد
ولا تجعل أوصالك ملساء بالحجر البركاني الكاوي.
اترك هذه المباذل لأولئك الذين مازال طربهم الفريجي المسعور(١)
يدوي في سمع الأم كيبيلي.(٢)
جمال الرجل لا يحتاج إلى تلميع. إن ثيسيوس(٣)
فاز بالعذراء الكريتية بلا معونة دبابيس الشعر.(٤)
وفيدرا كانت مشغوفة بهيبوليتوس الغر.(٥)
وأدونيس الريفي كان محبوب إلهة.(٦)

١
الفريجي: نسبة إلى فريجيا وهي بلاد قديمة في آسيا الصغرى.
٢
الأم كيبيلي أو الأم العظمى جاءت إلى إيطاليا مع فريقها العربيد في القرن الثالث قبل الميلاد.
٣
(٣ – ٤) ثيسيوس أمير أثيني أحبته أرياندي (ابنة ماينوس ملك كريت) وساعدته في الخروج من المتاهة (لابيرينث) بعد أن قتل المينوطور (الحيوان الخرافي: الرجل – الثور) لكنه تخلى عنها في جزيرة ناكسوس، لكن باخوس أنقذها بعد ذلك. وحزن هذه البطلة المهجورة كان موضوعاً أثيراً لعدد من الشعراء.
٤

٥
هيبوليتوس: رمز العفة، أحبته فيدرا زوجة أبيه ثم اتهمته زوراً بمحاولة إغوائها.
٦
أدونيس أحبته أفروديت (فينوس) وقتله خنزير بري. وهذه الأسطورة الإغريقية تكرار لأسطورة (تموز وعشتار) البابلية.

أوفيد

الصفحة : ٢٠٧

أوفيد

الصفحة : ٢٠٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٦

الأوصال الصقيلة والمسفوعة بالشمس تبتهج بالممارسة
والثياب النظيفة هي التي تلائم الرجل تماماً
وأربطة الحذاء أنيقة لم يشوه الصدأ أطرافها
والأقدام لا تدب متخبطة وهي مكسوة بالجلود
ولا يكن شعرك مقصوصاً بطريقة سيئة وبلا ترتيب
ودع الأيدي الماهرة تشذب شعرك ولحيتك معاً.
ولا بد أن تكون أظفارك نظيفة ومقلمة جيداً،
وحافظ على منخريك خاليين من الشعر الغليظ الخفي.
ولا تزفر نفساً كريهاً من شفاه متسخة
ولا تدع الأخلاط الفاسدة تداهم أنفك.
واترك كل ما تبقى لنساء المدن
أو أولئك اللواتي يستحوذ عليهن الذكر برغباته.

لكن باخوس ينادينا؛ وهو نصير الحب أيضاً،
ويغذي اللهب الذي عرفه يوماً بنفسه.
لقد طافت الكريتية الرمل المجهول بسعار
في شاطىء ديا الصغيرة، ذي الأمواج المتلاطمة(١)

وكانت عباءتها مهلهلة بلا ترتيب وشعرها الزعفراني محلولاً
وهي تسير حافية القدمين.
لقد هتفتْ باسم ثيسيوس القاسي للأمواج الصماء

١
ديا: جزيرة ناكسوس حيث هجرت أرياندي.

أوفيد
الصفحة : ٢٠٨

أوفيد
الصفحة : ٢٠٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٧

ودموع العار تبلل وجنتيها الرقيقتين.
كانت تصرخ وتنتحب في وقت واحد، لكن الصرخات والتنهدات
صارت هي ذاتها، ولم يشوه البكاء عينيها.
وكانت لا تزال تلطم بيديها صدرها المخملي

وهي تولول: >ذلك الخائن هرب، آه! ماذا أفعل؟
آه، ماذا...؟< كانت تولول، لما جاء فوق الرمل هناك
صليل الصنوج وقرع الطبول الوحشي
وبصرخة رعب واحدة وأخيرة أغمي عليها،
ولم تظهر أوصالها فاقدة الحس أثراً من دم.
انظر! ها هم أتباع باخوس بشعرهم المتموج يرقصون،
انظر! ها هم أرباب الغابات المبتهجة يقودون موكب الإله المتقدم(١)
انظر! سايلينوس العجوز يتشبث، مخافة الانزلاق،(٢)
بعرف حماره المقوس الظهر، بقبضة مخمور.
والحوريات اللواتي يتبعنه يواجهنه آناً ويتراجعن آنا
بينما يحث الأحمق جواده المطهم بعصاه.(٣)

١
الساطير: واحد من أرباب الغابات عند الإغريق، يتميز بولوعه بالعربدة.
٢
حارس باخوس وهو من الساطير.
٣
يصف الشاعر حمار سايلينيوس بأنه جواد مطهم، إمعاناً منه في السخرية.

أوفيد
الصفحة : ٢٠٩

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٨

وهو يسقط عن مطيته طويلة الأذنين ورأسه أولاً،
تزعق عصبة الساطير: "انهض، أيها الأب، انهض.(١)
والآن انظر إلى الإله في مركبة مزينة بأكاليل الكرمة،
وهو يشكم نمريه بأعنة من ذهب.
عندئذ تلاشى شكل ثيسيوس وصوته وأفكاره،
وقد حاولت الفرار ثلاثاً وأمسكوا بها ثلاثاً وهي مروَّعة.
كانت ترتعش خوفاً كأعواد الذرة في الريح،
وكالقصب الذي يرتعد في تخوم المستنقعات.

ولها هتف الإله: "انظري إلى حبيبك الحقيقي،
لا تخافي يا جميلة كريت، ستكونين عروس باخوس.
السماء هي مهرك: فتطلعي من السماء إلى أسفل
وأرشدي مدير الدفة بتاجك الكريتي"(٢)
ثم وثب إلى الأمامو مخافة أن ترعبها النمور
(الرمل احتفظ بآثار قدميه لما سار).
ضمها إلى صدره وانطلق راكباً
بلا مقاومة: الأمر كله سهل جداً فيما يتعلق بإله.
وبعذئذ "هللو لإله الزواج!" و"باخوس ياهو" راحا يتنافسان".
هكذا يلتقي الإله والعذراء في زواج مقدس.

١
الساطير: واحد من أرباب الغابات عند الإغريق، يتميز بولوعه بالعربدة.

٢
التاج الكريتي: مجموعة من النجوم.

أوفيد
الصفحة : ٢١٠

أوفيد
الصفحة : ٢١١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٣٩

وهكذا، ومع انصباب هدايا باخوس أمامك،
إذا وجدت فتاة بجانبك إلى المائدة،
فابتهل لسيد الولائم وقوى الليل(١)
بألا تصيب القارورة دماغك بأي أذى.
ثمة احتمال كبير بأن همسات ستحدث،
وأن تلميحات معدة لها وفي إمكانها أن تخمنها.
وفي موجز خمري حاول أن تطرح على المائدة
أشياء ضئيلة رقيقة تعلمها بأنها حسناؤك الفاتنة:
أو حدق في عينيها بعينين من شغف:
في وسع النظرات الصامتة أن تتحدث بعبارة مثيرة.
والكأس التي لامست شفتها اللذيذة
كن أول من يقوم باختطافها، وارتشف من حيث رشفت.

وأي طبق تمسه بأصابعها، أسرع بوضع يدك عليه،
وفي أثناء إمساكك به، حاول أن تضغط على يدها.
وركز اهتمامك على إرضاء عاشقها بعد ذلك؛
وستجد أنه سيكون أكثر فائدة لك كصديق.
أعطه الأسبقية حين يدور الشراب من حولك،
واطلب أن يتوج رأسه بإكليلك ذاته.
ساعده في الوصول أولاً إلى كل طبق، حيثما يجلس؛

١
سيد الولائم: باخوس.

أوفيد
الصفحة : ٢١١

أوفيد
الصفحة : ٢١٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٠

وأي شيء يقوله، بادر إلى ترديده.
إنه مثبت ومؤكد أن تستعمل صديقاً طُعماً للإغواء؛
لكن وسائل كهذه باطلة، مهما كانت مثبتة ومؤكدة.
فالوكيل يمكن أن يبالغ في أداء دوره كذلك
ويطمح إلى ما هو أكثر مما في ميثاقه.(١)

سأنظم في شعري مبدأ تتبعه في الشراب؛
دع كلا من الساقين والعقل يعمل بشكل قويم
واحذر من منازعات تسببها الخمر أكثر من سواها،
واحترس من الأيدي المستعدة للشجار أكثر مما ينبغي.
الانغماس الأحمق في الشراب خلَّى يوريتيون مهزوما؛(٢)
أفضل الحفلات البهيجة مع الخمر، وطيب الطعام إلى ذهاب.
ارقص إن كنت مرناً، وغنِّ إن كان صوتك عذباً
أيَّاً كانت موهبتك فاستعملها للاستمتاع.
إن التظاهر بالسكر يعين، كما أنه يضر بصاحبه،
واكبح لسانك عن الزلات والمكاشفات الماكرة.
لأن أي كلمة بذيئة أوعمل سيىء

١
هذا الاستدراك الأخلاقي في الأبيات الثلاثة الأخيرة، كما يبدو في غير محله. وربما كان ورود هذه الأبيات بعد البيت ٧٤٢، أكثر ملاءمة: "هو يثق بإطرائك ويأخذ مكانك من دون أن تدري".
٢
إشارة إلى المعركة بين اللابيث والقنطور بقيادة يوريتيون.

أوفيد
الصفحة : ٢١٢

أوفيد
الصفحة : ٢١٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤١

قد يبدو ممن أسرف في الشراب أنه في ازدياد.
اصرخ: "هذا المكان لحبيبتي، وهذا لضجيعها!ليأخذ الشيطان صاحبها!"
ولكن حين تنفضُّ الحفلة ويغادر الضيوف
فاغتنم فرصتك لتنضم إليها في وسط الحشد
وتسلل إلى حيث تتسكع بين خليط المتناوشين،
اضغط القدم على القدم واقرص الفخذ بالأصابع
الآن، الآن وقت الكلام: فاغرب عني، أيها الخجل المغفل!
إن الحب والحظ كليهما سيساعدان في لعبة جريئة.
وأنا لا أحتاج إلى تعليم قواعد فن الخطابة:
لا تفعل إلا ما ترغب فيه، والطبيعة ستمنحك الكلام.
قم بدور الخاطب، وتصرف كالفتى الملتاع،
واستخدم كل مهاراتك لتبرهن أنك تقول الصدق.
الإقناع ليس عسيراً: كلهن يحسبن أنفسهن مرغوبات؛
حتى أكثرهن بساطة تراها معجبة بنفسها.
وغالباً ما ينتهي المدعي إلى الحب فعلاً كذلك،
فيعيش الدور الذي بدأ بتمثيله.
لذا، فالصبايا جميعاً ينظرن إلى الادعاء بعين الرضى،
فالحب الذي بدأ بالأكاذيب سينمو صادقاً.
والآن حبي يفعم قلبها برقة الإطراء،
كما تضعف التيارات المتدفقة الحافة الناتئة.

أوفيد

الصفحة : ٢١٣

أوفيد

الصفحة : ٢١٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٢

فلا تحسب إطراء الوجه والشعر غير لائق
وكذلك الأصابع ذات الشكل الجميل والأقدام الصغيرة.
الثناء على مفاتنها يبهج أشد الحسان احتشاماً،
والاهتمام الحنون يستميل نظرات العذارى.
لا، إن جونو ومينيرفا لا تفعلان ذلك وهما لا تزالان
تندبان فقدان تلك الجائزة على تل إيدا.(١)
الطاووس ينشر ريشه إذا ما أبدى أحد إعجابه،
راقبه في صمت وسيخفي بهارجه؛
وبين السباقات، ترى الخيول مبتهجة

حين تربِّت على أعناقها وتجعل أعرافها الممشطة ملساء لامعة.

وبعدئذ أعلن قصدك بجرأة: إنه إغراء الجنس؛
وناشد جميع آلهتك ليكونوا شهوداً.
إن جوف السامي يهزأ بأيمان العشاق الكاذبة،
ويأمر الرياح بأن تجرفها إلى عالم النسيان.
وسينقض جوف عهده الوثيق لجونو
فهو يحب أن يُقتَدى بمثاله ذاته الآن.
إن للآلهة تقديراتهم، فلنعتقد أنهم هناك،
يحملون الخمر والبخور إلى المذابح القديمة
ولا تحسب أنهم يقيمون منفصلين

١
باريس أعطى جائزة الجمال إلى فينوس، حارماً جونو ومنيرفا منها.

أوفيد
الصفحة : ٢١٤

أوفيد
الصفحة : ٢١٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٣

في أرض اللوتس الساكنة: كن صالحاً فالإله قريب.
رُدَّ ما استعرته، وأكرم ناموس الفضيلة،
واحذر من الخداع، ولا تلوِّث يديك بالدم.
النساء وحدهن يمكن أن يخدعن الحكيم بلا خوف،
ويكون الصدق مرة أشد عاراً من الخداع.
لذا خادع المحتالين؛ ودع جميع الأوغاد تقريباً
يقعون في الشباك التي حاكوها.
المطر الذي يحيي الأرض انحبس مرة في مصر،
وقيل إن الجفاف اجتاح الأرض تسع سنين.
ثم جاء ثراسيوس إلى بوزيريس وقال(١)
إن جوف سيلين إذا أريق دم غريب
ورد عليه الملك: "ستكون أول ضحية لجوف،
أنت الغريب الذي سينقذ الأرض من العطش".
وأمر فلاريس بيريلوس المتوحش كذلك
بأن يشوى في الثور الذي صنعه الشقي بنفسه.(٢)

١
أخذ أوفيد هذه الحكاية عن الشاعر كاليماخوس، لكن الأسماء الواردة تثير الالتباس. أصل الحكاية يعود بنا مئات السنين قبل الميلاد، وهي تذكرنا بقصة (السامري وعجله الذهبي) الواردة في القرآن الكريم.. وربما كانت كلمة (فالاريس) إشارة إلى فرعون (لقب بوزيريس، ملك مصر في هذه الأسطورة).
٢
فالاريس (خلافاً لأسطورة بوزيريس) شخصية تاريخية، كان طاغية في أكراغاس في صقلية في أوائل القرن السادس قبل الميلاد.

أوفيد

الصفحة : ٢١٥

أوفيد

الصفحة : ٢١٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٤

كل امرىء رهين بقدره، ولا شيء أعدل من أن يسحب
مصمم آلة الموت بآلته ذاتها.
كالكذابين الذين تخدعهم الأكاذيب بحق،
فدع النساء يشعرن بالآلام التي يبتليننا بها.

الدموع مفيدة كذلك، والدموع ستذيب الحجر؛
الوجنات الندية لا بد أن تظهر العدل في جميع الاعتبارات.
والدموع لا تأتي دائماً حسب الطلب –
فإذا كان لها أن تخيب، فالمس عينيك بيد رطبة.
وستمزج الابتهالات بالقُبل إن كنت حكيما؛
ومع أنها ترفض القبلات، تمسك بما ترفض.
ولعلها ستقاوم أول الأمر وتصفك بالمتوحش،

وبرغم ذلك فهي تتوق، في أثناء المقاومة، أن تقهرها.
ولكن انتبه، مخافة أن تصيب شفتيها الرقيقتين بالأذى
وأنت تعتصرهما وهي تصرخ: "قبلتك قاسية لا تطاق".

إن من يأخذ قبلة، ولا يأخذ ما يبقى هناك،
جدير بأن يخسر فعلاً كل مكاسبه.

ما أقل القبلة المجردة وما أبعدها عن السعادة الكاملة!
ليس هذا كبتاً، لكنه نقص في التناسل،

أوفيد
الصفحة : ٢١٦

أوفيد
الصفحة : ٢١٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٥

"يالها من قوة وحشية!"وستقول:إنها القوة التي تريدها المرأة،
إنهن يحببن أن يرفضن مايتلهفن إلى منحه.
ومن تستسلم لهجوم حب سريع،
تتمتع بالعار الذي اكتسبته:

ومن كان استسلامها ممكناً، لكنها تنسحب من دون أن تمس،
فهي آسفة لتصرفها، رغم تظاهرها بالابتهاج.
كانت فيبي وأختها كلتاهما مغتاظتين،(١)
ومع ذلك وجدتا أن مغتصبَيْهما ساحران.
من المفيد أن نروي الحكاية من جديد، وإن كانت معروفة
إنها قصة حب العذراء الأسْكيرية مع سيد هيمون.(٢)
كان ذلك يوم حكم للإلهة في فسحة إيدا(٣)
بأن تكون الأولى بين الثلاث، وقد دفعت رشوتها القاتلة،
وبريام رحب بأن تجيء إلى بيته في إليون(٤)
عروس لابنه من هيللاس النائية.(٥)
والجميع أقسموا أن ينتقموا لكرامة الزوج المطلخة بالعار،(٦)

١
أختها: هيلايرا، والخاطفان المغتصبان هما التوأمان كاستور وبوللوكس.
٢
العذراء ديداميا ابنة ليكوميديس ملك أسكيروس وقد أغواها أخيل.
٣
الإلهة فينوس التي منحها باريس جائزة الجمال، لقاء زواجه من هيلين. والرشوة القاتلة إشارة إلى حرب طروادة.
٤
بريام والد باريس، وإليون: طروادة.
٥
هيللاس: بلاد الإغريق.
٦
الزوج:مينيلاوس، أخو أغاممنون قائد الإغريق في حرب طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٢١٧

أوفيد

الصفحة : ٢١٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٦

وإثم رجل واحد صار قضية أمة.
أما أخيل فقد أخفى جنسه في لباس امرأة
على نحو مخزٍ، ولكن استجابة لتوسل أمه،(١)
ماذا يوجعك، أيها المحارب؟ الغزْل ليس شغلك
ولكن أن تسعى إلى الشهرة في فن باللاس الآخر.(٢)
ويد قاتل هِكتور، لماذا تستعمل
إبرة مع صندوق شغل خاص بدرع؟
ألا بعداً للخيط المتعب ورقصة المغزل!
إن يدك مكرسة لقذف الحربة البِليونية.(٣)
وهناك شارك عذراء من عشيرة ملكية غرفتها
ولم تكتشف أنه رجل إلا حين اغتصبها.
وهم يودون أن نعتقد أن عفة الفتاة انتهكت
بالعنف، لكنها استطابت العنف بكل جوارحها.
وكم صرخت: "ابق"، حين أزمع سيدها على السفر،
لأنه استعاض الآن عن المغزل بالسيف.
ديداميا، قولي من الذي اغتصبك؟

١

أم أخيل، ثيتيس حورية البحر كانت تعرف أن ابنها سيقتل إذا اشترك في الحرب.

٢

باللاس (مينيرفا) كانت إلهة حرب كما هي ربة الفنون.

٣

بليونية: صفة تكررت عند هوميروس، وهي نسبة إلى جبل بليون في ثيسالي، موطن أخيل، وكانوا يصنعون قناة الحربة من شجر الدردار في ذلك الجبل.

أوفيد

الصفحة : ٢١٨

أوفيد

الصفحة : ٢١٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٧

ولماذا تتملقين مرتكب عارك أن يبقى؟

وبينما تتورد النساء خجلاً من القيام بمبادرة الافتتاح،

يتناولن بسرور مايقدمه الآخرون أولاً.

ملعون هو الفتى الذي أفرط بالغرور

والذي ينتظر حتى تطلب المرأة منه أولا.
إن مهمته أن يفتتح، ومهمته أن يلتمس المكرمة؛
وعليها أن تصغي بلطف وهو يدافع عن قضيته.
اسألها لتفوز بها، فالسؤال هو كل ما تحتاج إليه؛

قل لماذا تريدها، ومن أين ينبثق حبك.
جوف كان في الماضي ينتظر السيدات بتواضع
وما من امرأة أبداً أغوت جوف العظيم.
ولكن إذا رأيت صاحبة السمو تزدري بتنهداتك
فارجع أدراجك من حيث أتيت وأرجىء مغامرتك.
إنهن يشتهين ما مضى، ويرفضن ما في متناول اليد؛
وإذا راجعت دعواك فالنفور سيزول
ولا تفصح دائماً عن آمال العاشق كلها
حاول أن تقدم الحب في ثوب الصداقة،
أعرف سيدة فائقة الاحتشام وقد خدعوها إلى حد بعيد،
وخادمة متواضعة أصبحت محبة مع الأيام.

أوفيد
الصفحة : ٢١٩

أوفيد
الصفحة : ٢٢٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٨

اللون الشاحب سيخجل البحَّار
الذي سيبدو مسفوعاً بالبحر وأشعة الشمس،
ويخجل الفلاح الذي يعمل في البرية
ويقلب التربة بالمحراث والمسحاة المملة؛
وكذلك الرياضي الذي يسعى إلى تاج من الغار
سيخجل أن يظهر بلون شاحب.
لكن العشاق لا بد أن يكونوا باهتين: إنه لون الحب ذاته؛
دع الآخرين يرتابون بذلك، إنه الزي الذي يليق بك.
أريون المتيم طاف السهول بحثاً عن سيديه(١)
وكان دافنيس مضنى من أجل ناياد الباردة.
دع الوجنات الهزيلة تعبر عن وجع القلب.
ولا تسخر من وشاح يغطي شعرك المتلألىء.
دع أوصال الشباب مرهقة بسهد الليالي
وبهموم العاطفة القوية وغصصها تولد من جديد.
ولكي تنال آمالك عليك أن تبدو تعيساً وتثبت
لجميع من يراك أنك واقع في الغرام.
هل أندب أو أنذر أن الوفاء مجرد اسم،
والصداقة كلمة، والحق والباطل سواء؟
آه، إياك أن تطري حسناءك أمام رفيق:

١

سيديه: زوجة أوريون الأولى. غارت هيرا (جونو) من جمالها فأرسلتها إلى العالم السفلي. والأسماء التالية غير معروفة.

أوفيد

الصفحة : ٢٢٠

أوفيد

الصفحة : ٢٢١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٤٩

فهو يثق بإطرائك ويأخذ مكانك دون أن تدري.
لم ينتهك باتروكلوس حرمة أخيل أبداً – هذه حقيقة،(١)
وفيدرا كانت طاهرة معك، يا بيريثوس.(٢)
ولم يكن حب بيلاديس لهيرميوني بأكثر(٣)
مما حمله فيبوس أو التوأمان لشقيقاتهم.
فمن لا يزال يرجو سلوكاً كهذا، فعليه أن يبحث
عن فاكهة من الأشواك، وعسل من ماء الجدول.
الجميع يحبون ما هو دنيء، مسراتهم هي غايتهم،
وأشد ما يسرهم إن آذوا صديقاً.
آه! لا ضرورة أن يخشى العشاق طعنة من الأعداء؛
ياللعار! من أجل السلامة، اجتنب أولئك الذين تثق بهم.
احترس من الإخوة، والأقرباء، والرفقاء الأعزاء،

إن هؤلاء يعطون الدافع الأصدق للخوف.
لقد انتهيت، لكن قلوب النساء متنوعة،

١
لعل السخرية هنا في محلها، ففي التقاليد الأدبية بعد هوميروس، كان بين باتروكلوس وأخيل علاقة حب. وهذه العلاقة كانت موضوع مسرحية مفقودة لأسخيلوس وهي (المرميديون). وقد اكتفى أوفيد بالتلميحات الساخرة بأن علاقتهم كانت عفيفة مع زوجات أصدقائهم.
٢
فيدرا: زوجة بيرسيوس الذي كان على علاقة مع بيريثوس أيضاً.
٣
هيرميوني:زوجة أوريستيس الذي لم يكن على علاقة آثمة مع صديقه بيلاديس.

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٠

إن ألف مزاج يقتضي ألفا من الفنون.
ما كل غلة قابلة للنمو في كل أرض:
هذه تنتج الحنطة، وتلك تمنح الخمر أو الزيت.
والأرض قادرة أن تعرض من القلوب بعدد الوجوه،
وعلى الخبير أن يعرف ما لا يحصى من الطبائع،
وأن يكون مثل بروتيوس، يذوب حيناً في النهر،(١)
ويبدو تارة شجرة، وطوراً خنزيراً خشن الشعر، وأسداً أحياناً.
بعض الأسماك تطعن بالحراب، وأخرى تصاد بالصنارات؛
وبعضها يجلب إلى اليابسة في شباك مشدودة بالحبال.
لا تحسب أن طريقة واحدة مناسبة لجميع الأعمار:
إن الأيِّلة المحنكة سترى الوجرة من بعيد.(٢)

إن من يتحرش بمحتشمة أو يحاضر على مغفَّلة
يجعل البائسة المسكينة فاقدة الثقة بنفسها في الحال.
وهكذا، بينما نراها تنفر من سيد محترم
فهي تغوص بخسة في عناق وضيع ما.

إن شطراً من عملي قد انتهى، ويبقى شطر آخر:
هنا يستقر المركب وننزل سلاسل المرساة.

١
بروتيوس: إله بحري يظهر في أشكال متعددة.
٢
الوجرة: حفرة مستورة تتخذ شركاً للصيد.

أوفيد
الصفحة : ٢٢٢

أوفيد
الصفحة : ٢٢٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥١

الكتاب الثاني

أوفيد
الصفحة : ٢٢٣

أوفيد
الصفحة : ٢٢٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٣

أنشد أغنية النصر، وردد الغناء من جديد:
فالطريدة التي بحثت عنها طويلاً وقعت في الشراك.
أيها العشاق السعداء، توجوا بالغار جبين الشاعر،
ودعوا هيسيود وهوميروس ينحنيان لي.(١)
هكذا حمل الطروادي تحت أشرعة ثلجية البياض(٢)
عروسه المخطوفة من شاطىء أميكلاي الرهيب،
وهكذا كان ذلك الذي أحضر في مركبته الظافرة
هيبوداميا آتياً بها إلى الوطن من بعيد.(٣)
ولكن صبراً يا شباب: مركبنا يشق عباب المحيط
وما زال مرفأ عهودنا نائيا.
لقد جئت بالفتاة إلى بابكم بشق النفس
وعلى فني أن يحمي ما أحرزته بفني.
إن المحافظة على شيء لا تقلُّ أهمية عن اكتشافه؛
هذا يأتي به حسن الطالع، لكن ذلك من عمل العقل.

فيا فينوس، ويا إله الحب ويا إيراتو يا من تكونين(٤)

١

هيسيود: شاعر إغريقي، تعليمي، ورد اسمه من قبل في (قصائد حب): النشيد ١٥، البيت ١٢ .

٢

الطروادي: باريس خاطف هيلين.

٣

هيبوداميا: زوجة بيلوبس (ابن تانتالوس).

٤

إيراتو: إحدى ربات الفنون، والشاعر يشير إلى التشابه بين اسمها واسم (إروس): إله الحب الجنسي عند الإغريق.

أوفيد

الصفحة : ٢٢٤

أوفيد

الصفحة : ٢٢٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٤

سمية للحب، إذا شئتم أن تقفوا إلى جانبي فليكن الآن.
إن عملي لجليل، أن أقول ما في وسع الفنون أن تفعل
لتحول دون فرار الحب، ذاك الذي يجوب العالم شارداً؛

مخلوق خيالي بزوجين من الأجنحة،
من العسير أن تفرض قيداً على كائنات كهذه.
ورغم أن كل مخرج مسدود بقبضة ماينوس
فقد خطط سجينه فراراً جريئاً بالأجنحة.
حين صمم دايدالوس حبس ذلك الكائن الخرافي(١)
نصفه ثور ونصف رجل، ثمرة خطيئة أم،
راح يتوسل: >أيها المليك العادل، ضع نهاية لمنفاي
ودع عظامي تستقر في بلادي ذاتها.

ولأن القدر العاتي حرمني من العيش(٢)
في وطني، فامنحني الإذن بأن أموت هناك.

أطلق سراح ابني، إذا كانت الكهولة لا تستحق الرحمة،
أو أشفق على الكهل، إن كنت لا تشفق على الفتى".

١
دايدالوس: مخترع إغريقي وهو باني المتاهة (لابيرينث)، وقد منعه ملك كريت (ماينوس) من العودة إلى بلاده فاخترع أجنحة له ولابنه إيكاروس.
٢
كان قد فر من أثينا بعد أن قتل ابن أخيه (بيرديكس) غيرة من طاقته على الابتكار.

أوفيد
الصفحة : ٢٢٥

أوفيد
الصفحة : ٢٢٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٥

قال هذه الكلمات، لكنها كلها، وكثيراً إلى جانبها،
كانت بلا جدوى: إطلاق السراح مازال مرفوضاً.
من أجل ذلك قال: "الآن، يا دايدالوس، آه الآن
أمامك فرصة لإظهار ذكائك!
على البر والبحر يحكم ماينوس سيطرته،
فلا البحر مفتوح لفراري ولا اليابسة.
ويبقى الممر الجوي، سنجرب الأجواء:
يا جوف العظيم، انظر بعطف إلى مشروعي.
فأنا لن أطمح إلى بلوغ مقامك المرصَّع بالنجوم،
وليس لي أي سبيل آخر للنجاة من الطاغية،
سأخوض نهر الجحيم، إن كان ذلك الطريق يؤدي إلى النجاة(١)
وفي كياني ستعيد الطبيعة تشكيل جميع قوانينها".
المحن تجعل الذكاء حاداً، فمن يتصور أن الإنسان
قادر، حقيقةً، على أن يشق طريقاً عبر السماء؟
نضدَّ ريش الطيور المجذافي في صف متراصف
وحزم النسيج الضعيف بإحكام بخيط من القنَّب،
ثم جعل الأطراف ثابتة بشمع يذوب في الحرارة
وها هي الآلة المبتكرة كاملة بين يدي الصانع الماهر.
وراح ابنه الفتي يلهو بالشمع والريش ضاحكاً

١
في النص (ستيكس) وهو نهر الجحيم الرئيسي في الأساطير الإغريقية وقد آثرت المعنى العربي لأن تأثير دلالته أقوى من الأصل.

أوفيد
الصفحة : ٢٢٦

أوفيد

الصفحة : ٢٢٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٦

ولم يخمن أن آلة كهذه قد صنعت لأجله.

قال أبوه: "هذه الآلة ستحملنا إلى الوطن،

وبواسطتها سننطلق بعيداً عن ماينوس.

كان عاجزاً عن سد الأجواء، وقد سد كل سبيل آخر

الأجواء سالكة، والأجواء مقياس عبقريتي.

ولكن لا تتخذ سبيلك مهتدياً بالجبار المسلح(١)

رفيق الدب الأكبر، ولا بنور الدب الأكبر.

أنا سأرشدك، فشق طريقك بالطيران ورائي؛

عليك أن تتبعني، وأنا سأقودك في الطريق الصحيح.

لأننا إذا صعدنا عبر أثير السماء

نحو الشمس، فتحت أشعتها سيذوب الشمع،

وإذا اندفعت أجنحتنا قريباً جداً من البحر

فالريش الهوائي سيبتل في العباب.

ليكن طيرانك في الوسط، يا بُنَي؛ وكن حذراً من الرياح كذلك،

ولتوازن شراعيك لتستقبل الهواء المواتي".

وبهذا التنبيه أخذ يركز اللباس الآلي ويوضح

عمله، كعصفورة تدرب أفراخها.

ثم شد جناحيه الجاهزين إلى ظهره

وبأوصال مرتعشة راح يختبر الآلة المبتكرة.

ومنح ابنه الغالي قبلة الوداع،

١
أوريون: نجم الجبار أو الجوزاء.

أوفيد
الصفحة : ٢٢٧

أوفيد
الصفحة : ٢٢٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٧
ولم تستطع وجنتا الأب مقاومة الدمع.
ومن تل يرتفع فوق السهل وينحدر قليلاً
انطلق الاثنان المشؤومان في مغامرتهما.
وما زال دايدالوس يحافظ على توازنه الثابت
وهو يتمايل بجناحيه ويلتفت ليراقب طيران الفتى.
والآن يشعر الصبي بما في رحلته الغريبة من إثارة
فيتخلص من خوفه ويطير بمهارة جريئة.
وهذان لمحهما من بعيد رجل يصطاد بصنارة مرتعشة،
وسرعان ما سقط من أصابعه ما كان يعمل به.

كانت ساموس تقع إلى اليسار، وناكسوس إلى الوراء(١)
وباروس والجزيرة التي يحبها فيبوس؛(٢)
وإلى اليمين كانت أستيباليا ولجتها الزاخرة بالأسماك
ومنحدرات ليبنثوس وكاليمني المكسوة بالغابات،
عندما اندفع الفتى مشتعلاً بكل طيش الصبا
ليحلق عالياً ويترك أباه.
ويقترب من الشمس، فتنحل الروابط الشمعية،
ويحرك ذراعيه غير قادر أن يطفو على النسيم،
وبذعر يلقي نظرة عجلى على البحر من أعالي السماء،

١
أسماء الجزر هذه لم تمكن الباحثين الجغرافيين من تحديد طريق دايدالوس. ويبدو أن الشاعر أوردها لما فيها من إيحاءات شعرية.
٢
ديلوس، مسقط رأس فيبوس (أبوللو).

أوفيد
الصفحة : ٢٢٨

أوفيد
الصفحة : ٢٢٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٨
وطغى الظلام على عينيه المجرحتين.
ويزول الشمع، وتلتوي الأوصال العارية
ويتخبط محاولاً الإمساك عبثاً بأي سناد
ويهوي وهو يصرخ في سقوطه: "أبي، أبي،
لقد هلكتإيكاروس،
أين إيكاروس؟ آه، إلى أين حلَّقت؟
آه، يا إيكاروس!" ويرى ريشه يتقاذفه الموج.
الأرض تحتضن عظامه: والبحر يتَّخذ اسمه.
أجنحة بشرية لم يستطع ماينوس أن يكبح جماحها
وأنا عازم على تكبيل إله مجنح.
مخدوع من يلجأ إلى براعة ساحر
ويسحب من جبهة مهر سائلاً سحرياً.
ما من أعشاب سحرية تستطيع أن تغري الحب بالبقاء
ولا من ساحر مارسي يكون سحره نافذاً.(١)
لو أمكن للتعاويذ أن توثق الحب، لظل أُوليس مشدوداً
إلى كيركي، وجاسون مرتبطاً بعروسه الكولكية.(٢)
إن شراب المحبة المضني تتجرعه الحسان بلا جدوى،

١
مارسي: شعب لاتيني اشتهر أبناؤه بالسحر.
٢
كيركي: الساحرة التي حاولت إغواء أوليس بعد حرب طروادة. والكولكية (هي ميديا) من كولكيا على البحر الأسود.

أوفيد
الصفحة : ٢٢٩

أوفيد
الصفحة : ٢٣٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٥٩

والشراب السحري الفعال يؤدي إلى جنون في العقل.
فلتغرب أيها السحر عني، إن الحب هو السحر الذي تحتاج،
السحر الذي لا يستطيع الوجه ولا الشكل وحده أن يقوم به.
فإن تكن في حسن نيريوس، محبوب هوميروس في الزمن الغابر،(١)
أو هيلاس الذي اختطفته الحوريات، ياللعار،(٢)
فأنت لن تحتفظ بحبك، بل ستجدها قد فرت قبل أن تشهق،
إلا إذا قرنت جمال الجسد بحسن تنشئة العقل.

الجمال زينة هشة معرضة للزوال
مع السنين، وهو يتلاشى مع الكبر.
فلا البنفسج ولا الزنبق الكأسي يزهر دائماً
والشوكة اللامعة تبقى حية بعد ورداتها الذابلة.
وأنت كذلك، أيها الفتى الوسيم، سرعان ما تغدو خصلاتك رمادية،
وسرعان ما تشق التجاعيد دروبها على بشرتك.
دع الجمال يرتكز على قاعدة العقل الراسخة،

١
نيريوس: كان أجمل أبطال الإغريق الذي جاء إلى طروادة بعد أخيل،وبعد هوميروس كان مشهوراً بأنه مأبون.
٢
هيلاس: الصبي الذي أحبه هرقل، وقد فتنت به حوريات الماء وقمن باختطافه.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٠

أوفيد

الصفحة : ٢٣١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٠

فحتى القبر لن يبقى إلا العقل وحده.
عليك أن تغني روحك بدراسات حرة
وأن يكون هدفك إتقان اللغتين كلتيهما.(١)
كان أوليس متألقاً في الحديث لكنه يفتقد المظهر،
ومع ذلك كانت حوريات البحر متيمات بحبه.(٢)
لكم تفجعت كاليبسو إذ فارقها على عجل،
وأقسمت أن البحر غير صالح للتجديف.
وكانت تسأله مراراً وتكراراً عن أحداث طروادة:

وهو يروي لها الحكاية القديمة ذاتها بكلمات مختلفة.
كانا يسيران على الشاطىء، وهناك أيضاً رجته
الجنية الجميلة أن يقص عليها حكاية ريسوس الملطخة بالدم.(٣)
وبعصا رفيعة (بالمصادفة كان يحمل عصا)
راح يخط القصة على الشاطىء المتفتت.
قال: >هنا طروادةوهذا يمكن أن يكون سيمويس، وهنا يقوم معسكري؛(٤)

١
اللغتان : الإغريقية واللاتينية.
٢
كيركي وكاليبسو. وقد اقتبس الشاعر حكاية هاتين الحوريتين من الأوديسة.
٣
ريسوس: ملك طراقيا، قتله أوليس وديوميديس وقتلا معه كثيراً من أتباعه وعادا بخيوله البيضاء المشهورة في مباغتة ليلية.
٤
سيمويس: نهر في طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٢٣١

أوفيد
الصفحة : ٢٣٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦١

وهذا الحقل (ورسم واحداً) هو حياة دولون المصبوغة بالدم،(١)
بينما كان يتجسس بتركيز على جياد أخيل.
وهنا كان يخيم القائد الطراقي، ومن هذا الدرب
عدت بالخيول التي استوليت عليها في تلك الليلةانظر أية أسماء جبارة
يطالب بها بحرك المأمون ضحايا له<.
فاحذر، مهما تكن، جمال الجسد الغادر،
أو عليك أن تتباهى بما هو أكثر من المظهر الخارجي.
المعاملة الطيبة الحكيمة هي التي تأسر فعلاً:
والطباع الوحشية تقود إلى العداوات والضغائن الموجعة.
إننا نكره الصقر الذي يشن الحرب في جميع أيامه،
ونكره الذئب الذي يفترس القطعان الخانعة.
ولكن ما من أحد يتآمر على السنونو اللطيف،
والقُمريَّات التي تعيش في أبراجها بأمان.
ألا بعداً للنزاع وحرب الألسنة الملعونة،
فعلى الكلمات اللطيفة يجب أن ننشىء الحب الرقيق.
دع الزوج ينفصل عن زوجه إذا اشتدت المجادلات،

١

دولون: جاسوس طروادي، قبض عليه أوليس وديوميديس، وهو الذي أرشدهما إلى معسكر ريسوس.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٢

أوفيد

الصفحة : ٢٣٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٢

أتظن الحياة سلسلة من دعاوى الخصام؟

اترك الزوجات للشجار، فالنزاع بائنة الزواج،

وعليك أن تتودد إلى خليلة في تلك الساعة.

ما من قانون يقضي بسرير واحد لتشارك فيه،

الحب هو الذي يقوم بدور القانون في قضيتك.

بالإطراءات الرقيقة والكلمات التي تسحر السمع

اقترب، واجعلها سعيدة بظهورك.

أنا لا أعظ الأثرياء بقوانين العشق هذه:

إن من يستطيع أن يدفع لا يحتاج أي شيء من تعاليمي.

"هنا شيء ما لك" هو جوهر الفطنة،

وجميع فنوني في إرضائك خاضعة له.

أنا شاعر الفقراء، وهكذا أحببت

إنني أهب كلمات رائعة، وهي هدايا ذات تكاليف باهظة جدا.

يجب على الفقراء أن يحبوا بحكمة، وأن يخافوا من اللوم

وأن يتحملوا بصبر كثيراً مما لا يقوى الأغنياء على تحمله.

مرة انتزعت شعر فاتنتي في نوبة غضب،

وأقسم أن النوبة كلفتني عدة أيام غالية.

وقد حلفت أني مزقت عباءتها – ولم تكن الحادثة كذلك –

وجعلتني أشتري عباءة أخرى بدلاً منها.

ولكن تجنبوا أخطاء معلمكم، يا رجال الإدراك

واحذروا من العواقب الوخيمة لإساءتي.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٣

أوفيد

الصفحة : ٢٣٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٣

خوضوا الحرب مع الفرس، ومع الحسناء الأنيقة
ليكن السلام، والابتسامات وكل ما هو مؤيد للحب.
ولكن إذا لم تجد لقضيتك رحمة ولا تأييداً
فاستسلم وتحمل: وسرعان ماتغدو أكثر حناناً،
بالصبر ستجعل الغصن قابلاً للانحناء
وإذا كنت متوتر الأعصاب فلن تقوم إلا بكسره .
وبالصبر تستطيع أن تقطع الأنهار سباحة
ومن يقاوم التيار فلن يصل إلى الضفة.
وللصبر تخضع النمور والأسود الليبية؛

والريفي يدرب ثوره على الحراثة ببطء.
إن أطلانطا الأركادية ذات المزاج الوحشي(١)
قد خضعت وفاء بالوعد لحبيبها – وإن لم يُعرف أقسى منها.
وتدور الحكاية أن ورطته ومعاملتها القاسية
غالباً ما جعلت ميلانيون يندب في الغابات
وبأمر منها غالبا ما كان يحمل ملابس الصياد
وغالباً ما طعن الخنزير المتوحش بحربة قاتلة
وكان يشعر بالأسف لإصابته بسهام هيلايوس – (٢)
وهو ما زال يدرك أن سهام الآخر كانت أفضل.(٣)

١
أطلانطا: الصيادة المحتشمة بشدة، فاز بها ميلانيون بالحيلة.
٢
هيلايوس: قنطور، منافس ميلانيون.
٣
الآخر: كيوبيد.

أوفيد
الصفحة : ٢٣٤

أوفيد
الصفحة : ٢٣٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٤

أنا لا أدعوك إلى حمل الملابس على ظهرك
أو أن تتسلح تماماً لترتقي درب الغابة،
أو أعرِّي صدرك أمام السهم المسدد؛
إن مبادئي معتدلة وفني حكيم.
اخضع للمقاومة، فالخضوع يكسب المباراة
ولا تلعب إلا الذي تأمرك هي بلعبه
والعن ماتلعنه هي، وامدح أي شيء تمتدحه،
ولتكن صدى لكل "نعم" وكل "لا" تنطق بها.
اضحك عندما تضحك، وانتحب فوراً عندما تبكي،
ودعها تعطي الأوامر لشفتيك وعينيك.
وإذا لعبت بالنرد العاجي المرقَّم،
قم برمي الزهر أولا، وتحمل خسارة اللعبة.
ولاتجعلها أبداً تدفع خسارتها بالنرد الرباعي،(١)
والرمية المشؤومة، حاول أن ترميها بنفسك؛
وعندما تسيطر بيادقك المهاجمة على رقعة الشطرنج،
يجب أن يستسلم بطلك لخصمه البلوري.
وأنت بذاتك يجب أن تنصب لها المظلة وتنشرها
وأنت بذاتك يجب أن تشق أمامها الطريق عبر الجمهور.
أسرع وهيىء مسند القدمين تحت محفتها
وضع لها نعليها أو اخلعهما من قدميها.

١

زهر النرد هذا يحمل أربعة أرقام فقط.

أوفيد
الصفحة : ٢٣٥

أوفيد
الصفحة : ٢٣٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٥
وكثيراً ما تطلب منك، وإن كنت ترتعش من البرد،
أن تدفىء يدها الباردة في صدرك؛
وإذا حملت لها مرآتها بيدك يا من ولدت حرا(١)
فلا تحسب الأمر مهيناً (وستحبه، برغم ذلك)
إن الذي كسب السماء التي كان قد سندها من قبل،
حين ملت زوجة أبيه من تعذيبه،(٢)
راح مرة يحمل صندوق الشغل، كما يقال،
بين صبايا ليديا ويعمل في غزل الصوف.(٣)
لقد تحمل التيريني العظيم سلطة امرأة،(٤)
فمن أنت حتى تتهرب من القيود التي تحملها؟
وهي تحدد موعداً لكي تلتقيك في المدينة،
فلتكن هناك مبكراً ولتبق هناك متأخراً.
إذا أرادتك في مكان آخر، فاطرح كل شيء جانباً
وأسرع، ولا تدع حركة المرور تؤخر سيرك.
وحين تدعو تابعها وهي في طريق العودة
إلى سريرها، فاظهر بدلاً منه.

١

تقديم الكرسي والحذاء والمرآة وما شابه كان من أعمال العبيد.

٢

زوجة الأب: جونو التي عذبت هرقل، ابن جوبيتر.

٣

ليديا: بلاد في آسيا الصغرى.

٤

التيريني: يوريستيوس، ملك التيرينيين، وهو الذي قام بتعذيب هرقل بأمر جونو.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٦

أوفيد

الصفحة : ٢٣٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٦

أو إذا دعتك إلى كوخها الريفي مرحبة –

والحب يكره التلكُّؤ – امشِ إن انقطعت وسائل النقل،

فلا تدع العواصف ولا حرارة الشعرى اليمانية اللافحة
ولا الدروب العالية المكللة بالثلج تعطل مسيرك.
الحب عملية حربية: ولا بد من طرد المتخلفين،
ولا يمكن أن يجنِّد قلب خوار تحت هذه الراية.
وستجد العواصف والظلام والآلام والممرات المضنية
في حملة الحب، وشركاً من كل نوع.
وكثيراً ما ستنسكب الغيوم الممطرة على رأسك،
وكثيراً ما تهيىء فراشك البارد فوق الأرض الجرداء.
ويقال إن أبوللو كان يستلقي في كوخ متواضع
ويرعى قطعان سيد فيراي. (١)
فمن يجرؤ على ازدراء ما تلطف فيبوس بعمله؟
تخلص من غرورك، وهذا ما يجعل الحب مستمراً صادقا.
وإذا رفضت وصولك الآمن الصادق
والبوابات محكمة الإغلاق بالمزلاج من الداخل،
فعليك أن تقوم بوثبة سريعة عبر باحة الدار
أو تزحف برفق من خلال نافذة عليا.
فإن علمت أنك قمت بكل هذه المخاطر من أجلها

١
فيراي: مدينة في ثيسالي، وكان ملكها (أدميتوس) على علاقة حب مع أبوللو، كما يلمح الشاعر إلى ذلك.

أوفيد
الصفحة : ٢٣٧

أوفيد
الصفحة : ٢٣٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٧
فمعشوقتك ستكون مسرورة: إنه البرهان الأقوى للحب.
لأن حب ليندر لهيرو لم يكن نزوة أبداً، (١)
وكان يقوم بالسباحة كل ليلة للتعبير عن حبه.
فلا تحسب أن من العار أن تتودد
للأتباع وخادمات الغرف، على اختلاف مراتبهم.
حي كل واحد باسمه ـــ لن يكلفك ذلك أي شيء ـــ
وتمسك بأحط الأيدي لتبلغ أسمى أهدافك القصوى.
لا تتذمر من التابع في عيد القديسة فورتونا، (٢)
فمن يستجد القليل ، لا يمكن أن يكلفك كثيرا،
ولا تحقد على الخادمة يوم سقوط الغاليين
وقد خدعوا بملابس السيدات الحرائر. (٣)
اكسب الجميع إلى صفك، وليكن من أتباعك خصوصاً
حراس الدار والقائمون على أبواب غرف النوم.
لا ضرورة أن تبدد ثروتك على الحسناء:

١
كان ليندر يأتي سباحة للقاء حبيبته هيرو كل ليلة، مهتدياً بمصباح. لكن ليلة عاصفة أطفأت المصباح وأدى ذلك إلى غرق الحبيب ثم لحقت به الحبيبة. الحكاية بالتفصيل في (قصائد حب، الكتاب الثاني، النشيد ١٦).
٢

عيد الحظ (فورتونا) في ٢٤يونيو، أول من كرسه الملك (سيرفيوس تولليوس) وكانت أمه من الإماء كما يدل اسمه الأول ـــــ لذلك كان هذا العيد حدثا بين العبيد والطبقات الدنيا.

٣

بعد أن تراجع الغاليون في ٣٩٠ ق.م تعرضت روما للهجوم من قبل جيرانها، وقد طالب المهاجمون باستسلام الحرائر لهن، فلبست الخادمات ملابس السيدات، وبينما كان الأعداء منغمسين بملذاتهم ليلاً فاجأهم الرومان.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٨

أوفيد

الصفحة : ٢٣٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٨

أعط القليل، إنما ذلك القليل ذا النكهة الطيبة.

عندما تنضج الحقول وتنحني الأغصان بحملها

أرسل سلة حافلة بطيبات الريف.

قل إنها هدية من دارتك الريفية،

مع أنك اشتريتها من الطريق المقدسة. (١)

أرسل إليها الأعناب والكستناء التي كانت تحبها

أماريلليس، وأعتقد أنها تزدري بها الآن. (٢)

كذلك الحمام والسلوى وما شابه

سينفع في البرهان على أنك ما زلت فتى وفياً.

هكذا يستغل الورثة المدعون من لا أبناء لهم من الرجال الخرفين:

فالعن أولئك الذين يسيئون لاسم ذلك الواهب!
لا فائدة في أن تدعوك لإرسال أنشودة عاشق،
آه ياله من شرف هزيل! ذاك الذي يمنحه الشعر.
القصائد مستحبة، لكن لهفتهن تنصب على المال،
حتى الهمجي يرحبن به إن كان غنياً.
هذا هو العصر الذهبي بحق، وبالذهب.
تشترى المرتبة العالية، والحب يشترى ويباع.
ولو جاء هوميروس ذاته مصحوباً بجميع الربات التسع (٣)

١

via sacra: شارع الذهب والجواهر في روما، الذي ينتهي بالكابيتول.

٢

هذه الإشارة مقتبسة من فيرجيل، وأوفيد يقصد أن بنات المدن لم تعد تغريهن تلك الهدايا الريفية بل يطمعن بأكثر منها.

٣

ربات الفنون التسع.

أوفيد

الصفحة : ٢٣٩

أوفيد

الصفحة : ٢٤٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٦٩

ويداه خاليتان، فليس لهوميروس إلا الطرد.
النساء المثقفات مازلن موجودات هنا وهناك،
وبعضهن غير مثقفات، لكنهن يتمنين أن يكن كذلك.
اكتب شعراً لكل منهما، واقرأ بصوت يذوب رقة
إن أضعف شعر سوف تستمتع به من تسمعه.
لذا أحرق زيت منتصف الليل، فأيما كانت المعشوقة
فإن أنشودتك يمكن أن تعتبر أجراً تافهاً.
إن ما تراه بنفسك فإن من الحكمة أن تفعله،
حاول أن تجعل فاتنتك تستجديه منك.
ولنقل إنك وعدت عبداً بحريته:
اجعله يلتمس ذلك المعروف من معشوقتك.
وإذا عفوت عن كادح سجين رحمة منك:
فامنحها تلك الهدية التي قدمتها في أية حال
المكسب من نصيبك، فهي تبقى معتمدة عليك،
دعها تلعب دور السيدة الكريمة: ذلك أمر زهيد.

من يأمل أن تبقى حبيبته عالقة بالصنارة
عليه أن يجعلها تعتقد أنه مفتون بنظراتها.
فإن كانت في لباس الحرير، فأكبر ذوقها في الحرير،
وإن كانت بألوان صورية، فامتدح حلل صور.
أما في الذهب، فهي أغلى بكثير من الذهب،

أوفيد

الصفحة : ٢٤٠

أوفيد

الصفحة : ٢٤١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ١٧٠

وإن اختارت الصوف الخشن، فاستحسن اختيارها الصوفي.
وفي ثوبها الفضفاض، اهتف إنها مثيرة حتى التوهج،
لكن أضف في نبرات قلقة: "احترسي من البرد".
إذا فرقت شعرها فأثن على أناقة المفرق.
وإن جعدته بالملاقط، فإن الشعر المجعد يبدو جميلا
أظهر هيامك بأوصالها الراقصة وصوتها المغرد،
وقل إنك آسف لأن المعزوفة انتهت.
وحتى عناقها وطرائقها الشهوانية بذلك،
ومباهجها الليلية يجب أن تأخذ نصيبها من الإطراء.

وإن كان مزاجها قاسياً مثل ميدوزا الضارية، (١)
فإنها ستذوب رقة حين تخطب ودها بحكمة.
وكن حذراً لئلا تكتشف المخادع فيك،
وإياك أن تجعل ملامحك تشي بكذب كلماتك.
المكر ينفع إن كان خافياً، ويجلب العار إن فاجأتك متلبساً به،
وهو يدمر الوفاء، كما ينبغي أن يكون.
وغالباً ما نرى في أيام الخريف الجميلة

أن الجسم يلتوي تحت وقع المناخ المتغير،

١

ميدوزا: غرغونة كانت تصيب بالتحجر كل من ينظر إليها. والغرغونة إحدى أخوات ثلاث في الأساطير الإغريقية، ورؤوسهن مكسوات بالأفاعي بدلاً من الشعر. وبيرسيوس هو الذي قتل ميدوزا.

أوفيد

الصفحة : ٢٤١

أوفيد

الصفحة : ٢٤٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧١

حين يصطبغ العنب بالأرجوان مترعاً بالنبيذ،

وحين تتحول الحرارة الفاترة مع قشرة باردة من الصقيع.

إذا شاء الإله فهي في منجاة من الأذى، وإذا طرحها المرض

وشعرت بكرب الأجواء الوبيلة

أثبت تفانيك في الحب عندئذ، وازرع بعمق

البذار، وبعد حين ستحصده بمناجل ممتلئة.

إياك أن تنفر من أخلاط المريض، (١)
ولتكن يدك تلك التي تريد أن تعتني بها.
أظهر لها أنك تبكي، ولا تحجم عن قبلاتها
لا، بل أعط شفاهها الظمأى دموعك لترتشفها.
ابتهل كثيرا، إنما بصوت مرتفع، وإذ تبدو
أنها ميالة للإصغاء، تحدث عن الأحلام السعيدة.
استدع العجوز الشمطاء لترش بيد مرتعشة
كبريتاً وبيضاً لتطهير الغرفة والسرير. (٢)
هذا كله سيظهر تفانياً في الحب جميلا،
وهكذا ابتدع كثيرون طرائقهم بإرادتهم.
ولكن خفف من اهتمامك العطوف، وأمسك
عن إزعاج مريضتك بالعناية المفرطة.

١
الأخلاط الأربعة (الدم والبلغم والصفراء والسوداء) كان القدماء يعتقدون أنها تقرر صحة المرء ومزاجه، حسب اختلاف النسب.
٢
كانت الزوجة المتأثرة بالخرافات تطهر نفسها بمئة بيضة في عيد تجديد الشباب لتدفع عنها المصائب.

أوفيد
الصفحة : ٢٤٢

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٢
لا تطلب منها أن تتحمل جوعاً شديداً، ولا تعطها عصيراً مرا
لكي تتجرعه، وذلك ما يمكن أن يفعله غريمك.
إن الريح التي تدفعك بعيداً عن الشاطىء
حتى تتقدم في عرض البحر، لن تجدها مواتية بعد ذلك.
والحب الجديد المتقلب، يجب أن يزدهر بالممارسة،
وسرعان ما ينمو أقوى، إذا كانت تربيتك له حكيمة.
ذلك الثور المخيف، هو العجل الذي اعتدت أن تمسد شعره،
وهذه السنديانة الوارفة الظلال كانت شجيرة ذات يوم.
الجدول الصغير يكتسب قوة بالجريان
ويجمع كثيراً من المياه في مجراه.
لا شيء كالاستعمال، اجعلها معتادة عليك،
ولا تنفر من أي ضجر وأنت تضع هذه الغاية في الاعتبار.
ولا تكن أبداً بعيداً عن السمع، ولا تكن أبداً بعيداً عن النظر،
أرها ملامحك في النهار والليل كليهما.
لكنها ستفتقدك بحسرة حين تشعر أنك أشد وثوقا بحبها،
وهي ستثابر على اهتمامها بك، وإن كنت بعيدا عنها.
امنحها استراحة: فالأرض إذ ترتاح تنتج
غلتها المثلى، والحقول الجافة تتشرب الأمطار.
إن حب فيلليس لديموفون (١)

١

فيلليس: ابنة سيثون من طراقيا، ديموفون: ابن ثيسيوس الأثيني. في طريق عودته من طروادة خطبها، لكنه لم يرجع إليها ولما يئست من عودته شنقت نفسها.

أوفيد

الصفحة : ٢٤٣

أوفيد

الصفحة : ٢٤٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٣

فاتر في حضوره، متوهج بعد أن رحل.

غياب أوليس أثار حزن سيدته، (١)

ولاوداميا أحبت سيدها الغائب. (٢)

ولكن لا تطل الغياب، فالعواطف تبرد بسرعة،

ولواعج العشق تخبو في الغياب، وعشاق جدد يحتلون مكانهم.

لقد استلقت هيلين آمنة في حضن ضيفها الدافىء،

بعد أن كانت خائفة من الليالي الموحشة وزوجها بعيد.

ياله من تصرف أحمق، أن يمضي مينيلاوس قدما (٣)

تاركا الزوجة والصديق تحت سقف واحد!

ياللجنون! أتأمن الصقر أن يحرس يماماتك الخائفة!

وتأمن ذئب الجبال على حظيرة تغص بالمواشي!

لا لوم على هيلين، ولا على عاشقها كذلك:

لقد فعل ما ينبغي لك أو لأي رجل أن يفعل.

الوسائل التي قدمتها هي التي جعلتهمايسيئان التصرف.
ماذا فعلت الصبية غير التقاط الإشارة التي أعطيتها؟
ماذا عليها أن تفعل؟ ولازوج، إنما ضيف كريم المحتد
وتلك الوحشة الرهيبة لسرير خالٍ ـــــ

١
بينيلوبي.
٢
بروتيسيلاس: زوج لاوداميا.
٣
مينيلاوس ذهب إلى كريت، وهو ملك إسبارطة وزوج هيلين التي خطفها باريس.

أوفيد
الصفحة : ٢٤٤

أوفيد
الصفحة : ٢٤٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٤

هيلين مبرأة، أحضِرْ زوجَها لتناقشه الحساب:
لقد تناولت ما قدَّمتْه إليها كياستُك
وليس بمثل هذه الضراوة هجوم الخنزير الأغبر،
وهو يبدد بنابه اللامع قطيع الكلاب السريعة،
ولا اللبوة التي ترضع أشبالها الصغار
أو الأفعى الصغيرة التي تندفع بسرعة طائشة،
ليس ذلك كهجوم المرأة وقد وردت العاطفة وجنتيها
حين اكتشفت منافسة لها في فراش حبيبها.
إنها تندفع كمن أصيب بنوبة سعار باخوسي
بالنار والسيف، وقد تناست كل وقار.
لما أخطأ جاسون، فإن زوجته الكولخية المتوحشة (١)
انتقمت من أطفالها إياهم للعهود المنتهكة.
وتلك السنونوة أيضاً، تأمل الأم الجانية (٢)
انظر إلى صدرها مازال مضرجاً بالدماء.
هكذا يعمدون إلى تحطيم الحب الراسخ الدائم،
إن مخاطر مخيفة كهذه لن يخوضها رجل حكيم.
لا أعني أنني أحكم عليك بمحبوبة واحدة،
حمانا الإله! هذا ما لم تستطع زوجة أن تطالب به إلا نادرا.

١
ميديا وهي من كولخيس على البحر الأسود.
٢
بروكني: زوجة تيريوس، ملك طراقيا الذي أغوى فيلوميلا، أخت زوجته فانتقمت منه تلك بقتل ابنهما وقدمت لحمه طعاماً لأبيه.

أوفيد
الصفحة : ٢٤٥

أوفيد

الصفحة : ٢٤٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٥

انغمس في الملذات، إنما ضع ستاراً على زلاتك،

وإياك أن تتباهى بحكاية آثامك.

ولا تعط أي شيء مما يمكن أن تلحظه امرأة أخرى،

ولا تحتفظ بجدول مواعيد لمغامراتك الودية.

عيــِّنْ لكل واحدة موعداً مختلفاً،

مخافة أن تلحق بك في أحد الأمكنة التي ترتادها.

دقق في أوراقك جيداً قبل أن تكتب،

فغالبا ما يُقرأ أكثر مما أردت أن تقول.

الحب المهتاج سرعان ما يلجأ للسلاح ويطلق سهمه

ويجعلك تشعر بالألم الشديد الذي يعاني منه.

وبينما كان ابن أتريوس مقتنعاً بحبيبة وحيدة، (١)

كانت هي عفيفة كذلك. لكنه ارتكب إثماً فانهارت الفضيلة.

لقد سمعت كيف كان خريسيس يصلي بلا جدوى (٢)

من أجل ابنته، وهو مكسو بالأطواق وأكاليل الغار؛

وسمعت كم أرهق الحزن بريسيس المسبية (٣)

وكم أطالت تلك المنازعات الوضيعة من أمد الحرب.

١

ابن أتريوس: أغاممنون، وهي: زوجته كليتيمنيسترا.

٢

كليتيمنيسترا أجبرت على إعادة خريسيس إلى والدها خريسس كاهن أبوللو، حين أرسل الإله طاعوناً على الإغريق، فاستعاض عنها أغاممنون بأن أخذ بريسيس من أخيل. وهذا دفع أخيل إلى الانسحاب المفاجيء من الحرب فطالت بذلك.

٣

الأسيرة التي أحبها أخيل وانتزعها منه أغاممنون.

أوفيد

الصفحة : ٢٤٦

أوفيد

الصفحة : ٢٤٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٦

لقد سمعت بذلك كله، ورأت وجه كاساندرا ــــــ (١)

والأسيرة هزمت الآسر ــــــ ياللذلك العار!

ثم أخذت أغيستوس إلى قلبها وفراشها (٢)

وأنزلت بسيدها الغادر انتقاماً رهيبا.

ولكن إذا انكشف سرك بالرغم من حرصك،

فأنكر المسألة بكاملها، وإن كانت معروفة.

لا تكن مكبوتاً، ولا تكن مغرماً أكثر من المعتاد
فهاتان الحالتان تتوافقان مع ضمير مذنب.
لكن السكينة تعتمد عليه ـــــ أطلق العنان لشهواتك
ودع عاطفتك تطرد شكوكها بعيدا
بعضهم يوصي بجرعة من الصعتر البري،
ذلك هو عشب الشر ـــــ وأقول لك إنه صنف سام ـــــ
اخلط الفلفل مع بزر القُرَّاص الحرّيف أو الشراب المخمَّر
والزعفران المثير قليلاً في الخمر المعتقة.
وهي لا تريدك أن تستثار هكذا من أجل مباهجها،
تلك الربة المتربعة على عرشها فوق مرتفعات إيريكس الغابية.(٣)
البصل الأبيض من مدينة ألكاثوس الإغريقية، (٤)

١
كاساندرا: ابنة بريام ملك طروادة، وهي كاهنة.
٢
أغيسثوس: ابن ثيستيس من علاقة محرمة مع ابنته، وقد قتل أتريوس انتقاماً لأبيه.
٣
إيريكس: جبل في شمال غرب صقلية، وعليه هيكل مشهور لفينوس.
٤
ألكاثوس: ابن بيلوبس، وهو ملك ميغارا وباني أسوارها.

أوفيد
الصفحة : ٢٤٧

أوفيد

الصفحة : ٢٤٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٧

نبتة الحب التي تنمو في حديقتك،

والبيض والعسل من هيميتوس ـــــ هذه ستنفع

أو لباب ثمرة الصنوبر ،الشجرة ذات الرأس المستدق. (١)

لماذا تنحدرين إلى فنون السحر السوداء، يا إيراتو الحكيمة؟ (٢)

إن على مركبتي أن تدور المنعطف من الداخل مباشرة (٣)

فإن طلبت مؤخرا أن تحتفظي بزلاتك مستورة.

فإني أدعوك الآن أن تنقلبي وتعترفي بأسرارك.

لا تدعيني منقلباً. فما من بحار يجد

سفينته مدفوعة برياح لا تتغير:

فهي تسرع أمام الريح العاصفة تارة غرباً وطوراً جنوبا.

والريح تنفخ الشراع من الجنوب حيناً ومن الغرب حيناً آخر.

وانظر إلى سائق العربة وقد أطلق لها الأعنة!

ثم يكبح بمهارة جياده المندفعة في حين آخر.

إن الحب المقموع غالباً ما يكون جزاؤه سيئا،

و الحب سيتلاشى، إذا لم يجد منافساً في المستقبل.

والقلوب غالباً ما تنتفخ بالغرور، حين تجري الأمور على ما يرام،

ولا يبقى حظها السعيد في حالة هادئة.

١

هذه الوصفات المنشطة للطاقة تتكرر في (قصائد الحب)، ونزعة السخرية واضحة في هذا التكرار، إنه يلمح إلى أن الرومان بلغوا مرحلة الانحلال. وهذا يعني أن أمجادهم العسكرية مجرد قشرة خارجية بلا رجولة.

٢

إيراتو: ربة الشعر الإباحي.

٣

يعني أن يطرق الموضوع مباشرة لا مواربة

أوفيد

الصفحة : ٢٤٨

أوفيد

الصفحة : ٢٤٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٨

كما هي حال النار حين تخبو شيئاً فشيئاً
فهي تكمن مخبوءة في أعماق الرماد المبيض.
لكن قليلاً من الكبريت يوقظ من جديد
لهبها الخابي، وتتوهج كما كانت من قبل،
هكذا فإن القلوب التي يهدهدها نعاس خدر بلا هموم
تحتاج إلى منبه حاد لإثارة عواطفها.
اجعلها قلقة، حرك النيران الخامدة
ولتصبح شاحبة حين تنتشر فضيحتك.
ألا فليكن مباركاً ثلاث مرات، بل مرات لا تحصى،

كل من يفجع امرأة بمخادعاته:
من تصلها آثامه وهي غير راغبة في السماع
واحرم البائسة المطعونة من اللون والكلام.
ليكن لي ذلك الشعر الذي يمكن أن تنتزعه المرأة السليطة،
ولتكن لي هاتان الوجنتان الرقيقتان اللتان تغرز فيهما أظافرها.
فأنا، أحدق بازدراء إلى منظر من تبكي،
وأنا الذي تتمنى أن تعيش من دونه، لكنها لا تستطيع.
وأنت تسأل: > كم يطول ذلك؟< أوقف الحديث الهائج فورا،
ولا تمنح غضبها الوقت الكافي لتجميع القوة.
تقدم مندفعاً وطوق عنقها بذراعيك
واحتضن في صدرك عينيها الدامعتين.
قبِّلها وعانقها ملاطفاً، وإن كانت تبكي وتبكي.

أوفيد
الصفحة : ٢٤٩

أوفيد
الصفحة : ٢٥٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٧٩
بهذه الطريقة يحل الوئام ويخلد الغضب إلى النوم.
وحين تكون مصممة على الحرب بصرخة شديدة
فاقترح توجُّهاً نحو السرير كان مؤجلاً، وهي ستلين.
هناك يكمن الانسجام ويجري القسم على إنكار الأسلحة،
وهناك أيضا يولد الصفح، صدقني.
واليمامات التي كانت متخاصمة، تتعانق مناقيرها من جديد
ويهدل كل منهما بألحان المودة الرقيقة إلى إلفه.

في البدء اندفع العالم في حالة فوضى لا شكل لها،
الأرض والسماء والمحيط كانت مندمجة في كتلة واحدة.
ثم تشققت الكتلة المختلطة إلى أجزائها،
فأحاط البحر باليابسة ورفعت السماء عالياً فوق الأرض.
الوحوش استوطنت في الغابة، والطيور في الجو
والأسماك وجدت ملاذاً في الأنهار الجارية.
وبدأ الجنس البشري يجوب البراري أخيرا،
كائن ذو عقل طبيعي بسيط وقوة وحشية.
وكان أبناء الغابة يعيشون على النباتات وينامون على الأوراق،
وعاشوا طويلا من دون أن يعرف أحدهم الآخر.
ويقال إن الأفراح الرقيقة هذبت المزاج الوحشي
لما صادف رجل عذراء ذات يوم.
وما من معلم هناك ليدلهما على ما ينبغي أن يفعلاه:

أوفيد
الصفحة : ٢٥٠

أوفيد

الصفحة : ٢٥١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٠

فالحب كان يعرف بالفطرة وظيفته المبهجة.

إن للطيور محبوباتهم، تحت فيض الماء (١)

ستجد السمكة قريناً ليشاركها مباهجها،

والأيلة تتبع الأيّل، والأفعى تلتفُّ على الأفعوان،

بينما يشتبك الكلب والكلبة في وصال حميم.

وتتحمل العنزة بأنفها الأفطس صُنان التيس،

وتلاحق الفرس جوادها مجنونة بالرغبة

إلى المراعي النائية، إلى ما وراء المخاضة بمسافة.

عندئذ، عالج حسناءك الضارية بهذا البلسم الفعال:

وبهذه الطريقة وحدها تهدئ حقدها الهائج.

ولهذا ستخلي جميع عقاقير ماخاون مكانها: (٢)

هكذا سيرد الآثم إلى حضن الفضيلة.

وبينما كنت مستغرقا في غنائي، نظرت فإذا بي أراه هناك!

إنه فيبوس يداعب قيثارته الذهبية بأنامله. (٣)

الغار في يده، وشعره المقدس متوج

بالغار، والشاعر الملهم يقف أمام ناظري.

ثم قال: يا معلم الحب وفنه الشهواني

تعال، وأحضر تلاميذك إلى معبدي،

١

آثرت جمع المذكر للطيور، تأكيداً على عقلانية الحب.

٢

ماخاون: من أطباء الجيش الإغريقي في حرب طروادة وما قبلها.

٣

فيبوس: (أبوللو): إله الشعر والموسيقا عند الإغريق.

أوفيد

الصفحة : ٢٥١

أوفيد

الصفحة : ٢٥٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨١

حيث تنتشر الكلمات ذائعة الصيت في أنحاء عالمنا

وبذلك أنصحك حتى تعرف نفسك وتظهر.

إن من يعرف نفسه، لا بد أن يعشق بحكمة،

ويكيف مواهبه بالشكل الأمثل لرسم كل حركة.

ومن وهبتها الطبيعة حسن الطلعة، يجب أن تظهر حسنها،

ومن كانت بيضاء البشرة، عليها أن تستلقي وكتفاها عاريان.

وعلى المتحدثين الظرفاء أن يتحاشوا السكوت المطبق،
وعلى البارعين في الغناء أن يغنوا، وعلى الذواقة في الشراب أن يشربوا.
ويجب على الموهوبين ألا يخلطوا أحاديثهم
بالمحاضرات، ولا يقرأ الشعراء شعرهم المجنون.
هذا ما نصح به فيبوس: أنصت إلى نصيحة فيبوس،
لأن الحقيقة كامنة في تلك الشفاه المقدسة فعلا.
فمن يجيء إلى الدنيا ويعشق بحكمة عاقلة
فسوف يحرز بفضل تعاليمي الجائزة التي كان يسعى إليها.

ما كل حقل ينتج غلة وافرة،
ولا كل ريح تنقذ السفينة دائماً من المحنة.
سيلاقي العاشق من الآلام أضعاف ما يلقى من المباهج
ولا بد لقلبه أن يستسلم حتى يعاني كثيرا.
وافرة كالثمار على أشجار الزيتون الخضراء الرمادية،

أوفيد
الصفحة : ٢٥٢

أوفيد
الصفحة : ٢٥٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٢

وكالأرانب على سفوح أثوس، والنحل في هيبلا، (١)
أو الأصداف على الشواطىء،كذلك يكون الحب مثقلا بالآلام:
والسهام التي تصيبنا منقوعة بالسم.
كلهم يقولون إنها خارج البيت، تلك التي يمكن أن تراها في الداخل؛
صدق أنها في الخارج، وأن عينيك كذبتا عليك.
في الليلة الموعودة ستجد أن الأبواب محكمة الإغلاق:
حسبك أن تبقى رابضاً بذل في الطريق الترابية،
لعلك تسمع خادمتها المخادعة بنبرتها الساخرة:
"لم لا يترك ذلك الفتى بوابتنا وشأنها؟
ربت على دعائم باب الجميلة القاسية
والأزهار هناك تتدلى ضارعة من شعرك. (٢)
ادخل إذا دعيت، ولكن إن منعت فاخضع،
من العار على الرجل الذكي أن يكون مزعجا.
إنها ستهتف: "لا سبيل إلى الخلاص منه".
لماذا تتركها؟ المشاعر لا تبقى على حالها.
ولا تشعر بالخزي إن اختلست من محبوبتك
لعنة أو لطمة، أو قبل قدميها الرقيقتين.
لكن موضوعات أسمى تثيرني، فلماذا أضيع الوقت

١

أثوس: جبل في مكدونيا. هيبلا: مدينة في صقلية مشهورة بالعسل.

٢

طوق الأزهار الذي كلل به شعره ذبل وفقد قيمته(قصائد ٦:١ ــ ٦٨).

أوفيد

الصفحة : ٢٥٣

أوفيد

الصفحة : ٢٥٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٣

على أشياء تافهة؟ فالتفت إلى ذلك جيدا يا شعري الرفيع.
إن مهمتنا شاقة، لكن الفضيلة دائماً شاقة،
وما زالت طريقنا مسدودة بالعقبات،
عامل غريمك بأناة، ذلك سبيل النصر
وهكذا حتى على تل جوف ستفوز بالجائزة. (١)
ما من إنسان في الواقع، باستثناء السنديان المقدس (٢)
يفصح عن هذا، وهو المبدأ السلوكي الأعمق لفني.
إذا وجهت نظرات غرامية دعها، وإذا كتبت لا تسأل لمن،
إلى أين ومن أين تأخذ بهجتها ،دعها تذهب وتجئ
حتى الأزواج يذعنون إلى زوجاتهم الشرعيات بهذا الأمر،
حين يتظاهر بالنوم الخفيف ليقوم بدوره عند الضرورة.
إن ما أمتلك من ذرى الفن السامية تلك لا أستطيع بلوغه
ولا أستطيع أن أعمل ما أعظ به، فكيف أداوي ذلك؟
ماذا؟ أرى أحدهم يغمز معشوقتي أمام عيني،
وأتغاضى عنه صابراً، من دون أن أهاجم ذلك المكان؟
وأتذكر أن زوجها قبلها ذات يوم:
ولقد أدنت تلك القبلة، إن حبي من النوع الوحشي.

وكثيرا ما آذاني هذا الضعف. فالمرء عندئذ سيكون

١
موكب النصر ينتهي عند معبد جوبيتر في تل كابيتولاين في روما.
٢
السنديان المقدس: صوت الوحي الخاص بزيوس (جوبيتر) في دودنا في إيبريوس.

أوفيد
الصفحة : ٢٥٤

أوفيد
الصفحة : ٢٥٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٤
أكثر حكمة، إن دعا الرجال الآخرين للدخول.
لكن الجهل هو الأفضل: تجاهل زلاتها،
ولا تنتزع الاعتراف الدنيء من شفتيها بالإكراه.
وهكذا، إياك أيها الفتى أن تفاجىء معشوقتك وهي في وضع آثم:
دعها في لعبتها الخادعة تظن أن الحيلة انطلت عليك.

الحب يزداد إن افتضح أمره، ومن يشتركان في حالة مريبة
يصران على الاستمرار فيما دفعهما إلى العار.
وتلك حكاية مشهورة طافت أنحاء السماوات
كيف أوقع فولكانوس في شركه مارس وفينوس. (١)
كان أبونا يشتعل بحب عنيف لفينوس، (٢)
وسيد الحرب قد تحول إلى مغرم متودد.
لكن فينوس، الروح الألطف، لم تستجب
على عجل لإغراته، لا خجلاً ولا عنادا.
وغالبا ما كان الفاسق يقف عند ساقي زوجها ساخرا،
وكثيراً ما لفح يديه بصنعته النارية.
وقلدت زوجها في تذكر رائع،
من أجل مارس وقد زاد السحر شكلها بهاء.
ولكي يحافظا على وصالهما سراً استعملا أولا

١
فولكانوس: إله النار والأدوات المعدنية وهو زوج فينوس.
٢
أبونا: مارس (إله الحرب): والد رومولوس، وبالتالي والد الرومان.

أوفيد
الصفحة : ٢٥٥

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٥

تورد الخجل الذي نشره قلباهما الآثمان.
والشمس (من يستطيع أن يفر من الشمس؟)
كشفت لفولكانوس ما كانت زوجته تفعله.
تلك سابقة فظيعة، أيتها الشمس طالبي بأجر (١)
لأن السكوت أفضل، وهي ستستسلم عن طيب خاطر.
وينسج فولكانوس حول السرير وفوقه
شبكة سحرية لا تدركها أي عين.
ثم تظاهر أنه يقوم برحلة إلى ليمنوس، وجاء العاشقان
إلى السرير، وأوقع بهما في الشرك وهما يستلقيان عاريين.
ونادى الآلهة، والأسيران معروضان للمشاهدة،
ويظن أن فينوس لم تستطع السيطرة على دموعها إلا بصعوبة.
ولم يتمكنا من إخفاء وجهيهما، لا، ولا
وحتى لم يستعملا أيديهما لستر أعضائهما الحميمة.
ثم ضحك أحدهم وقال:"مارس، يا أعظم الشجعان (٢)
إذا كانت أغلالك تضايقك، فناولني إياها".
ولم يطلق سراح السجينين إلا بفضل نبتون:
وانسحبت فينوس إلى بافوس، ومضى مارس إلى طراقيا؛
وقد تخلصا من العار، وهما في أحسن حال

١

الشمس مذكر في الموروث الغربي، والأجر الذي يمكن أن تدفعه فينوس واضح.

٢

(هيرميس (إله التجارة والاختراع والسفر..) هو الذي قال هذا الكلام لأبوللو. (كما ذكر هوميروس في الأوديسة) لكن أوفيد تحاشى ذلك لأن فينوس في بعض الأنساب أخت هيرميس.

أوفيد
الصفحة : ٢٥٦

أوفيد
الصفحة : ٢٥٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٦
إنهما يفعلان الآن علانية ما كانا يفعلانه في الخفاء.
آه، يا فولكانوس، كثيراً ما تعترف الآن في فورة غضب
أن سلوكك كان أحمق، فاندب ملتاعاً على ذكائك.
أما أنا فأمنعك؛ وفينوس كذلك، وقد خدعت ذات يوم،
تمنعك أن تصاب بما عانت منه هي ذاتها.
فلا تنصب أشراكاً للمنافسين: وليس من شأنك
أن تعترض على رسالة غرام.
اترك تلك الطرائق لمن يعتقد أنها مصيبة،
أولئك الذين توحدهم عقود الزواج المقدس.
ليس هذا لهواً مخالفاً للقانون، وأنا أناشد من جديد
ما من تنورة سيدة ستظهر في لعبتي.
من يجرؤ على البوح بأسرار سيريس خارج البلاد (١)
أو الحقائق العظمى المنظومة شعراً في سامو طراقيا؟

مع أن من يلوذ بالصمت لا ينال شرفاً عظيما،
فإن الثرثرة بالأسرار من أكبر الآثام.
كان عدلاً أن تانتالوس الثرثار يحاول الإمساك
بالماء وهو ظمآن في البركة، وبالفاكهة التي تفر من لمسته،
فينوس تأمركم على وجه الخصوص ألا تطرقوا أبدا
موضوع أسرارها ولاتقاربوها، أيها الثرثارون.
ومع أن الأسرار المقدسة المكنونة لاتخصها،

١

سيريس: ربة الزراعة وكانت تقام تلك الطقوس السرية في إليوسيس.

أوفيد

الصفحة : ٢٥٧

أوفيد

الصفحة : ٢٥٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٧

ولا قرع الصنوج يدفع بتابعيها إلى الجنون،

إنما جميعهم ينغمسون في طقوسها بحرية،
ولا أحد منهم يرغب في إفشاء تلك الطقوس.
لا، إن فينوس حين تتجرد من ثيابها وهي تنحني
نصف انحناءة، تستر المشهد بيدها اليسرى. (١)
الحيوانات تتلاقح بشكل مكشوف في كل مكان:
والعذارى كثيراً ما يحولن أبصارهن عن ذلك المنظر.
الغرف المغلقة تناسب المباهج التي نختلسها، نحن البشر
وأغطية الأسرة تخفي مواضع الخجل.
وإذا لم يكن قد حل الظلام، فما زال الشفق غاشياً كالضباب
إن جواً ما أقل من وضح النهار هو المفضل.
وعندما لم يكن هناك سقف لرد المطر والشمس،
وحتى حين كان شجر البلوط مازال للمأوى والغذاء معا،
كان العشاق يلتقون في الغابات والكهوف، لا في ضوء النهار.
إن الخجل هو الذي جعل رجال القبائل البسطاء يتخذون تلك المخابئ.
لكننا اليوم نعلن عن ليالي مغامراتنا الغرامية،
وندفع مالاً وافراً للتباهي بذلك.

١
الصورة التقليدية المعروفة لفينوس (أفروديت): تحمل الجرة بيسراها وتستر عانتها باليمنى، ثم انقلبت الصورة فصارت اليمنى لستر الثديين واليسرى للأعضاء الأخرى.

أوفيد
الصفحة : ٢٥٨

أوفيد

الصفحة : ٢٥٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٨

نعم، عليك أن تختبر كل امرأة تراها،

لتخبر الفضوليين: "هذه أيضاً منحتني وصالها"،

ولن تفتقد الفتيات اللواتي تدل عليهن بمثل ذلك،

ملطخاً بالفضيحة كل اسم تلامسه.

وأسوأ من ذلك مازال تلفيق القصص، كما يفعل بعضهم،

عن الاغتصاب بالجملة، ولو كان ذلك صحيحاً لأنكروه.

إنهم يهاجمون الاسم حين يعجزون عن الجسد،

ومع أن الجسد يبقى طاهراً، فإنهم يشوهون السمعة.

هيَّا، أيها الحارس الكريه، أغلق باب سيدتك

وسد المواقع العنيدة بالكثير من الأقفال والمزاليج!

أين الأمان إذا ظل مدنسو الأسماء طلقاء

ليجعلوا العالم يصدّق تهمة لا أساس لها؟

وأنا صاحب مكايد حقيقية ولكن نادراً ما أبوح بذلك،

إن ختم السكوت يصون تلك الأسرار جيداً.

إياك أن تطرح عيوب امرأة في وجهها:

النفاق في هذه الحالة غالباً ما يكون حكيماً.

وذلك المحمول عالياً على جواد مجنح سريع

لم يسخر أبداً من بشرة أندروميدا(١)

كانت أندروماخ طويلة جداً في عيون الناس

١
بنت كيفيوس، إثيوبية، ويصف الشاعر بأنها هندية في بعض المواقع، وقد أنقذها بيرسيوس وتزوجها، بعد أن قتل الميدوزا.

أوفيد
الصفحة : ٢٥٩

أوفيد
الصفحة : ٢٦٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٨٩
لكن هكتور وحده اعتبرها ذات قوام معتدل.(١)
استعمل الأدوية الكريهة، وستجلب لك وقتاً طويلاً من الراحة،
لكن الحب الجديد الناشيء سيعلق على كل شيء.
الطعم الحديث في غصن الشجرة الطري
سينقصف إذا هزه النسيم أقل هزة،
ومع الوقت يتمرس ليواجه العاصفة وينمو ،
مزوداً الشجرة بكنوز لم تكن لها.
الوقت المجرد سيخلِّص الجسم من عيوبه كلها
وما كان عيباً سيزول ليمنحك الراحة.
الأنوف غير المتعودة تنفر من جلد الثور،
وتروضها الممارسة الطويلة فتتجاهل الرائحة النتة.
الألقاب أيضاً يمكن أن تموه العيوب: قل لها سمراء

تلك التي يصعب تمييز جلدها من قار إلليريا،
ولتكن مينيرفا وفينوس والحورية الهيفاء
بدلاً من ذات الشعر الكتاني والحولاء وكومة العظام المتهالكة
ولتكن السمينة المفعمة بالعافية، والقزمة الصغيرة الأنيقة (٢)
ولينسحب الشر وراء أقرب خير.
لا تسل عن عمرها، ولا تبحث عن سنة ميلادها
ـــــ هذه مهمة مسؤول الإحصاء للتنقيب عنها ـــــــ

١
أندروماخ: زوجة هكتور، ويبدو أن طولها الفريد من خيال أوفيد.
٢
من عادة العشاق أن يصفوا حبيباتهم بالجمال منذ أفلاطون.

أوفيد
الصفحة : ٢٦٠

أوفيد
الصفحة : ٢٦١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٠
ولاسيما إذا ذهبت نضرتها وعهدها ولَّى
وراحت قبل ذلك تنزع الشيب من شعرها.
إن خيراً وافراً يجود به هذا العمر وما يليه من أعمار:
أيها العشاق، ازرعوه، إنه حقل مثمر.
اعمل جاهداً مادامت السنون والقوة تسمح بذلك:
فعما قريب ستزحف عليك الشيخوخة محنية بخطى مختلسة.
شُقَّ الحقول بالمحراث والبحار بالمجاذيف؛
وتنكب سلاحك لخوض الحروب القاسية؛ (١)
أو كرس للمرأة فحولتك وقوتك وحماستك: (٢)
هذه حرب كذلك، وهذه معيار الرجولة.
المكتهلات أيضاً ماهرات في هذه الشؤون،
وإتقان تلك المهنة تماماً من اختصاصهن.
بالذوق المرهف يصلحن ما أتلفه الزمن،
ويتفنَّنَّ في الظهور وكأنهن مازلن في ريعان الشباب.
سيقمن بآلاف الألاعيب الغرامية تلبية لنزواتك،

١
في النص: (البس درعك) لكني وجدت كلمة (سلاح) مناسبة للسياق.
٢
الفعل في النص (الإنكليزي واللاتيني): (أنفق، بدد) بدلا من (كرس)، لكن لكي تستقيم فكرة الاستعداد للحرب الغرامية، رأيت أن فعل (التكريس) أنسب. أما كلمة (فحولة) فهي في النص (عورة أو أعضاء تناسلية) ولا أراهما تليقان بالشعر الجميل.

أوفيد
الصفحة : ٢٦١

أوفيد
الصفحة : ٢٦٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩١
وكم يتخذن من أوضاع لم يكن لفنان أبداً أن يرسمها. (١)
ولسن بحاجة إلى أية إثارة للعاطفة: في طقوس الحب
لابد للرجل والمرأة أن يستمتعا سواء بسواء.
فأنا أكره الالتحام الذي لاينهك الاثنين كليهما:
إن تدليل الفتيان هو الذي يثير اشمئزازي.
وأكره المرأة التي تعطي لأنها ملتزمة بالواجب،
بينما تفكر ببرود بالصوف الذي غزلته.
فأنا لا أحب الابتهاج الذي يمنح رسماً على واجب،
ولا أرضى بأي امرأة يدفعها الواجب نحوي.
أحب الصوت الذي يصيح مفعماً بالنشوة،
ذاك الذي يدفعني للتريث وإطالة الإثارة،
لأرى المخلوقة المتوحشة العينين وهي ترتعد
وتنكس رأسها طالبة ألا ألمسها طوال ساعات.
إن مباهج كهذه لن تصل إليها الطبائع الغضة أبدا
وهي تأتي بيسر عفوي في الخامسة والثلاثين.
الخمرة الجديدة تجعل الفتيان المتلهفين يسرفون في الشراب،
وأنا سأملأ كأسي بخمر الأجداد المعتقة.
إن شجر الدلب لايقاوم الشمس حتى ينمو،
والأقدام الحافية مرهقة في مروج الشتلات النباتية حديثا.

١

كانت صور الجماع في الفن القديم لا تحصى، ولكن بعض الشعراء وقفوا ضد ذلك، ومن بينهم الشاعر الملحمي بروبرتيوس.

أوفيد

الصفحة : ٢٦٢

أوفيد

الصفحة : ٢٦٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٢

فيا سيدي الكريم، من تفضل
هيرميوني على هيلين، أو غورجي على أمها؟ (١)
إن من يطمح إلى الفاتنات في موعد أنضج
سيجني مكافأة وافرة إذا استطاع أن ينتظر.
عاشقان يلوذان بفراشهما السري:
يا ربة شعري، أمسكي عن المرور بالباب الموصد.
ستراق الكلمات دافقة من دون معونتك،
ولن تسترخي اليد اليسرى عاطلة على السرير،
بينما تؤدي الأصابع عملها في تلك النواحي

حيث يرشق كيوبيد سهامه في السر.
هكذا كان هكتور يلهو مع زوجته في الأيام الخالية (٢)
وأثبت جدارته بشيء آخر غير الحرب؛
وهكذا كان أخيل العظيم مع أسيرته العذراء
عندما ألقى بأوصاله التي أرهقتها الحرب على السرير،
وأنت، يابريسيس، استسلمت لمداعبة يديه (٣)
وهما مازالتا ملطختين بالدم الطروادي.
وأنت، أيتها الفتاة المغناج، هل استمتعت بذلك الشيء ذاته

١

هيرموني: زوجة أوريستيس (ابن أغاممنون).
غورجي: ابنة ألثيا (ملكة كاليدون). والسؤال واضح الجواب لأن الشاعر يفضل السيدات الناضجات.

٢

هكتور: بطل طروادة، وزوجته أندروماخ.

٣

بريسيس، الأسيرة الطروادية التي انتزعها منه أغاممنون.

أوفيد

الصفحة : ٢٦٣

أوفيد

الصفحة : ٢٦٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٣

والأصابع الظافرة تعبث بأوصالك؟

أقول: إن الحب ذورة لا ينبغي أن نندفع إليها بعجلة،

بل أن نشكلها برقة ونحن ماضون في طريقها على مهل.

فالأعضاء التي تود المرأة أن تقوم بدغدغتها

إذا صادفتها ذات يوم، دغدغها، وإن احتج الحياء.

سترى عينيها تشعان بومضات مرتعشة،

كما يتلألأ ضياء الشمس في جداول صافية؛

ثم ترتفع النبرات الشجية والهمسات الملتاعة

والكلمات اللعوب والتنهدات المترددة برقة.

ولكن لا يجب أن تسبق أبداً بشراعك المنتفخ

رفيقتك، وليس لها أن تتقدم عليك في السباق:

أدركا الهدف معا: إن ذروة السعادة

أن يتحد الرجل والمرأة في لحظة الانهيار.

راقب المضمار عندما تنفعك فسحة الوقت

ولا تخف من اختصار الفترة المختلسة.

وحين يهددك الخطر، خير لك أن تبذل كل قوتك

لتحريك المجذاف، ولهمز الجواد المفعم بالرغبة.

ها قد أنجزت عملي. أيها العشاق الشاكرون انثروا

الغار على رأسي المعطر جزاء لي.

وكما تألق الجراح بوداليريوس في وسط الإغريق،

ونسطور في الحكمة، وأوتوميدون في السوط،

أوفيد
الصفحة : ٢٦٤

أوفيد
الصفحة : ٢٦٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٤
وأجاكس في السلاح، وكالخاس في التنبؤ،
وأخيل في القوة ،كذلك أنا في الحب
أيها الرجال، قوموا بتكريم الشاعر: نادوا بالثناء عليّ،
ودعوا الدنيا كلها تردد صدى اسمي.
ومثلما سلح فولكانوس أخيل، ها أنتم بفضلي
مسلحون: وبهذا التسليح لابد أن تنتصروا بمثله.
إن من سوف يضرب أمازونية بسيفي (١)
فلينقش على نصب نصره التذكاري: "تلميذ أوفيد".

انظر! إن الجميلات يطالبن بكتاب مدرسي:
قضيتكن ستكون مهمة قلمي التالية.

١

كانت الأمازونيات يحاربن الإغريق في الأساطير القديمة. ولعل التسمية (أمازون) تعني (بلا أثداء) من (أ): بلا، و(مازون) المحرفة عن (ماستوس): ثدي. وكانت عادة إزالة الثدي لاستعمال القوس والنشاب بسهولة.

أوفيد

الصفحة : ٢٦٥

أوفيد

الصفحة : ٢٦٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٥

الكتاب الثالث

أوفيد

الصفحة : ٢٦٦

أوفيد

الصفحة : ٢٦٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٧

لقد سلحت الإغريق ليصمدوا في وجه الأمازونيات (١)
وما تزال عصبة بنثيسيليا تحمل السلاح. (٢)
فليكن الميدان عادلاً، ومن أجل انتصار القضية
تمنح البركة فينوس وفتاها الذي يجوب العالم طائراً.
لا مجال للمنافسة بين رجال مسلحين وعذارى بلا سلاح،
ياله من نصر بائس، ذلك الذي في وسع الرجال أن ينتزعوه.
ورب صوت سيسأل: لماذا تعطي الأفعى مزيداً من السم
ولماذا تولّي الذئبة الضارية على حظيرة الخراف؟.
لا تلق آثام حفنة منهن على جنسهن كله
ولكن احكم على قضية كل امرأة وفق ما تستحق.
ومع أن هيلين لطخت شرف ابن أتريوس الثاني (٣)
فإن أختها قامت بتدمير الأول. (٤)
ومع أن ابن أوكليس وبمكيدة من إرفيلي (٥)
طوحوا به في الهاوية حياً على أحصنة حية،

١

هبت الأمازونيات لمساعدة الطرواديينو لكن أخيل قتل ملكتهن.

٢

بنثيسيليا: ملكة الأمازونيات.

٣

الابن الثاني لأتريوس: مينيلاوس (زوج هيلين).

٤

كليتيمنيسترا: زوجة أغاممنون (قائد الإغريق) وقد قتلته إثر عودته من حرب طروادة.

٥

ابن أوكليس: أمغياراوس. وزوجته (إرفيلي) رشاها بولينيسيس حتى تقنع زوجها بالاشتراك في حملة (سبعة ضد طيبة) وكان يرى مصرعه هناك، لكن زيوس فتح هوة في ميدان المعركة ودفعه حياً إلى العالم السفلي.

أوفيد

الصفحة : ٢٦٧

أوفيد

الصفحة : ٢٦٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٨

مع ذلك، فقد ظلت بنيلوبي وفية لبعلها (١)

طوال عشر سنين في الحرب وعشر أخرى في التيه.

ويقولون فكر في فيلاسيديس، وعنها يقولون (٢)

لقد لحقت بزوجها وماتت قبل يومها.
وضحت ألكيستيس بحياتها من أجل فيريس (٣)
وفي نعش الزوج حُملت الزوجة.
"آه ياكابانيوس، خذني لأشاركك المحرقة (٤)
صاحت إفادني، وألقت بنفسها في النار.
ألا إن الفضيلة ذاتها تتخذ اسم المرأة وهيئتها
ومن الطبيعي أن تكون بهجة في عيون جنسها.
ولكن، ليس من أجل هذه الهواجس أعددت فني
إن مركبي سيكتفي بأشرعة أصغر.
واهتمامي الوحيد سيكون تعليم الحب البهيج.
وستتعلم المرأة مني كيف تغدو محبوبة.
فالنساء لايتسلحن بالنار والسيف؛
مع أني نادراً ما رأيت رجالا تؤذيهم تلك الأسلحة.

١
بنيلوبي: زوجة أوليس (أوديسوس) ملك إيثاكا.
٢
فيلاسيديس: بروتيسيلاوس، أول قتيل في طروادة. ومن شدة حزن زوجته لاوداميا عليه أشفقت عليها الآلهة فأعادته من عالم الموتى فترة وجيزة، ثم لحقت به.
٣
ألكيستيس: ضحت بحياتها من أجل زوجها(أدميتوس) ثم أنقذها هرقل.
٤
أحد السبعة ضد طيبة، وكان قد تحدى الآلهة بأنه سيقتل ويحرق، فقضى عليه زيوس وهو يتسلق سور المدينة.

أوفيد
الصفحة : ٢٦٨

أوفيد
الصفحة : ٢٦٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٢٩٩
ما أكثر خداع الرجال، لكن النساء قلما يخدعن،
وستكشف أنهن لا يوصمن بالخيانة إلا نادرا.
جاسون الخائن أخذ إلى فراشه عروساً أخرى (١)
فألقت الأم بأولاده إلى الهلاك.
لم يكن ثيسيوس مبالياً بأي شيء، إذ ترك زوجته وحيدة، (٢)
تقتات بها طيور البحر على شاطئ مهجور.
فمن يسأل عن طريق معروفة بـــ "الدروب التسعة" سيعلم
كم ذرفت الغابات من أوراقها عبرات على فيليس. (٣)
وضيف ديدو، رغم اشتهاره بالتقوى (٤)
أمدها بالسيف والدافع من أجل أن تنتحر.
وهذا ما حكم عليكن جميعاً بالهلاك: ما من لباقة في الحب لديكن
الفن يجعل الحب مستمراً، وأنتن تفتقرن إلى الفن:
ومازلتنَّ مفتقرات إليه، ولكن ها هي فينوس بذاتها
تقف أمامي وتأمرني أن أعلمكنَّ الصواب.

١

بطل في الأساطير الإغريقية اشتهر بمغامرته الناجحة في الحصول على الجزة الذهبية بمساعدة (أيولي) فانتقمت منه زوجته (ميديا) بقتل أبنائها منه.

٢

أمير أثيني تخلى عن (أريادني) ابنة ماينوس ملك كريت.

٣

فيليس: ابنة سيثون من طراقيا (في البلقان)، خطبها ديموفون بن ثيسيوس في طريق عودته من طروادة، لكنه لم يرجع إليها. ولما يئست من عودته شنقت نفسها بعد أن ترددت إلى الشاطىء تسع مرات أملاً بلقائه.

٤

ديدو: ملكة قرطاجة، والضيف: أنياس.

أوفيد

الصفحة : ٢٦٩

أوفيد

الصفحة : ٢٧٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٠

وقالت:"ياللجنس المسكين، لماذا تعاملهن بهذه القسوة؟

أيكون الجمهور الأعزل ألعوبة جيش!؟

لقد أنجزت كتابين لتجعل الرجال ماهرين،

وجاء دورنا الآن لكي ننتفع بذكائك.

إن أول من شتم تلك العروس من ثيرابناي (١)

سرعان ما أنشد مدائحها بلحن أسعد.

أنت لن تؤذي الحسناء الأنيقة (فأنا أعرفك)،
بل ستسعى طوال حياتك إلى حظوة هناك."
ثم أمرتني أن أتناول ورقة آس وثمار توت،
لأن شعرها كان مكللاً بالآس، وهي تتكلَّم
تناولت فشعرت بسلطانها وتوهجت السماء
بصفاء أبهى، وانعتقت روحي من أعبائها.
وأنتن ياسيداتي، تعلمن رموزها السرية وهي تقوم بإلهامي
إن ذلك القانون ينادي باللياقة والاستقامة.
تذكرن قبل كل شيء أن الشيخوخة لا بد آتية ذات يوم،
ولا تدعن لحظة واحدة تتسرب بعيداً بلا جدوى.
استمتعن قدر المستطاع والحياة مازالت
في ربيعها ـــــ إن السنين تمضي كالماء الجاري.

١

كان الشاعر الإغريقي ستيسيخوروس قد أصيب بالعمى لأنه كتب قصيدة ضد هيلين المقدسة يحملها فيها مسؤولية حرب طروادة. ثم استرد بصره حين كتب قصيدة جديدة ينكر فيها ما جاء في الأولى ويقول: إن طيف هيلين هو الذي ذهب إلى طروادة، وليست هي ذاتها. ثيرابناي: بالقرب من إسبارطة موطن هيلين.

أوفيد

الصفحة : ٢٧٠

أوفيد

الصفحة : ٢٧١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠١

الموجة التي تجاوزت مجراها لا يمكن أن تعود،
والساعة التي فاتت لن تقوين على إرجاعها.
استفدن من وقتكن جيداً، فالوقت يزول بسرعة مذهلة،
والحالة التالية لا يمكن أن تكون مساوية للسابقة.
لقد رأيت هذه الأعشاب الذاوية مسكبة بنفسج،
ومن شجرتها الشوكية هناك زينت رأسي بإكليل.
فيا من ترفضين خاطب ودك اليوم، سيأتي وقت
وأنت تستلقين ليلاً عجوزاً وحيدة مقرورة،
لن يقتحم المعربدون بوابة دارك في منتصف الليل
ولن تجدي الأزهار منثورة على عتباتك في الصباح.
يا حسرة، سرعان ما يترهل الجلد مكسواً بالغضون
ويغيض من الوجنة لونها النضر القديم،
والشعر الذي تحلفين أنه ابيضَّ من أيام الشباب
يتحدر منفوشاً على رأسك كله طوال الليل.
الأفاعي تجدد شبابها وهي تطرح جلودها الرقيقة، (١)
والأيِّل الفتي يواصل الحياة بعد أن يتخلص من قرونه: (٢)
أمَّا بهاء الإنسان فيخبو وما من دواء ينفعه:
إذن اقطفي الزهرة، لأن ما بقي مصيره التلف.

١

في النص الأصلي: تطرح خرف الشيخوخة مع الجلود.. إلخ. لكن (تجديد الشباب) اقتضاه السياق.

٢

هناك اعتقاد شعبي أن ذكر الأيل يعيش تسعة أضعاف عمر الرجل.

أوفيد

الصفحة : ٢٧١

أوفيد

الصفحة : ٢٧٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٢

وفي الختام، تختصر الشبابَ مشقَّة الولادة:

وزراعة الغلال المستمرة تنهك التربة.

إن ربة القمر لا تتورَّد خجلاً من ابن لاتموس، (١)

ولا ربة الفجر تشنق نفسها لاغتصاب كيفالوس. (٢)

مع أن فينوس تتفجع على أدونيس حتى يومنا هذا،

أنياس وهارمونيا، من أين يأتيان؟

قلِّدن الآلهات، أيتها الكائنات الأرضية،

ولا ترفضن المباهج التي تسعد الرجال الجائعين.

ما الخسارة في أن تكنَّ مخدوعات؟ وهَناتكن كلها سليمة (٣)

ومخزونكن لا ينقص، وإن يشارككن فيه الآلاف.

الحديد يتلف بالاستعمال والحجارة تتفتت

ومخزونكن سالم، إنه لا يفنى أبداً.

من يقدر أن يعترض على إشعال لهب من لهب؟

ومن يريد أن يوفر ماء المحيط الواسع؟

حين تصد امرأة حذرة رجلا،

فهي تهدر الماء الذي كان ينبغي أن تستعمله. (٤)

١

ابن لاتموس (من مكان اسمه لاتموس): إنديميون الذي اختطفته ربة القمر، والقمر مؤنث في التراث الغربي، لذلك اقتضى السياق إضافة (ربة) وهي غير موجودة في النص.

٢

كيفالوس: اختطفته واغتصبته أورورا (ربة الفجر) وهو أمير أثيني وزوج بروكريس. وقصة اختطافه رواها أوفيد في (التحولات).

٣

الهنات (مفردها هن): الأشياء.

٤

هدر الماء: إشارة إلى إبطال السحر بدلق الماء على العتبة، أو لإخفاء الأثر عن الخادمات (قصائد: ٧-83 iii و ٨٤).

أوفيد
الصفحة : ٢٧٢

أوفيد
الصفحة : ٢٧٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٣
لا، لا تكنَّ بغايا؛ إنما أبعدن من أفكاركن
مخاوف الخسارة بلا جدوى: إن عطاءكن لا يكلفكن شيئاً. (١)
الآن، والأنسام الخفيفة في الميناء ما زالت تدفعني
فسأنطلق بسرعة حالاً لو أن الرياح أقوى.
إني أبدأ العناية بالجسد: الأرض والكرمة
العناية الجيدة بهما تثمر غلالاً وافرة ونبيذاً غزيراً.
والجمال هبة إلهية. فما أقل القادرين على التباهي
بالجمال! وهي هبة، ما أكثر المحرومين منها.
الفن يجلو المحاسن؛ والمحاسن تزول بالإهمال،
نعم، ولو تمتعن بمفاتن فينوس.
صحيح أن النساء في الماضي لم يعتنين بأناقتهن،
لكن الرجال في تلك الأيام لم يكونوا متأنقين كذلك.
كانت أندروماخي ترتدي الملابس الصوفية طوال حياتها، (٢)
ولا إفراط في العجب لأنها زوجة جندي في عيشة خشنة.
وزوجة أجاكس، أتقترب منه وهي في كامل أناقتها (٣)
وهو يطوق صدره بسبعة من جلود الثيران؟
كانت الحياة يوماً بدائية وبسيطة، وها هي روما اليوم
مرصوفة بالذهب وتستأثر بكنوز عالم مستعبد.

١

باستثناء الحمل (قصائد: iii–٨ ـــــ ٣٩).

٢

أندروماخي: زوجة هكتور.

٣

أجاكس (ابن تيلامون): بطل إغريقي مشهور بدروعه السبع.

أوفيد

الصفحة : ٢٧٣

أوفيد

الصفحة : ٢٧٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٤

قارن بين الكابيتول القديم والحديث (١)
وستحلف أنهما أقيما لجوبيترين مختلفين.
ومجلس الشيوخ، المقر اللائق بالمناقشات السامية،
بُني بالقضبان المضفورة يوم حكم تاتيوس الدولة،
وكانت ثيران الحراثين تحدق إلى البالاتين (٢)
حيث يتألق اليوم القصر والمقام
يالتلك الأيام الخالية الطيبة! إنما لا أخفي سعادتي
لأنني ابن هذا العصر: إنه العصر الذي يليق بي،
لا لأن الذهب المأخوذ من الأرض مطواع في تشكيله،
ولا لأن اللآلئ مجلوبة من شطآن نائية،
ولا لأننا ننحت من التلال قلوبها الرخامية،
بينما ينتهك الركام زرقة البحر:
إنما لأننا تعلمنا حسن التهذيب، وأيامنا
لم ترث عادات أجدادنا الهمجية.

لا تجعلن آذانكن مثقلات بالحلي النفيسة
ينتزعها من بحار الزمرد هنود من ذوي السمرة الداكنة.

ولا تتهادين أمامنا في ثياب من ذهب: الاستعراض
الذي يرمي لاجتذابنا غالباً ما يقصينا مذعورين.

١
الكابيتول (كابيتوليوم باللاتينية): هيكل جوبيتر المقام فوق أحد تلال روما.
٢
بالاتين (بالاتينوس باللاتينية): أحد تلال روما السبعة. تاتيوس: شخصية خرافية، يقال إنه حكم روما بالاشتراك مع رومولوس بعد اغتصاب السابينات.

أوفيد
الصفحة : ٢٧٤

أوفيد
الصفحة : ٢٧٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٥
الأناقة هي التي تسحرنا، فلا ينبغي أن تعرضي تسريحة ثورية؛
المظاهر المبتدعة بلمسة إصبع ستأتي وتذهب.
ولا يمكن ترتيب الرؤوس بطريقة واحدة لا غير،

استشيري مرآتك لما يليق بك بالشكل الأمثل.
إن فرقاً بسيطاً في الشعر يناسب وجهك البيضاوي
لاوداميا زينت شعرها بتسريحة كهذه – (١)
وجه مدور يحتاج تشكيل عنقود أنيق
فوق الجبين، وذلك يترك الأذنين مكشوفتين.
وعلى إحداكن أن ترخي ضفائرها على كتفيها
مثل فيبوس بألحانه الشجية حين يداعب الأوتار بأنامله. (٢)
وأخرى تعقص شعرها بعصابة كما اعتادت ديانا أن تفعل (٣)
وهي تلاحق طريدتها المذعورة، متقلدة سلاحها.
وهذا الرأس يتطلب تدفقاً طليقاً للشعر،
وذلك يجب أن يحبس في أشرطة كابحة،
وهذا الشعر يستمتع بأمشاط من قوقعة السلحفاة،
وتلك مولعة بما يشبه انحدار الموجة وارتفاعها.
إذا أحصيت عدد جوز البلوط على أشجارها أو الوحوش

١
لاوداميا: زوجة بروتيسيلاوس (أول قتيل إغريقي في طروادة). والإشارة إلى تسريحة شعرها من اختراع أوفيد، ولعله يعني أن الزوجة التي يقتدي بها يجب أن تفرق شعرها.
٢
فيبوس (أبوللو): إله الشعر والموسيقا.
٣
ديانا: ربة الصيد.

أوفيد
الصفحة : ٢٧٥

أوفيد

الصفحة : ٢٧٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٦

على الألب أو النحل على جبل هيبلا فلن يزيد (١)
عما يمكن أن أحصي من أشكال التسريحات الشائعة، (٢)
بينما يضيف كل يوم نماذج جديدة إلى المجموع.
وحتى الشعر المتشابك يمكن أن يكون ساحراً، وغالباً ما تعلنين
أن الشعر هكذا من النوم وأنت تعنين أنك مشَّطتِه قبل قليل.
الفن يحاكي الفوضى. هكذا رأى هرقل
سبِيَّته أيولي وشُغِف بها حُبّاً، (٣)
وهكذا رُفعت الكريتية الشاردة بأمان (٤)
إلى مركبة باخوس وهي تنظر بذهول إلى الساطير المبتهجين.
آه، كم تحابي الطبيعة الجنس الأجمل
حتى تمنحهن وسائل لإصلاح ما تلف من مفاتنهن!
ونحن الرجال البؤساء نصبح صلعاً وتتلفنا الشيخوخة
وشعرنا يتساقط كالأوراق حين تثور العواصف.
المرأة تصبغ شعرها بالحنَّاء الألمانية (٥)

١

هيبلا: مدينة في صقلية مشهورة بالعسل.

٢

كان ذلك نتيجة الثروة والترف، وما زالت تلك التسريحات واضحة في التماثيل الرومانية النصفية.

٣

عندما رفض والد (أيولي) يوريتوس (ملك أوخاليا) زواج ابنته من هرقل، قام هذا باقتحام المدينة واختطاف حبيبته.

٤

هي أريادني: ابنة ماينوس (ملك كريت) وقد خطبها ثيسيوس ثم تركها مهجورة على الشاطئ ولم يعد إليها حتى أنقذها باخوس.

٥

في النص اللاتيني: Germanis herbis: أي الأعشاب الألمانية الخاصة باللون الأشقر، وقد رأيت (الحنَّاء) أقرب من التعبير الإنكليزي: الصابون (الشامبو) الألماني ـــــ كما ورد في النص.

أوفيد

الصفحة : ٢٧٦

أوفيد

الصفحة : ٢٧٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٧

وهكذا تستعين بالفن لتحسين اللون الطبيعي؛

المرأة تتباهى في الساحات بعقصات الشعر المستعارة،

وإذ تفقد شعرها، تشتري شعر فتاة أخرى،

تشتري ولا تخجل: إنه يباع بلا تنكر

تحت عيون هرقل وربات الفنون جهاراً. (١)
وماذا عن اللباس الآن؟ ضع الأقمشة المقصبة الفخمة جانبا
وأنسجة الصوف المصبوغة مرتين في الأرجوان الصوري.
ما من نقص هناك في الأنواع الأرخص الآن،
فمن الجنون أن يحمل المرء ثروته على ظهره.
هناك زرقة السماوات، زرقة سماوية بلا صباغ،
وما من رياح جنوبية غربية دافئة مصحوبة بتهديد المطر.
وثمة الذهبي الذي يذكر بالجزة التي يقال
إن عليها فر فريكسوس وهيللي من إينو الرهيبة، (٢)
وخضرة البحار، وقد أخذت اسمها من تلك المياه،
(ويبدو لي أن تلك الثياب لتكسو خجل الحوريات).

١
إشارة إلى معبد ربات الفنون برواقه المعمد، والذي يقوم على مقربة من رواق أوكتافيا. والشاعر يفترض أن بيع الشعر المستعار لا بد أن يصدم ربات الفنون.
٢
هما طفلا (أثاماس) من زوجته الأولى نيفيلي (السحابة) التي أنقذتهما من الموت على يد زوجة أبيهما. و في أثناء طيرانهما على ظهر الكبش ذي الجزة الذهبية سقطت هيللي في البحر الذي أخذ اسمها (هيلليسبونت) وهو مضيق الدردنيل بين بحر مرمرة وبحر إيجة.

أوفيد
الصفحة : ٢٧٧

أوفيد

الصفحة : ٢٧٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٨

وهنا الزعفران أيضاً (وفي حلل من الزعفران الزاهي
تشد ربة الفجر الندي إلى مركبتها جياد الضياء)،
والوردي الفاتح والآسي من بافوس وهما يزيدان في القائمة، (١)
وريش الغرانيق والجَمَست الأرجواني (٢)
وألوانك الكستنائية واللوزية أيضاً، يا أماريلليس، (٣)
والشمع الذي يعطي للأقمشة اسمه ولونه.
وافرة كالأزهار المولودة من جديد في الربيع المنعش،
عندما تتفتق براعم الكرمة وتسرع كآبة الشتاء بالفرار.
وافرة هكذا، لا بل إنها أوفر، فاختاري ما شئت من الألوان:
لكنها كلها لا تليق: فليكن اختيارك حكيماً.
الأسود يناسب الشقراء، بريسيس كانت تفضل الأسود، (٤)
وهكذا كانت تلبس يوم جاؤوا بها الى معسكر آسرها.
والأبيض يلائم السمراء، أندروميدا تبدو أجمل
في الأبيض، لقد رأتها سيريفوس ترفل بالأبيض. (٥)

١

بافوس: مدينة في قبرص.

٢

الجمست: من الأحجار الكريمة، والكلمة فارسية.

٣

أماريلليس: وردت في شعر فيرجيل على لسان الراعي كوريدون بأنها تحب الكستناء.

٤

أسيرة أخيل، كانت في <بياض الثلج> كما يصفها أوفيد، وكان اللون الأسود مناسباً لها.

٥

أندروميدا: إثيوبية أنقذها بيرسيوس. وسيرفيوس: جزيرة كان يحكمها بوليديكتيس، وقد عاد إليها بيرسيوس ليعاقب ملكها الخائن. والمقارنة واضحة بين لباس الأسيرة الأسود ولباس المحررة الأبيض.

أوفيد

الصفحة : ٢٧٨

أوفيد

الصفحة : ٢٧٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٠٩

كم مرةً نبَّهتك بحرص أن تعتني بنفسك
لئلا تظهر رائحة إبطك أو تكتسي ساقاك بالشعر الخشن!
لكني لا أقوم بتعليم نسوة من القوقاز
أو من سُكَّان ميسيا على ضفاف كايكوس. (١)
كما نصحتك أن تغسلي وجهك كل يوم،
ولا تتركي أسنانك تسود وتصاب بالتلف.
لقد علمتك كم ينجح قلم الحمرة في تحسين المظهر،
وإن أخفق الدم في توريد خديك، ورِّديها بالفن،
وبالفن يمكن أن تسوي طرفي حاجبيك الذابلين،
بينما تخفي لمسات التجميل الوجه الطبيعي.

أما الجفون المغيظة فتستعمل خطوطاً من الكحل
أو الزعفران النامي على جانبي نهر كيندوس. (٢)
لقد كتبت دليلاً صغيراً للتجميل،
لا حدود لفَعَاليَّته، وإن كان قليلا بالجملة
وهناك وسائل لعلاج المظاهر الخربة يمكن تعلُّمها:
إن فني لا يتوانى حيث تكون الحاجة ملحة.
ولكن لا تدعي العاشق يرى منضدة الزينة مفروشة
بعلب الأصباغ: ما يساعد على الجمال ينبغي ألا يراه أحد.

١
كايكوس: نهر في ميسيا من بلدان آسيا الصغرى. أما الإشارة إلى نسوة القوقاز وسكان ميسيا فقد كان الرومان يسمون الشعوب الخاضعة لهم (برابرة) همجيين.
٢
كيندوس: في كيليكيا. ويبدو أن الشاعر أورد الزعفران للسخرية.

أوفيد
الصفحة : ٢٧٩

أوفيد
الصفحة : ٢٨٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٠

الوجه الملوث ببقايا الصباغ، وهي تقطر ولو قليلا
على الحضن الدافئ، يبدو منظراً يثير الاشمئزاز
يالرائحة الصوف كم هي كريهة، وإن جيء به من أثينا،
وقد انتزعوه من جزة شاة غير مغسولة!
ليس من الحكمة استعمال نِقْيِ الغزال جهارا، (١)
ولا أنصح بتنظيف الأسنان أمام الناس.
هذا كله يمنح الجمال، لكن مشاهدته بشعة،
إن كثيراً مما يسرنا وهو منجز يثير اشمئزازنا في أثناء العمل به.
إن التماثيل التي أبدعها ميرون المعروف بإتقانه (٢)
كانت ذات يوم كتلاً صخرية ثقيلة بلا معنى،
لنصنع خاتماً، لا بد من سحق المعدن الخام اللامع أولا؛
إن عباءتك التي ترتدينها كانت جزة قذرة من قبل.
من صخرة خشنة القطع تم عمل تمثال جميل،
إنها فينوس عارية تعتصر شعرها البليل المياس.
وأنت تبدين أحلى في حالة مكتملة،
وسنظن أنك كنت نائمة بينما كنت تتأنقين.
وأنا لا يعنيني من أين يجيء تورد محياك،
أغلقي بابك بإحكام. لماذا تعرضين التصميم الفج؟

١

النقي: مخ العظم.

٢

ميرون: نحات إغريقي معروف بواقعيته. وكان تمثال البقرة رائعة أعماله، وقد حظي بإحدى وثلاثين قصيدة شعرية في المقتطفات (الأنطولوجيا) الشعرية الإغريقية.

أوفيد

الصفحة : ٢٨٠

أوفيد

الصفحة : ٢٨١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١١

هناك الكثير من الأفضل أن تخفيها عن نظر الناس،
إن معظم الأشياء ستصدمنا لو أمكن أن نراها من الداخل.
وتلك الزخارف الذهبية المعروضة على المسرح،
انظري بأي غشاء رقيق كُسِي خشبها،
لكن الجمهور ظل بعيداً حتى أنجز طلاؤها:
لذلك أخرجي الرجال قبل أن تبدئي بالزينة.
ومع ذلك، لا ضرر في أن يروا تحت المشط
خصلات شعرك تتموج حرة فوق كتفيك.
ولكن، احترسي من نوبات الحقد عندئذ
ولا تنتزعي بشدة تسريحتك وتجعليها نتفا
ولا تتنمري على الخادمة؛ إنه لتصرف بغيض
أن تخمشي وجهها أو تقومي بوخز ذراعها.
سوف تلعن رأس سيدتها في كل لمسة،
بينما تلوث بالدم والدموع عقصة الشعر الكريهة.
ولكن احرسي بابك، إن كنت من ذوات الشعر المتساقط،
أو قومي بتسريحه وترتيبه في حرم بونا ديا. (١)
وذات يوم علمت، ولم أكن متوقعاً ذلك،

أن مضيفتي وضعت على عجل عقصة الشعر منحرفة.
ليكن الأعداء جديرين بمعاناة هذا الخزي الرهيب،

١

Bona Dea : الإلهة الطيبة وهي تجسيد للخصوبة، وكان الرجال مستبعدين بشدة عن طقوسها.

أوفيد
الصفحة : ٢٨١

أوفيد
الصفحة : ٢٨٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٢
وليسقط مثل هذا العار على سيدة فارسية بارزة!
ما أشنع ثوراً بلا قرون، ومرجاً أجرد،
ونباتاً بلا خضرة ورأساً بلا شعر!
ليس لي حاجة بتعليم سيميلي ولا ليدا، (١)
ولا تلك التي أخذها الثور المزيف من شاطئ صيدا،
ولا هيلين التي أحسن زوجها العمل إذ طالب بها،

كما فعل الطروادي أيضاً للاحتفاظ بمحبوبته.
إليّ تأتي النساء عامة من عاديات وجميلات
لكن العاديات أكثر ليتعلمن إصلاح المظهر.
أما الجميلة فلا تحتاج دروساً من المدرسة،
إنها تحكم بمواهبها الطبيعية الخاصة بشكل سليم.
البحار يخلد إلى الراحة حين يسكن البحر،
وحين تثور الأمواج يبقى في مراقبة مستمرة.
نادراً ما تكون الأشكال بلا عيب:
أخفي ما في جسمك من عيوب ونقاط ضعف.
وإن كنت قصيرة، وفكرت بالجلوس مخافة الوقوف،
فاجلسي أو الجئي إلى السرير بخطى بطيئة،
وألقي على قدميك شالاً لتخدعي النظر
لئلا ينتبه أحد إلى قصر قامتك وأنت تستلقين،
وإن كنت نحيلة فاختاري ثوبا من زي فضفاض،

١
سيميلي وليدا: من معشوقات جوبيتر. والتي أخذها الثور: أوربا.

أوفيد
الصفحة : ٢٨٢

أوفيد
الصفحة : ٢٨٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٣

ينسدل من الكتفين حتى القدمين بلا عائق.

الألوان الزاهية أكثر ما تنسجم مع البشرة الشاحبة،

والبشرة الداكنة ينبغي أن تلجأ للأقمشة المصرية. (١)

ودعي الأقدام البشعة مضبوبة في أحذية ناصعة كالثلج،

ولا تفكي الأشرطة المتصالبة أبداً عن الساقين النحيفتين. (٢)

وإن كان عظم الكتف عالياً، اجعلي الحشوة رقيقة،

وحمالة النهدين يجب أن تلتف حول الصدر المسطح كبيرة كوبية الشكل.

واقتصدي في استعمال الإيماء وأنت تتحدثين

ولاسيما إن كانت الأظافر قصيرة والأصابع ضخمة.

ولا تتحدثي وأنت جائعة إن كان نفَسك مزعجا،

واحتفظي دائماً بمسافة بينك وبين صديقك.

وإن كانت الأسنان كبيرة أو مسودة أو منضدة بانحراف

فإن الضحك سيكون أمراً قاتلاً إن تفعليه.

من يظن أن عليه أن يتعلم حتى الضحك؟ (٣)

وبهذه الوسيلة نلتمس الخيال أيضاً.

يكفي أن يفترَّ الثغر، تكفي غمازة في كل جانب

دعي الشفتين تنفرجان حتى تظهر الأسنان.

١

الأقمشة المصرية: الكتان.

٢

أشرطة الزينة.

٣

هو ميروس يلقب أفروديت (فينوس) بـــ (عاشقة الضحك).

أوفيد

الصفحة : ٢٨٣

أوفيد

الصفحة : ٢٨٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٤

لا تجهدي رئتيك بالضحك بلا رادع،
واحرصي أن تسمعيهم شيئاً ما رقيقاً وأنثويا،
واحدة ستشوه وجهها بنظرات شائنة ماكرة،
وأخرى سيظن ضحكها بكاء خطأ.
وأخرى تقوقي كالدجاجة بصوت أجش زاعق،
أو كما تنهق أتان عجوز بائسة في الطاحون.
أين سينتهي الفن؟ يتعلمن البكاء بلطف وسهولة
والانتحاب متى وكيفما طاب لهن ذلك.
وأكثر من ذلك ـــــــ يحولن الحروف عن أصواتها الصحيحة،
وربما وجدت ألسناً تلثغ وفق الطلب.
إنه لمبهج أن يتلعثمن بالكلمات أحيانا (١)
والشفاه التي لا عيب فيها، لها مدرستها لتعلم الخطأ.
انتبهي إلى ذلك كله: كل شيء لصالحك،
تعلمي كيف تشقين طريقك كما ينبغي للسيدة أن تفعل.

بالعربة ـــــ إنها ليست وسيلة قليلة السحر ـــــ
والرجل المجهول عرضة للإغراء أو تلقِّي الإنذار.
واحدة تميس بردفيها، لتعرض بحركة مدروسة
ثوبها الفضفاض وتلفت النظر إلى قدميها.
وأخرى، مثل زوجة فلاح متوردة الخدين،

١
في البداية يظن أن لثغها مصطنع وأنها تستحق اللوم، ولكنه سرعان ما يعتاد عليه ويراه جميلاً وجديراً بالتشجيع.

أوفيد
الصفحة : ٢٨٤

أوفيد
الصفحة : ٢٨٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٥
تمشي بخطى واسعة وتفشخ بمشيتها.
ولكن هنا، كما في أشياء كثيرة جداً،

ما بين المشي بتثاقل أو برشاقة اختاري الوسط الموافق.
إنما على يسارك، حيث يتصل الكتف بالذراع،
ألقي نظرة صريحة فهي سحر إضافي،
وإلى الشقراوات بخاصة: إن كان لا بد من الإيضاح،
أشعر أن نظرة خاطفة من فوق الكتف مشفوعة بقبلة.

كانت السيرينات جنيات بحر، بقوة الغناء (١)
قادرات على إيقاف أسرع المراكب عن الجريان.
لكن أوليس شق طريقه طليقاً من سحر ذاك الصوت
ويقال إن آذان رفاقه كانت مسدودة بالشمع. (٢)
أيتها الجميلات، تعلمن الغناء. الأغنية شيء من الحظوة؛
الصوت غالباً ما يكون قوادة أبرع من الوجه.
ألحان من المسرح الرخامي تتردد،
أو أغانٍ راقصة على إيقاع مصري بهيج.
ما من امرأة تدربت وفق رغبتي
يمكن أن تفتقر إلى الفن لمعالجة القيثارة والريشة.

١
السيرينة: حورية بحر تسحر الملاحين بغنائها فلا يقدرون على مواصلة الرحلة.
٢
استجاب أوليس لنصيحة الساحرة (كيركي) فشد بإحكام إلى الصاري، بينما سد آذان بحارته بالشمع حتى لا يوقفهم سحر السيرينات، وذلك في طريق عودته بعد حرب طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٢٨٥

أوفيد
الصفحة : ٢٨٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٦
كان أورفيوس يقود بعوده الوحوش والجلاميد(١)
وأنهار الجحيم والكلب ذا الرؤوس الثلاثة.(٢)
والأحجار كانت تقفز متاريس جديدة بأغنية
من ذلك الذي انتقم بإنصاف لمعاناة أمه. (٣)
إن أسطورة أريون وقيثارته ستروي(٤)
كيف كان الدلفين الأبكم يشعر بسحر النغم
علمي يديك أيضاً أن تتحركا باتساق،
إن القيثار المرح مصمم من أجل بهجتنا.
أما بعد، فيجب أن تحفظي شعر كاليماخوس
وشاعر كوس، وحكيم تييوس وخمرياتها. (٥)
وسافو التي تلهم كل عبث ومجون،

١
أورفيوس: ابن أبوللو وكاليوبي، وزوج يوريديكي التي حاول إنقاذها من الجحيم. وهو شاعر وموسيقي كان لألحانه قوة سحرية، كما تقول الأساطير الإغريقية.
٢
الكلب سيربروس (كيربروس باللاتينية والإغريقية) وهو حارس بوابة الجحيم.
٣

أمفيون الذي حاول أن ينتقم لمعاناة أمه (أنتيوبي) على يد عمتها (ديركي) وذلك بأن شد ديركي إلى قرني ثور وحشي. وهذه العقوبة الرهيبة كانت موضوعاً للعديد من نحت التماثيل في روما.

٤

أريون:أنقذه من الغرق دلفين مسحور بعزفه . وقد كوفئ الدلفين بتحويله إلى مجموعة من النجوم.

٥

كوس: جزيرة إغريقية، وشاعرها (فيليتاس) وهو زعيم مدرسة الإسكندرية للشعر. وهذا الحشد الكبير من أسماء الشعراء أورده أوفيد ليضع اسمه بينهم، وليس لأهمية شعرهم الوجداني، إذ كان بينهم شعراء الملاحم.

ـــــــ تيبوس: مدينة في آسيا الصغرى، وشاعرها أناكريون، كتب شعره في الحب والخمر.

أوفيد

الصفحة : ٢٨٦

أوفيد

الصفحة : ٢٨٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٧

وذلك الذي ترى عبيده الماكرين يخدعون أسياده. (١)

ولا تغفلي بعض أغاني بروبيرتيوس العذبة

ولا شيئا مما كتب غالليوس وتيبوللوس

ولا حكاية فارو عما انتاب أخت فريكسوس من ندم (٢)

على الجزة ذات الشهرة الواسعة وما يكسو صوفها من ذهب.

ولا كيف انبثقت روما السامية من أنياس اللاجئ (٣)

واستقر نبلها الأرقى في اللسان اللاتيني.
ولعل اسمي سوف يصنف مع أولئك الأسماء
ولا يلقى بكل ما كتبت في نهر النسيان. (٤)
أحدهم سيقول: >اقرئي ذلك العمل بمزاج رقيق،
حيث يقوم معلمنا بتدريب الجنسين كليهما،
أو اختاري مقطوعة لتقرئيها بإيقاع آسر.
من الكتب الثلاثة المعروفة باسم >حكايات حب<
أو أنشدي رسالة بصوت رخيم،
حكاية رائعة كانت أول ما نظم شعرا<.
ألا فلتمنحي هذا، امنحيه، يا قوى الشعر المقدسة
يا فيبوس، يا باخوس الأقرن، ويا ربات الفنون التسع!

١

الشاعر: ميناندير، وله مسرحيات في موضوع الحب.

٢

أخت فريكسوس: هيللي.

٣

إشارة إلى حب ديدو وأنياس، وهو مدين بالقصة للشاعر فيرجيل.

٤

ليثي: نهر الجحيم والنسيان.

أوفيد

الصفحة : ٢٨٧

أوفيد

الصفحة : ٢٨٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٨

لا جدال في أن لي فتاة بارعة في الرقص،
وهي تميس بأوصالها المعبرة عندما تكون الأكواب مترعة.
فرقة الباليه هي محبوبة المسارح المدللة،
ما أروع السحر الذي تقدمه رشاقتهن الطرية.
لكم أخجل أن ألح على معرفة أمور تافهة مثل
كيف يقذف الزهر، وما هي قيمة الرمية،
ألقي الثلاثة تارة، وقدِّري ببراعة طورا
أيَّ جانب للتحدي، وأيَّاً لتعزير القوة،
لتقودي معركة البيادق بمهارة حذرة،
حين يتغلب اثنان من الأعداء على الفارس المفرد،
والملك يؤسر بلا ملكته وعليه أن يواجه
العدو وغالباً ما يتراجع بخطواته المتحمسة؛
أو تندفع كرات من كيس مفتوح وتنزلق
لتلقي بعود أرضاً، ولا تمس غيره بأذى. (١)
لعبة، مناطقها مرسومة بخطوط رفيعة
بعدد ما في السنة العابرة من أقمار:
إنه لوح أصغر وكل جانب مزود بثلاثة بيادق
والفوز من نصيب من ترصف زمرتها على نسق واحد.
تمرسي بهذه التسليات كلها، فليس اللعب عيبا

١

هذه لعبة أخرى غير النرد، كما يبدو. وهي عبارة عن عيدان مشكوكة تضرب بكرة. ثم ينتقل إلى لعبة أخرى، لم تعد معروفة كذلك.

إن غرض الشاعر لعبة الحب، كما في البيت الأخير.

أوفيد

الصفحة : ٢٨٨

أوفيد

الصفحة : ٢٨٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣١٩

للفتاة؛ فكثيرا ما ينشأ الحب في لعبة.
إن تلتمسي المهارة في لعب النرد فتلك مسألة بسيطة،
إنما المهمة الجلّى أن تسيطري على انفعالك.
فالحماسة التي تغرر بنفسها تدفعنا عندئذ للتهور،
وتنكشف الروح عارية في أثناء اللعب.
الغيظ يسفر عن وجهه البشع، والطمع في الكسب
والمشاكسة والخصام والأسى الموجع.
الملامات تتطاير، ويضج الجو بالصرخات،
وكل تستغيث بآلهتها المستثارة.
بالأيمان المغلّظة تنكر الديون والشرف يختفي،
بلى، فغالباً ما رأيت الوجنات مبللة بالدموع.

ليحفظك الإله من أمثال هذه المخازي
أنتِ يا من تأملين في إسعاد رجل من أي طراز.

تلك ألعاب توافق بدن المرأة الأضعف:
إن طاقات الرجال البدنية أوفر للرياضة.
مهاراتهم في قذف الكرة والطوق والحربة،
والأسلحة والخيول تدور في الحلبة.
لا ملاعب رياضية لكن، وليس لأبدانكن أن تعرف
مجرى التيبر الهادئ أو ماء العذراء الجليدي. (١)

١
Aqua Virgo قناة مشهورة بمياهها الباردة.

أوفيد
الصفحة : ٢٨٩

أوفيد
الصفحة : ٢٩٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٠

ولكن يمكنك بل عليك أن تترددي إلى رواق بومبي (١)
عندما تتوهج شمس أغسطس في قبة السماء.
والجئي إلى حرم قصر فيبوس المتموج بالغار
الذي أغرق مراكب مصر في لجة البحر. (٢)
أو الأروقة التي أنشأتها زوجة قيصر،
وأخته وابنها البحَّار المكلل بالغار. (٣)
وترددي إلى معبد البقرة المصرية العابق بالبخور، (٤)
واظهري في المسارح الثلاثة بوضوح، (٥)
وزوري الحلبة التي تلطخها آثار الدماء
وراقبي سرعة العجلات المشتعلة حول الهدف.
إن ما يخفى مجهول، والمجهول لا يسعى إليه أحد،
والوجه الجميل الذي لا يراه أحد لا ينفع بشيء.
والمغني المجهول لا يحدث أي تأثير سحري،
وإن كنت تتفوقين على ثاميراس وأميبيوس. (٦)

١

من المعالم العمرانية المشهورة في مدينة بومبي القديمة، وقد بنى بومبي تلك الأروقة ملحقة بمسرحه وهي للوقاية من المطر والحر، فضلاً عن روعتها المعمارية.

٢

إشارة إلى حرم أبوللو (فيبوس) ومرافقه على قمة جبل مطل على ميدان المعركة التي انتصر فيها أغسطس (معركة أكتيوم) في سنة ٣١ ق.م.

٣

أنشأ الأروقة أغسطس لزوجته ليفيا، وأخته أوكتافيا وابنها ماركيللوس.

٤

يربط أوفيد في أكثر من موضوع بين آيو التي حولتها جونو إلى بقرة وبين إزيس المصرية.

٥

المسارح الثلاثة: بومبي وماركيللوس وبالبوس.

٦

ثاميراس، في الأساطير الإغريقية، مغنٍّ من طراقيا، حرمته ربات الفنون من موهبة الغناء لأنه تحداهن.

أميبيوس: موسيقي أثيني مشهور، تاريخه غير معين.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٠

أوفيد

الصفحة : ٢٩١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢١

ولو أن أبيلليس لم يبدع تمثال فينوس

لبقيت غارقة في لجة البحر لم يترنم بها أحد.

أيسعى الشاعر المكرس للآلهة إلى أي شيء آخر غير الشهرة؟

إنها الهدف الذي يشغل البال من بين كل أعمالنا.

لقد حظي الشاعر ذات يوم باهتمام الآلهة والملوك

وجنى المغنون القدامى مكافآت سخية.

وكانوا يعاملون الشاعر باحترام جليل،

وكثيراً ما كانت السمعة الرفيعة والثروة الكبيرة جزاءه.

ومن شدة اهتمام أبناء جبال كالابريا

بوأوا إنيوس مكانة بجوار سكيبيو العظيم. (١)

لكننا اليوم نزدري بأكاليل الغار ونتهمه بالتهرب من العمل

لأنه يصحو ويعمل في خدمة ربات الفنون

إنه يسعى للشهرة: فمن سيعرف اسم هوميروس

لو أن إليانته الخالدة فقدت شهرتها؟
من كان سيعرف داناي، لو أقامت دائماً (٢)
حبيسة في سجنها، عذراء عجوزاً غامضة؟

١
كالابريا: شبه جزيرة في جنوب شرق إيطاليا. سكيبيو هو (بي. كورنيليوس سكيبيو، ٢٣٦ ـــــ ١٨٣ ق.م) قاهر هانيبال، وقد وضع تمثال الشاعر إنيوس على ضريحه.
٢
داناي: أعلن صوت الوحي لدى الإغريق أنها ستنجب ولداً يقتل أباها، لذلك حبسها أكريسيوس في برج من البرونز، لكن جوبيتر شق طريقه إليها في شكل وابل من الذهب فصارت أم بيرسيوس.

أوفيد
الصفحة : ٢٩١

أوفيد
الصفحة : ٢٩٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٢
هناك فائدة وجميلات في الشوارع المزدحمة،

فانطلقي بخطواتك الجوالة خارج العتبة كثيراً.
الذئب يطوف باحثاً عن القطعان ليفوز بضحية،
وعلى أسراب الفراخ ينقضُّ ملك الطيور.
والجميلة يجب أن ترى بين الجمهور كذلك،
ومن تلك الأعداد الغفيرة، ستلتقط واحداً بالمصادفة.
وهي ستتردد إلى كل مكان وهدفها أن تسر
وتكرس عناية دائمة لأناقة مظهرها.
للمصادفة قدرة قاهرة: احتفظي بالصنارة جاهزة،
لعل سمكة مختبئة في أقل البرك احتمالاً.
وكثيراً ما تجوب الكلاب الجروف الغابية عبثا،
بينما يمشي الأيل إلى الشَّرَك لا يسوقه أحد.
هل كان في وسع أندروميدا أن تأمل أقل (١)
من أن تبدو فاتنة في محنة احتجازها الأليم؟
الصداقات غالباً ما تنشأ في المآتم؛ فللدموع المنهمرة
وللشعر المشعَّث تأثيرهما الشديد.
لكن تجنبي أولئك المتظاهرين بالوسامة والأناقة
الذين يحتفظون بشعرهم مرتباً بحرص بالغ.
إن ما قالوه لك كانوا قالوه لعشرات بجانبك،

١
أندروميدا: ابنة كيفوس، أنقذها بريسيوس من غول بحري كانت أمها كاسيوبيا قد قدمتها له، تضحية لها من انتقام النريدات.

أوفيد
الصفحة : ٢٩٢

أوفيد

الصفحة : ٢٩٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٣

وما من مكان يستقر فيه حبهم المشرد منذ عهد بعيد.

ما نفع رجل يمتاز بجلد أنعم مما لك

وله من العشاق بالمصادفة أكثر منك كذلك؟

صدقيني، كلهم مشبوهون: فلو أن طروادة صدقت

تحذيرات كاساندرا لبقيت صامدة زمناً أطول:

بعضهم سيحاصرك بتودد زائف،

ليسلبك بغدر حالما يحظى لديك بمنزلة وطيدة.

فلا يغرَّنكِ الشعر اللامع المندى بالطيب

ولا أربطة الأحذية الملفوفة بإتقان في مواضعها،

ولا الحلَّة المنسوجة أروع نسيج،

ولا تخدعنَّك الخواتم في كل إصبع.

إن أحسن >غندور أوقفوا اللص!أمسكوا باللص!< سيتردد صداها عالياً في كل الميدان،

بينما تطل فينوس من ردهتها المزينة بالذهب،

والحوريات من حولها، لتشاهد الشجار بهدوء.

إن سوء السمعة ينتمي إلى بعض الأسماء المعروفة جدا،

وعلى ضمائرهم يقع ما لا يحصى من الآثام بحق النساء.

تعلمي أن تكوني حذرة من كارثة امرأة أخرى،

ولا تدعي أي عاشق مزيف يعبر بوابتك داخلاً.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٣

أوفيد

الصفحة : ٢٩٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٤

يا عذارى أثينا، إياكن أن تثقن بأيمان ثيسيوس بعد اليوم: (١)
فالآلهة التي يقسم بها كان قد أنكر قسمه من قبل.
وأنت كذلك يا ديموفون، يا وريث ذنب ثيسيوس (٢)
شرفك ولَّى يوم دعتك فيلليس ناكث العهد.
بادلي الوعود بوعود مثلها،
أما المال فامنحي وصالك حسب الاتفاق المرتب.
ألا فلتسرقِ القرون من ضريح آبو المقدس (٣)
أو لتطفئ نيران فيستا الإلهية التي لا تخبو، (٤)
أو لتعطِ زوجها الفَربَيون مخلوطاً بالشوكران، (٥)
تلك التي تغش رجلاً فلا تمنحه المباهج التي دفع ثمنها.

لكن دعيني الآن أقترب من موضوعي أكثر،
ويا ربة شعري، شدي الأعنَّة ولا تدعي الجياد تندفع جامحة
إن لوحاً من خشب التنوب يجيء مستطلعاً أسرار الأرض:

١

ثيسيوس: الأمير الأثيني الذي أحبته أريادني وتخلى عنها.

٢

ديموفون: أحبته فيلليس (من طراقيا) في أثناء عودته من حرب طروادة، لكنه تخلى عنها مثلما فعل أبوه (ثيسيوس) مع أريادني من قبل.

٣

آيو: أحبَّها جوبيتر وحولها إلى بقرة ليجنبها غيرة هيرا (جونو)، لكن هذه حكمت بذبابة (نُعَرة) مؤذية تلاحقها باستمرار.

٤

فيستا (هيستيا): ربة الموقد، واللهب الذي لا يخبو في معبدها كان يمثل حياة روما ذاتها، لذلك فإن إطفاءه يعد خيانة عظمى.

٥

الفربيون Spurge نبات ذو عصارة مرة، والشوكران: نبات سام، وهو السم الذي حكموا على سقراط بتجرعه.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٤

أوفيد

الصفحة : ٢٩٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٥

فتيقَّني أن رسالته وصلت إلى يد موثوقة.

اقرئيها بعناية، وقدِّري من لغتها

إن كانت استغاثتها صرخة من القلب أو ملفَّقة.

وقبل أن تجيبي انتظري يوماً أو أكثر.

فالحب يستثيره الانتظار إذا انتهى على عجل.

لا تشفقي على توسلاته بوعد يسير

ولا ترفضيه كذلك بكبرياء جوفاء بلا رحمة.

امزجي الآمال بالمخاوف، لكن الآمال يجب أن تزداد تألقا

والمخاوف تتناقص في كل مرة وأنت تكتبين.

اكتبي بلغة المثقفين ولكن بأسلوب عامي،

فالرجال يحبون الأسلوب الدارج كل يوم.

كثيراً ما تثير الرسالة فتى مرتابا،

لكن الكلمات الجافية تزري بالمظهر الجميل.

وبما أنك حريصة على مسح عيني مولاك، (١)

وإن كنت تفتقرين إلى رباط الزواج المرعي،

دعي الخادمة أو التابع يخط رسالتك الغرامية،

ولا تعهدي بعلاماتك الفارقة إلى يد مستجدة.

إن من يحتفظ بتلك العلامات يؤدي دور الخائن،

١

واضح أن الإشارة إلى الزوج، لكن الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى الانزياح في الدلالة حين يختار عبارته، ولعله يرد في ذلك على الذين نفوه بأنه لم ينتهك القانون ولكنهم لا يفهمون لغة الشعر. والانزياح: إعطاء دلالة خاصة للكلمة خارج معناها المعجمي.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٥

أوفيد

الصفحة : ٢٩٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٦

لكنه يستخدم سلاحاً أشد ضراوة من لظى إتنا. (١)
من خلال هذا رأيت امرأة شاحبة الوجه خوفا
وظلت معذبة مستعبدة طوال سنين عديدة.
وأنا لا أرى أي ضرر في أن تدفعي الحيلة بالحيلة،
فالقانون يسمح باستعمال السلاح ضد المسلح.
وعلى اليد الواحدة أن تمارس أشكالاً من الخط متعددة،
ـــــ اللعنة على أولئك الذين يجعلونني أعلِّم حِيَلاً كهذه! ـــــ
وهناك مجازفة في الكتابة إلا إذا تم محو الشمع جيدا،
مخافة أن تكتشف آثار رسالتين على لوح واحد.
أشيري دائما إلى حبيبك وكأنه فتاة
وتحدثي في رسائلك عن "ها" كأنما عن (ه).
دعيني أنطلق من نقاط صغيرة إلى موضوعات أهم
مسرعاً تحت انتشار شراع منتفخ.
إن حظر الأمزجة البشعة حيوي لحسن المظهر،
فالشدة للحيوان المتوحش، والسلام الهادئ للإنسان.
الغيظ ينفخ الوجنات، وتحمر العروق احتقانا
وتبرق العيون بنظرات أقسى من نظرات الغرغونة (٢)
"سُحقاً لك أيها المزمار البشع! فلست جديراً بفم كهذا"

١

إتنا: بركان في صقلية.

٢

الغرغونة: ميدوزا وشقيقتاها، وكانت نظراتهن تحول من ينظر إليهنَّ إلى حجارة.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٦

أوفيد

الصفحة : ٢٩٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٧

صرخت باللاس وهي تسترق النظر إلى وجهها في الماء. (١)

لذا فإن من تظهر المرآة وجهها في لحظة غضب،

فمن النادر أن تعرف أن تلك ملامحها ذاتها.

الجمال تفسده الغطرسة، لا أقل من ذلك:

وعلى الحب أن تغريه النظرات المفعمة بالرقة.

ثقي بإنسان يعرف، إننا نكره مظهراً متغطرسا،

وغالباً ما ترسّخ الكراهيةَ نظرةٌ متفرسة صامتة.
ردِّي النظرة بالنظرة والبسمة بالبسمة،
وقابلي الإشارة بمثلها إذا التقت عيناكما.
ومع انتهاء هذه الإلماحة، ينقضُّ كيوبيد بلعبته،
ويسحب من كنانته السهام التي تطعن.
ونحن نكره الكآبة أيضاً: تيكميسا كانت من اختيار أجاكس،(٢)
والمرحِ الذي يشع مثلنا يستمتع بالقلوب البهيجة.
لا أنت يا تيكميسا ولا حتى أندرو ماخي
يمكن أن أدعوها لتأتي وتعيش معي.
ولولا أن أولادكما يثبتون خلاف ما أرى، لقلت
إن كلا منكما لم تشارك زوجها أبداً في الفراش.

١

التواء وجهها والمزمار في فمها جعلها تبدو مشوهة حين رأت صورتها منعكسة في الماء.

٢

أجاكس (يلفظ بالإغريقية واللاتينية: إياس)، والشاعر ينتقد نساء المحاربين.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٧

أوفيد

الصفحة : ٢٩٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٨
هل تظن أن تلك السيدة السوداوية كانت
تدعو أجاكس "حبيبي" أو أي اسم آخر للتودد؟
بإذنٍ منك سأناقش من عظيم الأمور إلى صغيرها
وبجرأة أضرب مثلاً بقضية القائد الأعلى
الذي يعهد إلى كل واحد بحسب مرتبته
سرية المشاة والعلم والفرسان.
وهكذا أنتنَّ، احكمن لكل واحد منا بما يليق به
أكثر، وعيِّنَّ لكل واحد مهمته المناسبة.
الغني قادر على العطاء، والمحامي يساعد عند الحاجة،

والخطيب يمكن أن يدافع عن قضية موكل،
ونحن الشعراء لا نستطيع أن نمنح إلا القصائد
ولكننا أفضل العشاق هنا وفيما يلي.
بفضلنا يذاع عن مفاتن الجميلة عبر الآفاق
ومن خلالنا تنبعث شهرة نيميسيس وسينثيا.
ومن الشرق إلى الغرب يتغنى الناس بحكاية ليكوريس (١)
واسم كورينا، حبيبتي، يتردد على كل لسان. (٢)
وليس للخداع في طبيعة البشر أي مكان كذلك،

١
نيميسيس وسينثيا وليكوريس: أسماء الحبيبات اللواتي كتب عنهن الشعراء: تيبوللوس وبروبيرتيوس وغاللوس، على التوالي. اسم سينثيا في اللاتينية والإغريقية يكتب ويلفظ (كينثيا) من جبل كينثوس.
٢
اسم حبيبة الشاعر، ولعله اسم مستعار وليس حقيقيا.

أوفيد

الصفحة : ٢٩٨

أوفيد

الصفحة : ٢٩٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٢٩

إن فننا هو الذي يصوغ شخصياتنا.
ما من رغبة في المكان أو الثروات ترهقنا،
فنحن مولعون بأيكتنا الظليلة ونرفض المدينة بازدراء.
لكن العواطف سرعان ما تأسرنا بقوتها فمالنا إلا الاشتعال،
ولقد تعلمنا درس الحب الصادق أكثر مما ينبغي.
وبفضل صنعتنا اللطيفة تملكت الرقة قلوبنا،
وبما لدينا من دافع باطني يترنح سلوكنا.
أيتها الجميلات، تلطفن بعصبة الشعراء
فربات الفنون تكرمهم بالمحبة والآلهة بالإلهام.
الإله كامن فينا ونتبادل الأحاديث مع السماء،
وتستمد موهبتنا مصدرها من ينابيع مقدسة.
إنه لإثم أن تسعين إلى أجر من الشعراء
إثم لا تأخذه النسوة بعين الاعتبار، يالأسف.
ولكن خبئي نواياك ولا تستعرضي طمعك بوجهه السافر،
فالحب الجديد يلمح الشرك من بعيد ويولي هارباً.

ما من فارس يمكن أن يمتطي بالشكيمة ذاتها
مهراً قيد الترويض وحصانا تم اختباره جيداً،
ولا بالطريقة عينها سوف نحبس في قفص
فرخاً أزغب وطائراً ناضجاً كليهما معاً.
هناك مجند غر، لم يتمرس بحملات العشق بعد

أوفيد
الصفحة : ٢٩٩

أوفيد
الصفحة : ٣٠٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٠
وهو يقف على عتبتك مأسوراً منذ عهد قريب،
وعليه أن يعرف ويتشبث بك، بك وحدك:
فلتقيمي أسيجة عالية حول ذلك المحصول.
لا تسمحي باقتراب المنافسات: فانتصارك مضمون ما دمت وحدك،

فلا طاقة للعرش ولا للحب في المشاركة.
إن المحارب القديم يخطب ودك هادئاً متمالك النفس،
ويخضع لكثير مما لا يستطيع أي مجند احتماله.
فهو لا يحطم الباب ولا يحرقه ولا يحاول أبداً
أن يستخدم أظافره في تخميش وجنتي حبيبته،
ولا يمزق ملابسه، ولا يمزق ثوب السيدة،
ولا ينتزع خصلة شعر لينهمر فيض الدموع.
الفتيان الملتاعون يرتكبون حماقات كهذه في حالات الطيش،
وصاحبنا سيتحمل بهدوء إحدى الوخزات.
وهو يشتعل، ويالِلأسف، ببطء مثل قش بليل
ومثل خشب قطع حديثاً فوق منحدر شاهق.
هذا الحب أشد رسوخاً، وذاك أوفر عذوبة
لكنه أقصر؛ فأسرعي لقطف الثمار لأنها سريعة الزوال.

ياللخيانة! البوابات انفتحت أمام العدو بيدي!
دعيني أستمر مخلصاً للخيانة!

أوفيد
الصفحة : ٣٠٠

أوفيد
الصفحة : ٣٠١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣١

الحب لا يزدهر طويلا في رحلة سهلة:

فامزجي مباهج الغرام بالمنغِّصات أحياناً.

اتركيه في الخارج يصرخ: <آه، ياللك من باب بلا قلب!ليست هنا>.

وأنت أيضاً، أيها السيد الممنوع من الدخول، استسلم للحب.

والآن أوقفي المبارزة، واحسميها بالسيف،

ولا ريب أنك ستواجهينني بأسلحتي ذاتها.

الفتى الذي تصطادينه أو الذي أوقعته مؤخراً في الشرك

يجب ألا يظن أن فتى آخر شاركك الغرفة،

لكن رائحة أخرى، تسعى إلى فراشك،

هي المنافس: تخلَّيْ عن هذه الحيل فيموت الحب.

مع انفتاح البوابة ينطلق العدَّاء مسرعا

حين يرى أنداداً يحاولون اللحاق به وسبقه.

النيران الخابية تعاود اشتعالها بالخيانة

وأنا أعترف أنني لا أحب إلا حين تنبذني الحبيبة.

ليس هناك من سبب صريح لكشف أمر الغيرة

أوفيد

الصفحة : ٣٠١

أوفيد
الصفحة : ٣٠٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٢
أو أثيريه بأساطير عن جواسيس مرعبين
أو عن الزوج القاسي وعيونه المترصدة أبداً.
المسرة بلا خطر تفقد نصف سحرها،
فتظاهري بالذعر وإن كنت حرة مثل تاييس – (١)
افتحي النافذة وليس الباب، وهو أبسط
وملامحك ترشح بالخوف من جميع المسام.
وعلى خادمة حسنة التدريب أن تنهض وتصيح "وقعنا في الفخ"
ويوضع "الغندور"المرتعد في أي جُحر.
ولكن امزجي بهذه الأهوال المباهج المطمئنة،
لئلا يكون له رأي آخر في لياليك إذا بالغت في التقدير.

وأنا لم أغفل كيف تتفادين العين الراصدة
لعاشق ماكر أو جاسوس شديد المراقبة.
وعلى الزوجة أن تخشى سيدها، فحياة السجين
قانونية، عادلة ومناسبة للزوجة:
لكن جارية معتقة يستبقونها تحت القفل والمفتاح!
من يطيق ذلك؟ تعلمي طقوسي وكوني حرة.
ورغم أن عيون أرجوس كلها تترصدك بفضول،

١
محظية أثينية مشهورة، كانت عشيقة الإسكندر الأكبر.

أوفيد
الصفحة : ٣٠٢

أوفيد
الصفحة : ٣٠٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٣
فإن في وسعك أن تضلليها إذا حاولت بجد.
أي سجان في مقدوره أن يضمن أنك لن تكتبي،
حين تكونين في حمامك طوال ساعات بعيدة عن النظر، (١)
وحين تستطيع شريكتك أن تحمل الرسائل
مطوية تحت الصدرية بكتمان وإحكام،
أو تستطيع أن تخفي رزمة الرسائل في حذائها،
أو تخبئ في جوربها رسالة الغرام؟
إن هذه الحيل متوقعة، وعوضاً عن الورق ستخصص
ظهرها، وعلى جلدها ستحمل رسالتك.
إنه لأمر مأمون وخفي أن تكتبي بنسغ طري (٢)
وذرة من رماد الفحم تظهر الكلمات بوضوح.
وحين تستقطر الرطوبة من سويقة الكتان كذلك

على صفحة نظيفة فإنها ستشكل مخطوطة غير مرئية.
أكريسيوس حبس ابنته بصرامة في البرج، (٣)
ومع ذلك جعلته خطيئة تلك الابنة جداً.
ما نفع الجاسوس حين تكثر المسارح،

١
الإشارة إلى الحمام، وهي باللاتينية aquam sumere تعني الاغتسال بعد الجماع، وتبدو السخرية واضحة في أنها تنام مع رجل وتكتب لحبيب آخر.
٢
يؤخذ نسغ الكتابة من نبات ذي عصارة لبنية كالفربيون spurge ويسمى باللاتينية tithymallus هو للكتابة على الجسم وبعد أن يجف يُرَشُّ بالرماد فيظهر.
٣
ابنته داناي، أم بيرسيوس من جوبيتر، وقد مرت قصتها.

أوفيد
الصفحة : ٣٠٣

أوفيد
الصفحة : ٣٠٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٤

وحين تكونين حرة في التردد إلى مضمار السباق،
أو تجلسين مع علبة الخشخشة عند قدمي إيزيس، (١)
حيث ما من عريس أمكنه أن يتبعك، يستطيع الانسحاب،
حين تكون طقوس (بونا ديا) محرمة على (٢)
عين الرجل باستثناء أولئك الذين تدعوهم بنفسها،
وحين يقوم التابع على حراسة ثيابك في الخارج، (٣)
بينما تمنحك الحمامات مجالاً واسعاً للتزود بالمتع المختلسة،
وحين يمكنك عند الحاجة أن تجدي صديقة متوعكة
وهي مستعدة أن تعيرك سريرها، رغم مرضها،
وحين تبين لنا فتّاحة الأقفال كيف نستطيع أن نفتح ـــ ونختار،(٤)
فهل من أبواب للخروج فحسب يمكنك استخدامها؟
بفضل باخوس يمكن تنويم حارس السجن كذلك،
وحتى من العنب في تلال إسبانيا يمكن أن نختار. (٥)
وهناك عقاقير تجلب النوم العميق،

١

من طقوس أتباع إيزيس الخشخشة sistrum

٢

طقوس الأم الطيبة، رمز الخصوبة.

٣

كانت الحمامات محروسة ضد مثل هذه المغامرات لدى الإغريق والرومان، لكن الشاعر يشير ساخراً إلى حالات التواطؤ بين الحارس والسيدة، ولم يكن الاستحمام المختلط يحظى بالاحترام، وغالباً ما يحظره الإمبراطور.

٤

فتاحة الأقفال adultera clauis والشاعر يستغل المعنى المزدوج لــ adulter وهو الزيف والزنا، وبهذه الكنايات والاستعارات المواربة يزيد الشاعر سخريته عمقا.

٥

كان الرومان ينظرون إلى خمر إسبانيا على أنها الأرخص والأردأ.

أوفيد

الصفحة : ٣٠٤

أوفيد

الصفحة : ٣٠٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٥

وتغرق العيون المغلوبة في ظلام النسيان.

وأكثر من ذلك أن خادمتك يمكن أن تلاطف الشقي جانبا

وتستوقفه طويلاً في مناورة مداهناتها.

ولكن لِمَ أنصح بهذه الحيل والقواعد الثانوية

عندما يكون الجواسيس مستعدين لأقل رشوة؟

صدقيني، إن الآلهة والرجال معاً يخضعون للمال (١)

والقرابين تلطف من غضب جوف ذاته.

إن العقلاء يستسلمون للرشوات أكثر من الحمقى

وحالما يبتلعون الرشوة، فكلاهما يصابان بالخرس.

إنما حاولي جاهدة أن تشتري سجانك نهائيا:

فمن يقع مرة، لا بد أن يقع مرة أخرى.

شكوت ذات يوم أننا يجب أن نتقي أصحابنا،

وتلك الشكوى لا تطول الرجال وحدهم.

إن تثقي فمباهجك ستغدو من حق الآخرين،

إن الأرنب الذي تجفلينه سيطارده الآخرون.

وتلك الحريصة ما أمكن على تقديم غرفتها وسريرها ــــ

تأكدي أنني كثيراً ما استمتعت بها بدلاً منك.

ولا تضعي في خدمتك فتاة آية في الجاذبية،

فغالباً ما قامت بدور سيدتها معي،

أيها المجنون، لماذا تخوض عارياً في عراك متهور،

١

الفكرة مأخوذة من مسرحية (ميديا) ليوربيديس.

أوفيد

الصفحة : ٣٠٥

أوفيد

الصفحة : ٣٠٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٦

ولِمَ تقلب الواشي إلى خصمك الحقود؟

الطير لا ترشد الباشق إلى وكناتها الخفية،

ولا الأيِّل يعلِّم الكلب البغيض طريقة العدو.
يالها من تضحية بلا جدوى! إنني سأنجز مهمتي،
ومن أجل هلاكي أسلح عصبة ليمنوس. (١)
اجعلننا نتوهم أننا محبوبون ـــــــ وذلك أمر بسيط،
فالراغبون سرعان ما يظنون أن رغباتهم تحققت.
إن فتاك الشهم يتأملك بنظرات ملتاعة،
تنهدي بعمق واسأليه لماذا يأتي متأخراً إلى هذا الحد،
ثم انتحبي وتظاهري بأن منافسة هي مصدر يأسك،
وبأظافرك باشري بتجريح خديه.
وسيقتنع أخيراً ويستجيب مشفقاً،
وفي سره يقول: "يالها من مخلوقة متيمة بحبي"
إن "غندوراً" على وجه الخصوص، وعبداً لمرآته
سيعتقد أن الآلهات مفتونات به.
لكن لاترهقي نفسك بما ينتابك من حماقاته مهما كانت،
ولا تصابي بالذهول إذا سمعت بمنافسة لك.

١
كانت أفروديت قد ابتلت نساء جزيرة ليمنوس برائحة كريهة لأنهن لم يقمن بتكريمها. وحين جلب رجال الجزيرة صبايا من طراقيا للمتعة، قامت النساء بقتل جميع الرجال على الجزيرة. وتبدو المقارنة بين الشاعر ورجال ليمنوس غير واضحة إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار أسلوبه الساخر حتى من نفسه، وكأنه يريد أن يوحي أن تعاليمه الغرامية سوف تنقلب وبالاً عليه.

أوفيد
الصفحة : ٣٠٦

أوفيد
الصفحة : ٣٠٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٧

وإياك أن تستهتري به: إن قضية بروكريس ستريكِ (١)
أية عواقب وخيمة يمكن أن تنبع من الاستهتار.
وعلى مقربة من جبل هيميتوس المكسو بالأزهار البهية (٢)
وهناك وسط بساط من الخضرة الطرية ينبثق ينبوع مقدس
تحيط به شجيرات منخفضة، والمرج مشكوك بالقطلب
والغار وإكليل الجبل والآس الداكن فتفوح الفسحة بالطيب
بينما تكثر شجيرات البقس كثيفة الأوراق والنفَل الرقيق
وأشجار الطرفاء الهشة والصنوبر اللطيف
هذه الثروة من الأوراق، وهذه المساحات العشبية
ترقص لأنسام زيفيروس الرقيقة المنعشة. (٣)
هنا، كثيراً ما استلقى كيفالوس متعباً، وهو مفعم
بالحب والسكينة، وقد ترك الخدم والكلاب وراءه.
وكان يردد: "تعالي، يا أورا الطرية، تعالي (٤)
واسكني في صدري، وبرِّدي حرارتي اللاهبة".
إنما بعض الفضوليين راح يهمس بما سمع

١

بروكريس: زوجة كيفالوس، قتلتها أورورا (ربة الفجر) انتقاماً من إهمال كيفالوس لها ورفضه حبها.

٢

جبل في أتيكا (اليونان) وهو يشكل في كتاب (التحولات) أرضية للعنف.
٣
زيفيروس: إله الريح الغربية.
٤
Mobilis arura: (أورا) الطرية أو اللينة، اختار الشاعر هذه الكلمة ليوحي بالالتباس وكأنه اسم فتاة، وهو اسم الدلال المختصر من (أورورا): ربة الفجر وغريمة بروكريس، كما أن الكلمة تعني الهواء.

أوفيد
الصفحة : ٣٠٧

أوفيد
الصفحة : ٣٠٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٨
كلمة كلمة في سمع بروكريس الخجول.
وعند كلمة (أورا) تخيلت اسم منافسة لها،
فأُغمي عليها وأصابتها الصدمة المفاجئة بالخرس.
وشحب لونها شحوب الأوراق الأخيرة في الكروم
وقد جُرِّدت من عناقيدها، وقَرَصها شتاء مبكر.
أو السفرجل اليانع وهو يتدلى من أغصان منحنية
أو القرانيا وهي مازالت أشد حموضة من أن يتحملها لسان.
وإذْ استردت وعيها، جرحت وجنتيها البريئتين
ومزقت القميص الشفاف الذي كان يكسو ثدييها،

ثم اندفعت في الدروب مسرعة وشعرها منفوش
مجنونة كأنما ركبتها عفريتة هائجة من أتباع باخوس.
وحين اقتربت من مكانه، أمرت خادماتها بالبقاء
في الوادي وانسلت إلى الفسحة بين الأشجار.
ما هي غايتك، وأنت تترصدين هناك كمن مسها شيطان،
أي جنون، يا بروكريس، يضطرم في قلبك؟
أتظنين أنها ستأتي حالاً، (أورا) المجهولة هذه
وأمام عينيك الشاخصتين سترين العار سافرا؟
مؤسف أنك أتيت الآن، لإلقاء القبض عليه
وهو سعيد الآن، وأنت تتقلبين بين الخوف والشك.
كل شيء يثبت الخيانة: المكان والاسم والشهود أيضا،
وإدانة الحب الذي يؤكد صحة مخاوفه.

أوفيد
الصفحة : ٣٠٨

أوفيد
الصفحة : ٣٠٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٣٩

ولدى رؤية آثار الأقدام على العشب المدعوس
تتسارع دقات القلب وتهز الصدر الخافق.
والآن وقد فاءت الظلال إلى أقصر مدى
وتساوى البعد بين الغروب والشروق
عندما سعى كيفالوس، سليل هيرميس، إلى الفسحة (١)
ولدى النبع رش جبينه الملتهب.
كانت بروكريس تجلس خائفة. وهو على الفراش المألوف
يستلقي ويقول: >تعال، يا زيفيروس، تعالي يا أورا الرقيقة.
آه، ياللغبطة! الخطأ في الاسم واضح،
وعاد الشعور واللون الأصلي إليها من جديد.
نهضت، واندفعت لتعانق زوجها
وبأوصال متلهفة شقت طريقها عبر الأغصان المعترضة.
هَبْ أنه أحس بطريدة، وبحدة الشباب
وثب واقفاً على قدميه، وسلاحه في يده.
ماذا تفعل؟ لاترمِ! لا طريدة هنا:
يا حسرة، سيدتك طعنت بحربتك.
وصرخت: >آه، يا ويلي! لقد طعنت قلباً محبا،
كيفالوس يجرحني دائماً في ذلك المكان.
وها أنذا أموت قبل الأوان، ولم يُمَسَّ شرفي بأذى:

١

هيرميس: رسول الآلهة عند الإغريق، وإله السفر والتجارة والاختراع والفصاحة والمكر والسرقة (وهو عطارد عند الرومان).

أوفيد

الصفحة : ٣٠٩

أوفيد

الصفحة : ٣١٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٠

ألا فلتكن ضمة الأرض أخفَّ ما تكون إكراماً لهذا.

وستطير روحي في ذلك الهواء المشبوه،

إني أغيب عن الوعي، فيا أيتها اليد الحميمة أغلقي أجفاني".

شد جسد حبيبته الهامد إلى صدره الحزين

وبلل بدموعه ذلك الجرح الرهيب.

ورويداً انحسرت روحُها المتهورة وغابت

وقد أطبق الحبيب شفتيه أخيرا على حبيبته المنحوسة.

لكن، لنعد إلى العمل ونختصر بوقف الاستطراد،

لعلنا نأتي بالمركب المرهق إلى الميناء.

أنت توَّاقة أن أمضي بك خارجاً إلى العشاء

فهناك أيضاً أنت متلهفة لتلقِّي نصائحي.

تعالي متأخرة ، وقفي عند الباب بجوار المصباح

أثيري قلق الواشي، واجعلينا نشتاق إليك أكثر.

ورغم بساطتك، ستبدين رائعة للعيون المخمورة،

فالليل بذاته سيخفي كل شائبة.

راعي آداب المائدة: كلي بأطراف أناملك،

ولا تلوثي شفتيك بيد مغموسة في الدهن.

خذي رشفة قبل أن تغادري، أو توقفي وأنت ما تزالين

راغبة في الطعام: لا تأكلي حتى تشبعي تماماً.

لو أن ابن بريام رأى هيلين وهي تلتهم الطعام بنهم،
لقال باشمئزاز: "لقد فزت بغنيمة أحمق".

أوفيد
الصفحة : ٣١٠

أوفيد
الصفحة : ٣١١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤١
الشراب يليق بالجميلة أكثر:
كيوبيد وباخوس يشكلان أليفين في أحلى انسجام.
شريطة أن تكون الرؤوس ثابتة، والقدم والإدراك
والعيون التي لا ترى الأشياء مزدوجة.
إن المرأة الثَّمِلة منظر شائن،
ستكون ألعوبة أي رجل، وهي تستحق ذلك.
مجازفة خطرة أن يأخذك النوم على المائدة أيضا:
وفي النوم يحدث كثير مما يجر الندم.

ما تبقى أخجل أن أقوله، لكن فينوس تبسمت:
"يا بني، إن ما تخجل منه يهمنا أكثر من سواه".
لتعرف كل واحدة نفسها: ليس هناك مبدأ وحيد
لسلوك الجميع: دعي الوضع يتكيف مع فيزياء الجسد.
استلقي ووجهك للأعلى، أنت يا مليحة الوجه،
أديري ظهرك، إن كان ظهرك أبهى جمالك.
ساقان رائعتا الشكل، ينبغي أن تسنديهما إلى الكتفين،
هكذا كان ميلانيون يلعب دوره مع أطلانطا.
والقصيرة يجب أن تركب الحصان الهزاز: (١)
عروس هكتور كانت أطول من أن تركب حصانها منفرجة الساقين.

١
حصان خشبي هزاز، غالباً ما يكون للهو الأطفال، والرمز واضح.

أوفيد
الصفحة : ٣١١

أوفيد
الصفحة : ٣١٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٢
والتي جمالها في طول خط الورك، ينبغي على السرير
أن تجثو على ركبتيها وتميل برأسها قليلاً إلى الوراء،
بينما الفخذان الغضان والنهدان المكتملان يتطلبان
أن تستلقي مائلة وعاشقك واقف.
ولا تظنني أن طريقة الميناذة لا تليق بك: (١)
ادفعي برأسك وراء عنقك وأرخي شعرك كالشلاّل.
وأنت، يا من خددت الولادة بطنها بالأثلام،
أديري حصانك في الاتجاه المعاكس، كما يفعل الفارسي الرشيق.(٢)
طرائق الحب كالعمليات العسكرية: الأسهل والأفضل
ما بين الجانب الصحيح والمؤخرة يمضي ليستريح. (٣)
لكن الحقائق عظيمة كما قال آمون الأقرن. (٤)
أو فيبوس بركائزه الثلاث، دعي ربة شعري تكشف ذلك. (٥)
وعلى أي حال، ثقي بالفن الذي مارسته طويلا:
إن ثقتك لا بد أن تجد ضمانتها في شعري.

١
الميناذة: من أتباع باخوس، وكن مشهورات بالقصف والعربدة والاستهتار.
٢
الفارسي: المحارب الفارسي الذي يلجأ للكر والفر، وكان الرومان يعيبون على الفرس ذلك لأن من العار أن يدير الفارس ظهره لعدوه، وإن كان للمناورة.
٣
لعل المقصود بالاستراحة الموت، واقتران الحب بالولادة والموت مطروح في الآداب العالمية بكثرة.
٤
إله مصري يماثل زيوس (جوبيتر) ومهبط وحيه في واحة (سِوا) في ليبيا شبيه بدلفي ودودونا.
٥
فيبوس (أبوللو): في دلفي باليونان.

أوفيد
الصفحة : ٣١٢

أوفيد
الصفحة : ٣١٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٣
بالعاطفة المرهقة، ارتعشي لذة حتى الأعماق يا امرأة،
لعلكما كليكما تجدان، على حد سواء، متعة بالغة في الوصال.
ولتكن عباراتك الحميمة والغمغمات الرقيقة مسموعة
بين مداعبتك وعديد من الكلمات اللاذعة المثيرة.
وأنت أيضاً، يا من طبيعتها لاتشعر بأي متع جنسية،
تظاهري بالنشوة وضِجِّي بالثرثرة المخادعة.
يالها من بائسة مسكينة، تلك التي عضوها بارد بلا حس،
وكان ينبغي للرجل والمرأة أن يبلغا رعشة اللذة معاً!
واحذري بشدة ألاَّ تفضحي نفسك أمامه:
وبالنظرات والحركات قومي بمسرحية مقنعة
وعبري عن سعادتك بالصوت والنفس اللاهث
وخلجات سرية من أعضاء أحمرُّ خجلاً أن أسميها.
ولا تلحي بمطالبة عاشقك الذي استمتعت معه قبل قليل،
لأن توسلاتك ستكون عقيمة، وعليك أن تتوقعي ذلك.
ولا تدعي النوافذ تضيء الغرفة كلها،
فالأحسن أن تتركي الشطر الأكبر من جسدك في العتمة.

اللعبة انتهت. آن الوقت لهبوطكن،
يا طيور التم التي التوت أعناقها تحت نير مركبتي.
وكما كان إخوتكن ذات يوم، أنتن الآن يا تلميذاتي الجميلات،
دعن غنائمكن تعلن: "نحن تلاميذ أوفيد".

أوفيد
الصفحة : ٣١٣

أوفيد
الصفحة : ٣١٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٥

مداواة الحب

أوفيد

الصفحة : ٣١٤

أوفيد

الصفحة : ٣١٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٧

يوم قرأ كيوبيد عنوان كتابي هذا،
صاح: "إنه إعلان حرب عليَّ، أرى أنها الحرب".
أرجوك، يا كيوبيد، لا تعتبرني مذنباً وأنا شاعرك
الذي وقف طويلاً إلى جانبك حاملاً رايتك.
أنا لست مثل ديوميدي الذي طعن أمك (١)
(وحملتها جياد مارس عائدة بها صعداً إلى السماء)
ربما اعترت الآخرين برودة، لكني ملتاع في الحب إلى الأبد
وإذا سألت عن أمري، فأنا لا أزال متيما.
وفوق ذلك، فقد علَّمت فنه ومهارته لأنال رضاك،
فالعلم اليوم يحكم في المكان الذي شغله الدافع الغريزي قديماً.
أيها الغلام المحبوب، أنا لم أخنك ولم أخن موهبتي،
وما من ربة شعر جديدة تنقض العمل الذي أنجزته من قبل. (٢)

أتمنى حظاً سعيداً لكل عاشق مولع بالحب،
دعه يستمتع ويبحر بشراعه أمام الريح.
ولكن إذا أنشبت فاجرة أظفارها فيه،
فلا بد أن يجد العون والسلامة في فني.
لماذا ينبغي لعاشق أن يعقد أنشوطة ويتدلى
مشدوداً إلى عارضة مرتفعة، ياله من ثقل فاجع؟

١
ديوميدي: بطل إغريقي في حرب طروادة، وكانت فينوس (أفروديت) تدافع عن الطرواديين.
٢
الإشارة إلى بينيلوبي التي كانت تنقض في الليل ما نسجته في النهار، تهرباً من إلحاح الخاطبين وانتظاراً لزوجها أوليس.

أوفيد
الصفحة : ٣١٥

أوفيد
الصفحة : ٣١٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٨

لماذا يغمد نصل السيف في صدره؟ يا عاشق السلام،
هذا الدم المسفوح دمك، ولن تجني منه إلا الكراهية.
إن من سيموت وَجْدَاً ما لم يضع له حدا،
دعه ينتهي منه، وعندئذ لن تكون سبباً في هلاك أحد.
أنت صبي، ولست أهلاً لغير اللهو،
إن عهداً حنوناً هو أفضل ما يناسب سنك، فتابع لهوك.
في مقدورك أن تشن حروبك بسهام مجردة،
ولكن إياك أن تريق بأسلحتك دماً يؤدي إلى الهلاك.
إن زوج أمك يمكن أن يقاتل بالرمح والسيف العريض، (١)
إنما النصر في المجزرة معجون بالدم.
وأنت، استعمل فنون أمك: فهي تُستَعمل بلا أذى:
ومن خلالها لن تجد والدةٌ نفسَها ثكلى.
دع الأبواب تنفتح مخلوعة بأيدي المتعاركين ليلا
واترك كثيراً من باقات الورد على الدرج.
هيئ للشبان والصبايا الخجولات أن يلتقوا سراً،
واخدع بالخطاف أو الصنارة زوجاً مولعاً بالمراقبة.
ولْيقمِ العشاق بتملق باب عنيد أو شتمه
وليترنموا بأغنية حزينة في الشارع.
الدموع ستكفي، ولا موت يستدعي لومك عليه،
ولا ينبغي أن تعد شعلتك لمحرقة شرهة.

١
مارس، إله الحرب، هو زوج أم كيوبيد.

أوفيد

الصفحة : ٣١٦

أوفيد

الصفحة : ٣١٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٤٩

آنئذٍ رفرف الحب بجناحيه الذهبيين المرصَّعين بالجواهر

وأجاب قائلا: "أكمل العمل الذي يحبه قلبك".

أيها الرفقاء الذين خُدِعوا، إليكم وصاياي،

وأنتِ، يا من حبيبك خانكِ كليَّةً؛

تعلموا كيف تعالجون الحب من الذي علمكم إياه،

فاليد التي أصابتكم بالجرح ستقوم الآن بالإسعاف.

التربة ذاتها تُغذِّي الأعشاب الشافية والضارة،

والقُرَّاص غالباً ما يكون في جوار الورد.

وحربة أخيل التي طعنت تيليفوس ذات يوم (١)

بادرت بإسعاف الجرح ومداواة آلامه.

(ما أقوله للرجال فليؤخذ للنساء كذلك

كما هو مُعَدٌّ، فنحن نقذف الأسلحة في أي من الجانبين.

وإذا كان هذا الجزء أو ذاك لا يعنيك،

فلعلَّ الدروس الجيدة تُطبَّق عملياً برغم ذلك).

إنها خطة حصيفة لإخماد النار. إياك أن تلجئ

قلباً إلى أسقامه لتستبعده.

لو أن فيلليس جددت السير، وأنا معلمها، (٢)

١

كان صوت الوحي قد أخبر تيليفوس أن جرحه لا يبرأ إلا بما سببه، لذلك قام أخيل بعلاجه مستعملاً صدأ الحربة التي طعنه بها.

٢

فيلليس التي أحبها ديموفون وتخلى عنها.

أوفيد

الصفحة : ٣١٧

أوفيد

الصفحة : ٣١٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٠

في الدرب الذي قطعته تسع مرات ـــــ لأنقذت حياتها الفتية.

ولا راقبت ديدو من أعلى البرج (١)

سفن الطرواديين تنطلق في البحر، وهي تموت.

ولا قامت أم بالانتقام من زوجها

فجعلت قلبها من فولاذ لتذبح أولادها. (٢)

ولو أن تيريوس استخدم فني مع فيلوميلا (٣)

لـــمَّا أمتعته ـــــ فلا جريمة ولا تحول إلى طير جزاء فعلته.

قدم لي فاسيفاي، وستقلع عن شغفها بالثور،
أو فيدرا، وسيزول شبق فيدرا نهائياً.
أو باريس، وسيحتفظ مينيلاوس بهيلين،
ولن ينتصر الإغريق، وستبقى طروادة صامدة.
ولو أن سكيللا الخائنة استطاعت أن تقرأ رسالتي، (٤)
لكان رأس الملك نيسوس قد احتفظ بخصلته الأرجوانية.
ما دمتم تحت عهدتي، يا رجال، فاكبحوا همومكم القاتلة،
وتحت مسؤوليتي، لتمضِ السفينة قدماً بالبحارة. (٥)

١
ديدو: ملكة قرطاجة، انتحرت لأن أنياس تخلى عنها.
٢
الأم: ميديا التي قتلت أبناءها انتقاماً من زوجها جاسون.
٣
تيريوس: ملك طراقيا الذي اغتصب شقيقة زوجته وقطع لسانها مخافة أن تفضحه، فانتقمت زوجته بروكني (لشقيقتها فيلوميلا) وذلك بقتل ابنهما وإطعام لحمه لأبيه.
٤
سكيللا: خانت أباها (ملك ميغارا) فقصت الخصلة السحرية من شعره وسلمتها إلى عشيقها ماينوس الذي يحاصر المدينة.
٥
إشارة إلى أوليس والساحرات خلال رحلة التيه والشاعر يدعو قراءه للثقة به.

أوفيد
الصفحة : ٣١٨

أوفيد

الصفحة : ٣١٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥١

يوم تعلمتم الحب، كان عليكم أن تقرأوا أوفيد،
وعليكم اليوم أن تقرأوا أوفيد كذلك.
نعم، أنا المحرر، سأعتق القلوب
من الرق: أعلنوا الآن مباركاتكم فأنتم محررون.
وكما أبدأ، فأنا ألتمس الحظوة من مجدك
يا فيبوس، أول ينبوع في العلاج والغناء.
ساند الشاعر والحكيم معا
فهما كلاهما ينتميان إلى رعايتك.

إذا سمح الوقت، ومشاعرك لم تدرك قوتها بعد،
فتوقف من البداية، إذا شعرت بأقل ضيق.
اختبر حصانك فوراً، ودمِّر
بذور العلة المشؤومة وهي في مهدها.
الوقت يخلق القوة، والوقت يجعل عناقيد الحصرم تنضج،
وينشئ غلة القمح الصلب من السنبلة الدقيقة.
كانت الشتلة أوَّلاً صغيرة جداً عندما غرست
وصارت شجرة كبيرة تمنح الظل للمشردين.
كانت اليد عندئذ قادرة على اقتلاعها من التربة
والآن تنتصب ضخمة مزهوَّةً بكامل قوَّتها.
ألقِ نظرة صارمة على ما أنت واقع في غرامه،
وحرر عنقك من النير قبل أن يتقرح.

أوفيد

الصفحة : ٣١٩

أوفيد

الصفحة : ٣٢٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٢

تبدأ العلة خدشاً أول الأمر، لكن الإهمال

يكسبها قوة، وتستدعي الطبيب بعد فوات الأوان.

لذلك أسرع! ولا تؤجلها حتى الغد.

فإن لم تكن مستعداً اليوم، فستكون غداً أقل استعداداً.

كل عشق خداع وهو يسمن بالتأجيل

الحرية غداً! سترجئ ذلك من جديد!

تبدأ الأنهار صغيرة، من ينابيع جبارة

لكن معظمها يتضاعف بفضل الروافد.

ولو أدركت ميرا الجريمة التي كانت تنوي اقترافها (١)

لما كانت مضطرة أن تدبغ وجهها لتحتجب.

لقد رأيت جرحاً تماثل للشفاء بالعناية

انتظر، ولا بد للتأخير الطويل أن يفسده

لكن بما أن قطاف ثمار فينوس ممتع،
فإننا نقول مزاحاً: غداً أفضل من اليوم.
وفي أثناء ذلك تدفع شجرة الأذى جذورها عميقة
ويشق اللهب في قلوبنا وعقولنا طريقه اللولبية.
ولكن إذا أضعنا الوقت ولم نقم بالعلاج المبكر،
وتربع الحب طويلاً في القلب المتيَّم،

١

Myrrh وباللاتينية Myrrha مأخوذة من كلمة (مُر) العربية، وهي في هذه الأسطورة ميرا (بتشديد الراء): ابنة كينيراس وأم أدونيس، وقد أغوت أباها فحبسها في جذع شجرة المر التي تستقطر عطراً يحمل الاسم ذاته، ويشير إلى دموع العار.

أوفيد

الصفحة : ٣٢٠

أوفيد

الصفحة : ٣٢١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٣

فإن مهمة عظمى تبقى في الانتظار: وأنا لن أتخلى
عن المريض، مع أنه استدعاني متأخراً.
والقدم المتعفنة التي عذبت فيلوكتيتيس (١)
كان ينبغي بترها منذ عهد بعيد.
ويقال إنه شفي، وبعد سنوات
أسهم في حرب طروادة العظيمة بالضربة الحاسمة.
وأنا الذي بادرت على عجل إلى إيقاف الأعراض الأولى،
والآن أقوم بإسعاف بطيء في مرحلة متأخرة.
إما أن يحاول المرء إخماد النار بالماء في أول نشوبها
أو ينتظر حتى تخبو ويخمد اتقادها.
أفسح المجال لنوبة السعار، حين تكون في أقصى تدفقها.
إنه لأمر شاق أن تواجه الاندفاع.
الرجل المغفل هو الذي يسبح ضد التيار،
وحين يعبر في خط مائل يمكنه بلوغ الضفة.
العقل الذي لا يتأثر ولا يمكن التعامل معه بصراحة،
سوف يكره النصيحة ويرفض الخبرة.
الأفضل أن أقترب منه حين يسمح لي بعلاج
جروحه ومعاملة الصدق بما يقتضي من الاحترام.

١

فيلوكتيتيس: من رماة السهام المشهورين بين الإغريق، وكان قد ورث قوس هرقل وسهامه. وفي الطريق إلى طروادة لدغته أفعى فتركوه على جزيرة ليمنوس عملاً بنصيحة أوليس لأن جرحه تعفن. ثم جاؤوا به إلى طروادة لأن كالخاس تنبأ أن المدينة لا تسقط إلا بحضوره، وقد عالجه الجراح ماخاون.

أوفيد
الصفحة : ٣٢١

أوفيد
الصفحة : ٣٢٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٤
أي امرئ متمتع بقواه العقلية يمنع أمًّا
أن تبكي على قبر ابنها؟ فذلك المكان
ليس الأنسب للنصيحة. وحين تنتهي الدموع
وتأخذ الحسرة مداها، يمكن للكلمات أن تهدئ الروح المفجوعة.
فن الطبيب مرهون بالتوقيت إلى حد كبير:
في التوقيت الصحيح تساعد الخمرة، وفي التوقيت الخاطئ
تزداد العلة سوءاً. والإنكار قد يثيرها فعلا،
إذا لم تقدِّر كيف تقاربها بصورة مناسبة.
لذا، حين ترى أنك جاهز لمعالجتي
اعمل بنصيحتي: تجنب فراغ الوقت من البداية
الفراغ يولد العشق، وهو يحرس العشق الذي أنشأه
والفراغ هو الذي يغذي السم المعسول في قلبك.
أبعد عنك الفراغ ــــــ قوس كيوبيد مكسورة،
شعلته منبوذة ولا تلقي أي ضوء حولها.

أشجار الدلب تحب الخمر والحور يحب الماء الجاري (١)
وهو يندفع من الأرض المستنقعية بجانب البحيرة.
وفينوس تحب الفراغ. واصل العمل حتى تقضي على الحب،

١
كثيراً ما تجري حفلات الشرب تحت أشجار الدلب، لذلك انتشر الاعتقاد بأن هذه الشجرة تحب الخمر كما يحب الحور الماء.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٢

أوفيد
الصفحة : ٣٢٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٥
فالحب يخضع للعمل: وأنت مشغول ـــــ آمن وسليم.
الكسل والنوم لا يمكن تحديهما إلى أبعد مدى
والنرد والشراب والخمار كلها تقتل
طبيعة الإنسان بكاملها (وإن لم تسبب أي جرح)؛
فالحب الماكر ينسل إلى القلوب المتهورة.
الكسل هو طريدة ذلك الغلام، وهو يكره الناس المشغولين،
وهكذا أعطِ البال الخالي عملاً ينشغل به.
هناك قاعات المحاكم، وأصدقاء ينبغي الدفاع عنهم،
المعارك المدنية تجلب لكم الشهرة
أو في وسعكم أن تتولوا مهام الرجال الشجعان

في خدمة مارس الدموي: آنئذ تقول ألاعيب الحب وداعاً.
الفرس الهاربون الآن، ياله من نصر جديد عظيم،
وقيصر يتأمل جنده على سهوبه ذاتها.
تغلب على القوسين كلتيهما، قوس الفارسي وقوس كيوبيد،
وارجع إلى بلاد آلهتك حاملاً الميداليتين.
وحالما جرح ديوميدي فينوس (١)
سمحت لحبيبها أن يقاتل من أجلها.
وأنت تتساءل ما الذي دفع أغيستوس إلى الزنا، (٢)

١
عندما جرح ديوميدي أفروديت (فينوس) وهي تقاتل في صفوف الطرواديين، بادر (مارس) لنجدتها وطار بها إلى السماء.
٢
أغيستوس: ابن ثيستيس من خلال علاقة آثمة مع ابنته. وقد قتل عمه (أتريوس) لأنه أساء معاملة أبيه.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٣

أوفيد
الصفحة : ٣٢٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٦

الجواب جاهز: كان عاطلاً عن العمل.
كان الآخرون يقاتلون في معارك طروادة الطويلة المتباطئة،
وقد أرسل الإغريق جندهم جميعاً.
لو كانت الحرب في باله ـــــ لا الحرب في أرغوس. (١)
أو لو كان مشغولا بالمحاكم ـــــ ولا شيء من ذلك.
وكل ما في وسعه أن يمارس الحب، وقد فعل: أفضل من لا شيء.
هكذا يأتي وهكذا يبقى طفل الحب الصغير. (٢)
هناك بهجة في الحياة الريفية والزراعة كذلك،
وما من هَمٍّ لا يخضع لاهتمامات الأرض.
مُرِ الثيران تحنِ أعناقها تحت الثقل المرهق
لتجرح التربة القاسية بالسكك المقوسة.
وعندما تقلب أرضك المحروثة، انثر بذار القمح
من أجل غلة وافرة ومنفعة من حقولك.
انظر إلى ثقل التفاح كيف يحني الأغصان،
فالشجرة لا تقوى على حمل الفاكهة التي تنتجها إلا بصعوبة.
وانظر إلى الأغنام ترعى في المروج الرافلة بالخضرة،
وانظر إلى الجداول تثرثر مرحة في جريانها

١

أرغوس: مدينة في بيلوبونيس وهي شبه جزيرة تشكل الجزء الجنوبي من أرض اليونان الرئيسية.

٢

الحب هنا: إله الحب.

أوفيد

الصفحة : ٣٢٤

أوفيد

الصفحة : ٣٢٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٧

وتأمَّلِ العِناز وهي تندفع نحو سفوح التلال؛ (١)
إنها ستعود إلى صغارها بضروع طافحة.
والراعي يعزف أغنية على مزماره الإلهي (٢)
والكلاب اليقظة حريصة على صحبته،
وهناك تضج الغابات بالخوار ـــــ
البقرة في حالة بائسة، وقد شرد عجلها عنها.
فكر في الأسراب التي تطير نافرة من الدخان
لتأخذ أقراص الشهد وتنظف أماليد الخلايا. (٣)
الخريف يمنح الفاكهة والصيف بهيج بالحصاد،
والنار تُبهج الشتاء، والربيع يزدهر بالبراعم.
الفلاح يقطف أعنابه في الوقت المناسب
وسوف يسيل العصير تحت قدميه الحافيتين.
وهو يجز الحشائش في الوقت المناسب ويحزمها،
ثم يعمد إلى تجميعها بالشوكة ذات الأسنان الفلجاء.
وأنت يمكنك أن تغرس الشتلات في بستانك المروي،
وأنت قادر أن توجه السواقي المتموجة.
وهناك التطعيم الآن: غصن يتبنى آخر،
دع الشجرة تنتصب وارفة بخضرة ليست من أمها.

١
العِناز: جمع عنز وهي أنثى الماعز.
٢
المزمار الإلهي: (مزمار بان) في الأصل، والبان: إله المراعي والغابات.
٣
الأماليد: جمع أملود وهو الغصن الطري الناعم، ومن الأماليد تُصنع (خلية) النحل.

أوفيد

الصفحة : ٣٢٥

أوفيد

الصفحة : ٣٢٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٨

وإذ يجد البال راحته في مباهج كهذه ذات يوم،
يقف الحب عاجزاً ثم يطير هارباً بأجنحة واهنة.
أو خذ الصيد مثلاً. كم مرَّةٍ كانت فينوس
تتسل خلسة في عارها وأخت فيبوس تفوز. (١)

وانشر شباكك آناً عبر السفح المعشوشب،
وأطلق الكلاب تارة وراء الأرانب الوثّابة.
أو أفزعِ الظبي الخجول بأوتار من الريش (٢)
أو اصرع الخنزير الوحشي برأس حربتك الحاد.
ستكون منهكاً وتنام وما من فتاة لإزعاجك،
وسيجدد النوم الوافر العميق بناء جسدك.
إن صيد الطيور بشبكة أو دبق عمل واقعي،
لكنه طِرادٌ أقل إرهاقا، وهو غنيمة متواضعة.
أو جهز طُعما صغيراً لإخفاء صنارة سمك
تندفع إليه الأسماك الشرهة بهجوم باهظ الثمن.
بهذه الطريقة أو تلك، وحتى تنسى رغبتك الملتهبة،
بدأت ترخي غشاوة من الصوف على عينيك.

هناك السفر كذلك. ورغم أنك علقت سريعاً في العبودية،
ابدأ برحلة طويلة وسافر حالاً.

١
أخت فيبوس (فيبي) هي ديانا (أرتيميس): ربة الصيد.

٢
تفزعه ليقع في الشبكة.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٦

أوفيد

الصفحة : ٣٢٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٥٩

ستبكي، واسم صديق حبيبتك سيشغلك كثيرا

وفي الطريق سوف تتباطأ وتتأخر.

وبقدر ما تقل رغبتك في الذهاب، واصل السفر أكثر

أجبر هاتين القدمين على الفرار وإن كانتا كارهتين.

لا تبتهل من أجل المطر ولا تسمح لسبت أجنبي

أن يعترض طريقك ولا لكارثة إِلليَّا (١)

لا تسل كم ميلاً قطعت ولا كم تبقى،

ولا تتظاهر بالتأخر لتبقى على مقربة منها.

لا تعد الساعات ولا تتلفت إلى أفق وراءه روما.

حسبك أن تنجو: الفرس يفرون من أعدائهم سالمين.

لعل الناس يرون أن وصاياي قاسية. هذا صحيح،

إنها قاسية: لكي تتعافى لابد أن تعاني ألماً شديداً.

كثيراً ما كان عليَّ أن أتناول أدوية مرة،

وأنا مريض، وأن أُحرَم من وجبة شهية.

لتعالج جسمك، سوف تعاني من النار والفولاذ

ولا تشرب ماء لتسكين عطشك.

ولكي تداوي عقلك، أي شيء لا تقوى على احتماله؟

لكن قيمة العقل هي التي تجيء أولاً في ذلك الحين.

١
كارثة إلليا: المعركة التي انهزم فيها الرومان أمام الغاليين على نهر إلليا في لاتيوم (وسط إيطاليا)، وهو من روافد نهر التيبر.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٧

أوفيد
الصفحة : ٣٢٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٠
إن طريقتي في العلاج ستكون أشد إيلاما في البداية،
وحاجتك القصوى أن تجتاز المرحلة الأولى.
أنت ترى كيف تتقرح بالنير أعناق العجول في بداية ترويضها،
وكيف يصعب على المهر الأصيل أن يتحمل حزام السرج الجديد.
لا بد أن تحس بالأسى وأنت تغادر مدفأتك وبيتك،
لكنك ستسافر، وبعدئذ سترغب في العودة.
ليس الدفء ولا البيت هو الذي يدعوك لكنه الحب،
وأنت تدري أن الإثم يتنكر بكلمات مفحمة.
حين تسافر مرة، فإنك ستجد مئة سلوى:
الرحلة الطويلة والرفقاء ومناظر الطبيعة.
لا تعتمد على بعد المسافة، بل ابق بعيدا

حتى تفقد النار حدتها واللهب يخبو تماماً.
لأنك إن استعجلت بالرجوع ولم تعزز إرادتك
فالحب سيجدد القتال، ولهبه الشديد سيندلع
لأن غيابك لا بد أن يسبب لك طوال الوقت
أذى بالغاً ـــــ وستعود جائعا وعطشان.
إذا ظن رجل ما أن السحر قادر على مساعدته،
وكذلك أعشاب ثيسالي، فذلك اختياره وحده. (١)
تلك هي الطريقة القديمة في فن السحر؛ إن أبوللو

١
ثيسالي: مقاطعة في شمال شرق اليونان.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٨

أوفيد
الصفحة : ٣٢٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦١

يمنح عوناً خالصاً من الأذى في إيقاعات مقدسة.
وإذا اعتبرتموني مرشداً فأنا لا أستدعي أية أرواح،
ولا من تعاويذ خبيثة تشق بها الساحرة الأرض.
لا فيالق سوف تعبر من ميدان إلى آخر،
ولا من شحوب مفاجئ سيغشى قرص الشمس المتوهج.
وسيتدفق التيبر كالمعتاد في مجراه نحو البحر،
وكالمعتاد سيتسلق القمر قبة السماء ليلاً.
لا رقية ستخفف من وجع القلب وهي بلا جدوى،
ولا غازات الكبريت اللاذعة ستدفع الحب للفرار.
ما الفائدة التي جنيتها من أعشاب فاسيس، يا ميديا (١)
عندما رغبت أن تقيمي في بيت أبيك؟
وأنت يا كيركي، ماذا نفعتك النباتات السحرية، (٢)
عندما حملت الريح مركب أوليس بعيدا؟
لقد بذلت جهدك لتحولي دون رحيل ضيفك:
لكنه نشر أشرعته وأزمع السفر.
وبذلت ما في وسعك لتتلقي ذلك اللهب الرهيب:
وأقام الحب طويلاً في قلبك النافر
كنت تتمتعين بقوة تغيير الرجال إلى ألف شكل،

١
فاسيس: نهر في مسقط رأس ميديا، والشاعر يشير إلى هجران زوجها (جاسون) لها بعد مغامرته للحصول على الجزة الذهبية.
٢
كيركي: الساحرة التي أحبت أوليس، وهو في رحلة التية عائداً إلى بلاده بعد حرب طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٣٢٩

أوفيد

الصفحة : ٣٣٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٢

لكن ما من قوة لتغيير قوانين قلبك ذاتها.

حين كان حبيبك أوليس على وشك أن يتركك،

يقال إنك جعلته يتوقف بهذه الكلمات العذبة:

>أنا لا أتوسل الآن من أجل ما كنت أتمناه من قبل،

إني أتذكر جيداً، وكان ينبغي لك أن تتزوجني ـــــ

لكنني إلهة، فأنا ابنة إله الشمس العظيم،

لذلك تصورت أني جديرة بأن أكون زوجتك

أرجوك، لا تستعجل هكذا. إني أسأل معروفا،

قليلاً من الوقت، هل هناك ما هو أقل لتوسلي؟

أنت ترى الأمواج عاتية، ولديك سبب لتخشاها،

والريح ستخدمك أكثر حين تكون مواتية.

ما الذي يدعوك للفرار؟ لا طروادة جديدة تنهض هنا،

وما من أحد يدعو الأحلاف إلى السلاح من جديد.

الحب والسلام هنا، حيث لا أحد مجروحا غيري،

وعلى هذه البلاد جميعها سوف تحكم.

وكان أوليس يرفع المرساة حتى وهي تتكلم،

وحملت الرياح أشرعته ـــــ وكلماتها ـــــ بعيداً.

ولجأت كيركي إلى سحرها، وهي ملتهبة

لكن ذلك لم يجعل الغرام أضعف من ذي قبل.

لذلك، لا تثقوا بالرقى وفن السحر، يا من

تتطلعون جميعاً إلى فني لإسعافكم في العشق.

أوفيد

الصفحة : ٣٣٠

أوفيد

الصفحة : ٣٣١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٢

وإذا بقيت لسبب قاهر في مدينة روما،
وهي سيدة العالم العظمى، فتعلم معارف مدينتي.

إنه البطل الأمثل من يحطم الأغلال
تلك التي قرحت القلب، ويضع حداً لمعاناته.
ورغم أن شجاعة من ذلك النوع تثير إعجابي،
ففي ظني أنه ليس بحاجة إلى نصيحتي أبداً.
إنما أنت يا من تجد صعوبة في التخلي عن العشق،
وأنت ترغب في ذلك ولا تقدر، عليك أن تلجأ إليَّ.

فكر دائما فيما كانت تفعله صاحبتك الماكرة،
وضع أمام عينيك كل خسران مُنيت به.
<فعلت كذا وكيت ومازالت ترغب في مزيد من النهب
وكان عليَّ أن أبيع بيتي، وصارت الحالة لا تطاق.
كانت تحلف لي ولم تكن يمينها إلا لخداعي،
وكثيراً ما تركتني مطروحاً خارج بابها!
هي مشغوفة بالآخرين، وتجد ولعي بها إهانة
وتعطي لياليها لبائع ولا أنال منها شيئا>.
دع هذه الأشياء كلها تنغص كيانك بأسره،
وفكر فيها ملياً، وابحث هنا عن بذور الكراهية.
أريدك أن تكون بليغاً في التعبير عن ذلك،
يكفي أن تعاني ـــــــ وستكون طليق اللسان، فلا تخف.

أوفيد
الصفحة : ٣٣١

أوفيد
الصفحة : ٣٣٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٤

منذ عهد بعيد علقت بصنارة فتاة،

لم تكن مناسبة، وذوقانا لم يكونا متماثلين:

ومثل بودا ليريوس صارت أدويتي لعلاجي، (١)

ياللطبيب المريض! وأنا أعترف بعاري.

ذلك حفزني للعزف على عيوب صديق فتاتي،

وغالبا ما جعلني أفضل، كما تعلمت.

ولقد اعتدت أن أقول: "ما أبشع ساقيها"!

ولأقل الصدق فهما ليسا كذلك في الواقع.

وأقول له: "إن ذراعيها ليستا جميلتين أبداً.

ومع ذلك، فهما جميلتان، ولأقل الصدق.

"وكم هي قصيرة؟! وكثيرة المطالب!" ولم تكن كذلك.

ومن أجل تلك المطالب كرهتها في المقام الأول.

الشر يجاور الخير أيضاً، وهكذا الفضيلة

غالباً ما تلام بدلاً من الرذيلة، حين يساء استعمالها.

انتقد محاسن فتاتك، إلى أبعد ما تستطيع

وليقع حكمك دائماً على الجانب الخطأ.

هي ممتلئة الجسم، قل إنها بدينة؛ وهي سمراء، قل زنجية؛

وإن كانت هيفاء، قل إنها هزيلة عجفاء.

ويمكنك أن تدعوها وقحة، إذا لم تكن ساذجة،

وإذا كانت حسنة السلوك، فأنت تعني ساذجة.

١

بودا ليريوس: طبيب وجراح إغريقي اشترك في حرب طروادة.

أوفيد

الصفحة : ٣٣٢

أوفيد

الصفحة : ٣٣٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٥

ثم إذا كانت تفتقر الفتاة إلى أي موهبة

فتابع توددك لها حتى تستعرض مفاتنها.

فإذا لم يكن صوتها مقبولاً، ألحَّ عليها لتغني.

واجعلها ترقص، إن كانت عاجزة عن تحريك ذراعيها.

إن كان نطقها رديئاً، دعها تواصل المحادثة،

وإن لم تتعلم العزف، فاطلب لها القيثارة.

وإن تخلعت، فاجعلها تسير. وصدرها منتفخ

ثديان؟ انظر إن كانت تلبس صدرية لرفعهما.

هل أسنانها غير منضدة؟ قل ما يدفعها للضحك.

واجعلها تبكي، إن كانت عيناها كليلتين.

وهذا ما سيدفعها للقيام بزيارة مفاجئة

باكراً، قبل أن تلبس أي قناع.

اللباس يقصينا عن أقدامنا: كل شيء مخبوء

بالذهب والجواهر، والفتاة ذاتها هي أصغر شيء فيها.

وبين هذه الأشياء الكثيرة تتساءل ماذا تحب،

إن درع الحب هذه تخدع العينين والقلب

تعال بلا موعد: أنت آمن، وهي أسيرة بلا دفاع

الفتاة المسكينة تسقط ضحية عيوبها.

(لكن ليس مأموناً أن تبالغ بثقتك بهذه الوصية،

لأن الجمال الطبيعي يفتن كثيراً من الرجال).
لذا بادر لترى وجهها (ولا تحمل أية وساوس)

أوفيد
الصفحة : ٣٣٣

أوفيد
الصفحة : ٣٣٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٦
حين ترى وجنتيها مضرجتين بالمساحيق.
ستجد ألفاً من الألوان والقدور والصناديق،
والمراهم تقطر منحدرة على نهديها الدافئين،
والشحوم التي قلبت معدتي أكثر من مرة
تنشر رائحة فاسدة كنفايات فينيوس الكريهة. (١)
والآن سنعطيك وصفتنا الطبية للممارسة:
يجب أن تنبذ كل عاطفة لاهبة.
وفي هذا كثير مما أخجل أن أذكره،

عليك أن تتخيل أكثر مما تقوله كلماتي.
لأن الناس هاجموا قصائدي منذ وقت قريب،
وصبوا لومهم على ربة شعري وعدُّوها فاسقة خليعة
وما دمت أمنح البهجة وشهرتي على مدى العالم،
فلن أتشاجر مع هذا أو ذاك ممن يسيئون إليَّ.
الحسد يضيق بعبقرية هوميروس.
ومن هوميروس تنبثق شهرة زويلوس (من هو؟) (٢)
الألسنة المدنسة مزقت الشاعر الذي
يخرج بآلهة طروادة من الدمار ويقودها إلى روما.
الحسد يضرب الأعالي: والرياح العاصفة تكتسح الذرى،

١
فينيوس: عراف إغريقي، جرى تعذيبه بواسطة (الهاربيا) وهي طيور خرافية لها وجوه نسائية كانت تلوث طعامه وتترك وراءها أكواماً مخيفة من النفايات المنتنة.
٢
زويلوس: خطيب بلاغي من القرن الرابع قبل الميلاد، كان معروفاً بـــ (سوط هوميروس).

أوفيد
الصفحة : ٣٣٤

أوفيد
الصفحة : ٣٣٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٧

وتطير صاعقة جوف الرهيبة لتضرب القمم.

لكن أي امرئ تسوؤه حريتي ــــــ

ألا فلتحكم على الموضوع بإيقاعه، إن كنت حكيماً.

البحر السداسي أنسب للحروب والمعارك، (١)

فأي مكان يمكن أن نرى من أجل مباهج العشق هناك؟

أسلوب التراجيديا جليل، والحماسة تناسب حذاءها العالي،

والحياة اليومية قوام الكوميديا. (٢)

الأعداء يستلون الإيقاع الحاد من أجل القتال، (٣)

إما بالتفعيلة الرشيقة وحدها أو مع التفعيلة الأخيرة العرجاء.

دع المرثاة الرائعة تترنم بأتباع كيوبيد المرتعدين

وتلتزم بقواعدها المرحة إكراماً لمتعتها.

إن شعر كاليماخوس لا يمكن أن يليق بأخيل، (٤)

وكيديبي ليست من أجل أنشودة هوميروس.

١

البحر السداسي: الوزن الشعري المؤلف من ست تفعيلات في كل بيت.

٢

التراجيديا: المأساة، والكوميديا: الملهاة، وقد آثرت الاسم الأصلي.

٣

Iambus في اللاتينية (في الإنكليزية Iambic) هو الإيقاع الشعري المؤلف من عدد معين من التفعيلات. نقله (المورد) حرفياً وأطلق عليه اسم (العمبق)، لكني آثرت كلمة (الإيقاع) لأنها مرتبطة بالشعر والموسيقا معا. والمقصود بالتفعيلة العرجاء المؤلفة من مقطعين طويلين.

٤

كاليماخوس: من شعراء المرثاة، بينما الشعر الملحمي هو الذي يليق بأخيل ــــــ كما فعل هوميروس. وفي مستهل الكتاب الأول من (قصائد حب) تناول الشاعر المزايا الفنية لكل من المرثاة والمأساة.

أوفيد

الصفحة : ٣٣٥

أوفيد

الصفحة : ٣٣٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٨

تاييس تصرفت مثل أندروماخي ــــــ من يمنعها؟

وأندروماخي مثل تاييس ــــــ إنما خطأ.

لكن تاييس شغلي ــــــ فاللهو بلا أغلال،

وأنا لا أهتم بالزوجات، وتاييس من نصيبي.

إذا انسجمت ربة شعري مع موضوعي البهيج

فقد انتصرت؛ الاتهام باطل وهي تمضي طليقة.

وهكذا انفجر، أيها الحسد المفترس! فشهرتي اليوم عظيمة،

وهي تنتشر كما ابتدأت، وستغدو أوسع.

أنت تتخطى حدودك. وإذا قدر لي أن أعيش، فسوف تندم؛

فرأسي مازال يختزن كثيراً من القصائد.

وبقدر ما أجد الشهرة ممتعة فأنا أزداد شهرة ــــــ

الارتقاء أمامي، وجيادي اللاهثة لن تتوقف.

المرثاة مدينة لي اليوم بقدر (ما تسمح هي بذلك)

كما أن الملحمة مدينة لأعمال فيرجيل النبيلة.
ها قد أفحمنا الحسد. شد الأعنة بحزم أقوى
أيها الشاعر، واتجه إلى المضمار الصحيح.
حسناً، حين تريد سريراً وشغل فتيان
والموعد الليلي المحدد يدنو مقتربا،
وخوفاً من مفاتن حبيبتك وأنت مفعم بها،
فخير لك أولاً أن تمضي مع أي فتاة أخرى.
عليك أن تجد فتاة أخرى، متعتك الأولى في أن تقضي

أوفيد
الصفحة : ٣٣٦

أوفيد
الصفحة : ٣٣٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٦٩
منها وطراً؛ والفتاة التالية ستأتي على مهل.
أولى بالحب أن يتأخر، في حر الشمس نرحب بالظل،

والشرب في الظمأ، وفي البرد وهج الشمس الدافئ.

والآن أخجل أن أقول هذا. اختر وضعا
أقل ما يكون راحة وجاذبية في الوصال.
وذلك ليس صعباً: الصبايا نادراً ما يواجهن الحقيقة العارية،
ويحسبن أنهن لا يخبن في تحقيق الفتنة أبداً.
ثم تأكد أن النوافذ مفتوحة على مداها
وجدواها في أنك سترى في ضوء النهار الصريح.
وحالما تجتاز الرغبة مداها وتنتهي
ويتهاوى العقل والجسد منهكين،
وباشمئزاز تتمنى لو أنك لم تلمس فتاة أبدا
وتظن أنك لن تلمس فتاة فترة طويلة.
ثم دون ملحوظة عن أي عيب وكل شائبة،
وأمعن النظر في كل ما تراه من خلل.
ربما كان هذا يدعى أمراً صغيراً بحق،
لكن الأشياء التي لا تنفع منفردة، فكثيرها ينفع.
الثور الضخم يقع ضحية أفعى ضئيلة،
والجرو الصغير كثيراً ما يجبر الخنزير الوحشي للدفاع عن نفسه.
قاتل بالجملة، واجمع وصاياي كلها
في واحدة، وستنشأ من الكثير كومة كبيرة.

أوفيد
الصفحة : ٣٣٧

أوفيد

الصفحة : ٣٣٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٠

هناك طرائق عديدة جداً، وأوضاع لا حصر لها

ولا أرى ضرورة للتفصيل في كل شيء.

طريقة الفعل التي لا تؤذي مشاعرك،

يمكن أن تحكم على أخرى وتعدها شذوذاً مخزيا

الأعضاء الحميمة المكشوفة يمكن أن تصدم بعض الأصحاب.

وفي وسط الاندفاع تتوقف رغبته من دون ارتواء،

أو عندما تنهض المرأة من عملية الوصال

فإن آثاراً على أغطية الفراش قد تجهض عشقه.

إذا ضايقتك أمور كهذه، فأنت تلهو وحسب

وقلبك يسترد أنفاسه بمشاعل ينقصها الدفء.

لو أن ذلك الغلام شد القوس التي يوترها بعزم أقوى

لكان عليك أن تلتمس عوناً أكبر لعلاج أذاه.

ماذا لو أن رجلاً اختبأ والمرأة تكشف أشياءها الحميمة

ورأى ما تحرم عليه آداب السلوك أن يرى؟

لا سمح الإله بأن أقدم نصيحة من هذا النوع،

ربما كانت ناجحة، لكن لا ينبغي القيام بها.

أوصيك بأن يكون لك زوجان من الصديقات

(لأن الحصول على أكثر يقتضي أن يكون الرجل أشجع).

وكل حب آنئذ يستنزف مفعول الآخر

وتنوس المشاعر المشطورة جيئة وذهابا.

الأنهار الكبرى تتضاءل بالعديد من الأقنية،

وحين ينفد الوقود يخبو اللهب.

أوفيد

الصفحة : ٣٣٨

أوفيد

الصفحة : ٣٣٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧١

مرساة واحدة لا تكفي لتثبيت سفينة حربية،
وصنارة واحدة لا تكفي حين ترتفع الأمواج.
الرجل الذي رتب، منذ وقت طويل، وسيلتين للسلوان
قد ركز انتصاره فوق الذرى من زمن بعيد. (١)
ولكن أنت، يا من وضعت ثقتك الحمقاء بصديقة واحدة،
يجب أن تسعى الآن لتدبير معشوقة أخرى على الأقل.
مانيوس تخلى عن باسيفاي كرمى لبروكريس، (٢)
وأديا طردت زوجة فينيوس الأولى بعيداً. (٣)
كاليروي كانت موقنة أن تعلق ألكمايون (٤)
بألفيسيبويا الغالية لن يدوم طويلا
وكانت أوينوني ستحتفظ بباريس طوال حياتها

لولا تلك المعشوقة الإسبارطية الجميلة، (٥)
وجمال بروكني كان سيفتن الملك تيريوس (٦)
لو لم يسحره جمال أختها أكثر.

١
الذرى: الكابيتول.
٢
ماينوس: ملك كريت وزوجته باسيفاي، بروكريس: معشوقته. وفي الكتاب الثالث من (فن الحب) تكون زوجة كيفالوس وتموت خطأ بطعنة منه.
٣
فينيوس: العراف الأعمى، وقد مر ذكره.
٤
كاليروي: ابنة أخيلوس وزوجة ألكمايون، وقد تناول الشاعر قصتها المعقدة في (التحولات).
٥
أوينوني:حورية بحر كانت زوجة باريس قبل اختطاف هيلين.
٦
قصة تيريوس (ملك طراقيا) الذي اغتصب فيلوميلا (أخت زوجته) ودفع زوجته للانتقام منه.. مر ذكرها في بداية النشيد ٦ من (قصائد حب).

أوفيد
الصفحة : ٣٣٩

أوفيد

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٢

ولكن لِمَ أضيع وقتي بأمثلة تضجرني؟
الحب القديم يُمنىَ بالإخفاق عندما يظهر حب جديد
الأم تتفجع على واحد من عدة أبناء أقل
مما تندب دامعة العينين: "يا ولدي الوحيد!"(١)
لا تحسب أني أصوغ لك قوانين جديدة لتلتزم بها.
(لو أن الفكرة لم تكن لي، فالشهرة نسبتها إليَّ.)
لماذا، أغاممنون رأى ذلك. وهو قاد
جميع الإغريق، فما الذي لم يره إذاً؟
عشق كريسيس، الفاتح عشق الأسيرة،
وأبوها الأحمق بكاها في إنذار زائف.
لِمَ الدموع، يا مفسد البهجة؟ فهما كلاهما يقومان بعمل ظريف.
الجلبة الخالية من اللباقة هي التي تؤذي ابنتك.
حين أمر كالخاس (وهو تحت حماية أخيل)
أن ترد، وعادت إلى بيتها من جديد،
قال ابن أتريوس: "هناك واحدة تماثلها في الجمال،
ولها الاسم ذاته باستثناء مقطع واحد. (٢)

١

فجيعة الأم لا يمكن تقسيمها بهذا الشكل، وألبيرتو مورافيا في إحدى قصصه عن الحرب يؤكد عكس ذلك، كما أن الحقيقة لا تتفق مع تلك الفكرة.

٢

كريسيس وبريسيس: كلتاهما أسيرتان. الأولى أحبها أغاممنون وكانت من نصيبه، لكن أباها (كاهن أبوللو) استردها. أما بريسيس فقد أحبها أخيل وكانت من نصيبه حتى انتزعها منه أغاممنون. ومن الواضح أن التلاعب بالحروف بين الاسمين من عمل الشاعر الساخر، وليس من أقوال أغاممنون (ابن أتريوس).

أوفيد

الصفحة : ٣٤٠

أوفيد

الصفحة : ٣٤١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٣

لو أنه حكيم، فإن أخيل سيقوم بتسليمها إليَّ،
أو على الأقل، سيتعلم السلطان الذي أتمتع به.
فلو أن أحداً من الإغريق طعن في مدى سطوتي،
فإن يدي القوية على الصولجان تستحق الكثير.
لأنني إذا كنت ملكاً ولا من فتاة تنام معي،
آنئذٍ دعوا ثيرسيتيس يتربع على عرشي". (١)
وأخذها، وكانت عزاء جميلاً عن الأولى،
إن اندفاع العشق الجديد داخلاً، جعل القديم يرحل.
لذا خذ معشوقة أخرى كما فعل أغاممنون،
وكما تفترق الطريق، دع الحب ينشطر إلى اثنين.
وأنت تسأل أين تستطيع أن تجد واحدة؟ اقرأ كتابي،
إن مركبك سيكون فوراً حافلاً بصبايا من أجلك.

إذا كان لوصاياي قيمة، وإذا أبوللو
أعطى من خلالي بني البشر نصيحة جيدة،
أيها الفتى المسكين، إن كنت تتلوى داخل بركان إتنا، (٢)
فضلل محبوبتك، واظهر بأنك بارد كالجليد.
تظاهر بأنك على ما يرام، لذا فهي لن تلاحظ

١
ثيرسيتيس: أبشع المقاتلين في حرب طروادة، وكان قد أهان أغاممنون فضربه أوليس لوقاحته.
٢
بركان إتنا: في جزيرة صقلية.

أوفيد
الصفحة : ٣٤١

أوفيد
الصفحة : ٣٤٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٤

أنك بائس، واضحك حين ترغب في البكاء.
(لا أعني أنني أريدك أن تتوقف فجأة في وهج الرغبة،
إن أوامر مسيري لا تميل فعلا إلى ذلك المنحدر).
اختلق ما لا يعبر عنك، وتظاهر بأن سعار الرغبة انتهى،
وهكذا ستكون في الحقيقة ما تظاهرت به ولفقته.
كثيراً ما تظاهرت بالنوم لأتجنب الشراب،
وبينما كنت أتظاهر، أحرز النوم الانتصار.
العاشق الدعي، الذي يخادع نفسه، يثير ضحكي ———
صياد يقع في الشرك الذي نصبه بذاته.
الحب يأتي بحكم العادة، والعادة تقصيه كذلك،
وإذا استطاع أحدهم أن يتظاهر بالشفاء، فهو سيشفى.
لقد دعتك للمجيء: تعال في الليلة الموعودة.
جئت فإذا الباب موصد، لا تقلق.
أبعِدْ عن الباب المغلق إهاناتك وتوددتك،
ولا تترك وراءك على الدرجة ما يثير الشفقة عليك.
غداً يطلع النهار. لا تثر جلبة ولا تذمرا،
ويجب ألا يفصح وجهك عن سيماء الانزعاج
إنها ستتخلى عن غرورها حين ترى هدوءك البارد
وهذه النفحة المفيدة ستنالها من خبرتي الفنية.
ولكن خادع نفسك أيضاً. لا تحدد تاريخاً لإنهاء الحب،
فالحصان كثيراً ما يقاوم العنان.

أوفيد
الصفحة : ٣٤٢

أوفيد

الصفحة : ٣٤٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٥

لا تفكر بالمكافأة: ستحصل عليها وأنت غافل

فالطائر يتجنب الشرك الذي يراه واضحاً جدا.

لا تدعها تبالغ في الاعتزاز بنفسها، ولا تسمح لها بازدرائك.

أظهر شجاعتك، فالشجاعة ترغمها على الخضوع لك.

بابها مفتوح؟ تجاوزه، وإن كانت تناديك.

وتعطيك موعداً: شَكِّكْ في أن يكون ذلك الموعد مناسباً.

من اليسير أن تحتمل، وإذا خاب الاحتمال أو حينئذ،

فالمرء قادر أن يحصل على فتاة مريحة مباشرة.

كيف تقول عن وصفاتي الطبيعية إنها صعبة الاستعمال؟

إنك تراها الآن وكأني أقوم بدور قواد.

القلوب تتغير، لذلك ستتغير طرائقنا الفنية أيضاً.

فمن أجل علل لا حصر لها سيكون ثمة معالجات لا تحصى.

إن مبضع الجراح نادراً ما يداوي بعض الأبدان

والمعالجة بالأعشاب كثيرة وهي ناجعة بالتأكيد.

أنت متهافت، وربما لا تقوى على الهجر، سهل الوقوع في العبودية.

القدم على عنقك، وإله الحب الوحشي يراقبك بانتباه.

توقف عن المقاومة. استخدم الريح والشراع قبل ذلك.

وحيثما تدعوك الأمواج، دع المجاذيف تمضي كذلك.

لقد أخذت في إطفاء الظمأ اللاهب الذي يودي بك.

ونحن نمنح الإذن: ويمكنك أن تشرب من وسط النهر الآن.

أوفيد

الصفحة : ٣٤٣

أوفيد

الصفحة : ٣٤٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٦

لكن اشرب أكثر مما يحتاج القلب والمعدة إليه
حتى تشعر بالاختناق مما طفح وفاض.
تابع، واستمتع بمعشوقتك بلا مراجعة ولا قيد،
دعها تملأ كل ليل، وتملأ كل نهار.
تابع حتى تتخم بالسم، فالتخمة تعني الانتهاء.
وعليك أن تبقى، وإن أمكنك أن تعمل من دونها،
حتى تمتلئ تماماً ويموت الحب من التخمة،
البيت يغيظك، وأنت سعيد في أن تنطلق بعيدا.
الغرام يسترخي طويلاً، حين يغذيه سوء الظن.
إذا أردت أن تنهي الحب، توقف عن الخوف.
فإن كنت تخاف أنها ليست لك وأن أحدهم سرقها منك،
فعلاج حالتك يكاد يكون فوق طاقة ماخاون لإسعافك. (١)

إن أم ولدين تحب الجندي منهما أكثر
لأنها تخاف ألا يرجع من حملته الرهيبة.
وهناك في جوار بوابة كولين يرتفع هيكل
حرم مقدس باسم فينوس. (٢)
هناك يقيم راعي الحب ليتيوس الذي يشفي مدنف القلب (٣)

١
ماخاون: الطبيب والجراح الإغريقي.
٢
هيكل فينوس في إريكس (مدينة وجبل في صقلية).
٣
ليتيوس: شخصية من إبداع خيال أوفيد، وقد جعله إلهاً للحب في مواجهة أبوللو، والاسم مأخوذ من (ليتي) نهر النسيان في الجحيم، كما هو واضح في البيت التالي.

أوفيد
الصفحة : ٣٤٤

أوفيد
الصفحة : ٣٤٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٧
وينقع في الماء البارد لواعجه الضارية.
وهناك يتوسل أصحابنا الفتيان من أجل النسيان
وقد اصطاد رجل متحجر الفؤاد أي فتاة.
إذا كان ذلك كيوبيد، ولم يكن حلما ــــــ
وأنا أفكر في حلم حقيقي، فقد حدثني بهذه الكلمات:
"أنت، يا من تصيب بأوجاع اللوعة وتداويها،
أضف إلى إرشاداتك فقرة أخرى، يا أوفيد.
لو أن كل رجل ظل مشغول البال بويلاته، لانتهى الغرام؛
فالإله يبقي الكوارث مخزونة للجميع تقريبا.
الرجل الذي ترهبه الدفعات الفصلية
لوفاء كامل المبلغ الذي استدانه لا بد أن يتعذب.
ومن كان أبوه صارما، وكل شيء آخر رغيدا،
لا بد أن يضع ذلك العجوز الصارم نصب عينيه.
وآخر يعيش مع زوجة أرهقته بصداقها
فليعتقد أن قرينته تسد مجرى حياته.
وفي مزرعتك تتمتع بكرم وافر العطاء،
والأعناب الرائعة مازالت تنمو: ولا بد أن تخشى من لفح القيظ.
مركبك يتجه إلى الوطن: والبحار تفقس دائما
العداء، فحطام مركبك مفروش على الشاطئ.
ابنك جندي، وابنة في سن الزواج ــــــ
همٌّ مقلق! من لا تقلقه هواجس الانتقام؟

أوفيد
الصفحة : ٣٤٥

أوفيد

الصفحة : ٣٤٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٨

لا بد أن تفكر في مصرع إخوتك (١)

يا باريس، ولهذا يمكنك أن تكره معشوقتك".

لايزال يتحدث، وقد تلاشت تلك الرؤيا الصبيانية

من نومي، إن كان نوما. ماذا أفعل؟ (٢)

سفينتنا تاهت بك في عرض البحر يا بالينوروس (٣)

وعليَّ أن أتبعها الآن في طرق بلا خرائط.

تجنبوا الأمكنة الموحشة، يا عشاق. فالأمكنة الموحشة

مؤذية، وأنتم بين الناس أكثر أماناً.

وأنت لست بحاجة للعزلة، في المكان المعزول

تتكاثر الوساوس، والجمهور يوفر العون الأكيد.

إذا كنت وحيداً، ستتبختر خالياً. ومعشوقتك تلوح

أمام عينيك جسداً وروحاً، وهي مهجورة.

الليل أشد حزناً من ساعات النهار،

وما من صاحبة لتخفف من كآبتك.

لا تترك بابك موصداً، ولا تتجنب المحادثة

ولا تحبس في الظلام نفسك الطافحة بالدمع.

١
كان لبريام خمسون ولداً، وفق ما يروي هوميروس، وقد قتلوا جميعاً تقريباً في حرب طروادة.
٢
يربط الشاعر بين النوم وكيوبيد، في بداية هذا المقطع ونهايته، لأن كلاً منهما يمثل فتى مجنحا.
٣
باليونوروس: قائد سفينة أنياس، خدره النوم ودفعه تائهاً في عرض البحر.

أوفيد

الصفحة : ٣٤٦

أوفيد

الصفحة : ٣٤٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٧٩

ليكن بيلاديس حاضراً دائماً لمساعدة أوريستيس، (١)

هنا قيمة الصداقة ستكون حقيقية أيضا.

ماذا دمر فيلليس المسكينة غير الغابات الموحشة؟ (٢)

إن سبب الموت واضح: لا صديق بجانبها.

كانت تندفع، مشعثة الشعر مثلما

تتقاطر عصبة باخوس في طقوسها الخارجية كل حولين. (٣)

كانت تحدق في البحر الواسع أمامها حينا،

وتنطرح أحياناً على الرمل منهكة.

وهي تصرخ للأمواج التي لا تسمع: "آه، يا ديموفون
يا خائنلتكن على رأسه!"
ثم تطلعت إلى الأغصان بارتياب تكاد لا تجرؤ
ومدت أصابعها إلى عنقها برعب.

١
بيلاديس: صديق أوريستيس الذي قتل أمه انتقاماً لأبيه أغاممنون، وكان لصديقه مكانته في تلك المحنة.
٢
فيلليس: أحبت ديموفون ثم تخلى عنها وهي تنتظر عودته على الشاطئ، وقبل انتحارها سارت في ذلك الممر تسع مرات لذلك سمي بـــــ (الدروب التسعة).
٣
كانت طقوس باخوس الصاخبة تجري كل حولين، والسبب غير واضح.

أوفيد
الصفحة : ٣٤٧

أوفيد
الصفحة : ٣٤٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٠
ما أشد حزنك وأنت وحيدة آنئذ، يا فيلليس المسكينة!
فالغابات لن تتفجع أكثر، لو أن جميع أوراقها تساقطت.
لذا، أيها الرجال المطعونون من النساء ويا أيتها النساء المطعونات من الرجال،
خذوا عبرة من فيلليس لئلا تعانوا وحدتكم أطول مما يحتمل.

إن فتى عمل كل ما أمرت به ربة شعري ذات يوم
فكان مرفأ سلامته الآن قريبا.
وبعدئذ ارتد ـــــ لقد صادف بعض العشاق المتيمين،
وأخذ الحب من جديد الأسلحة التي تركها.
إن كنت واقعاً في العشق، ولا ترغب في الغرام، تجنب الاتصال فالعدوى كثيراً ما تصيب القطيع كذلك.
فالعيون التي تحدق في الجروح عن كثب تصاب بالجرح، (١)
والإصابات المعدية تؤدي إلى الأذى أيضا.
ليس نادراً أن نرى الماء من نهر مجاور
ينز بسرعة إلى أرض جفت عطشا.
الهوى يتسرب خفية، إن لم تكن في حِل من العشاق،
فنحن جميعا ماهرون حين يكون الحب هو الصنعة.
رجل كان معافى من الغرام، لكن الاتصال حكم عليه بالانتكاس:

١
هذه فكرة أبيقورية تقول: هناك أشياء كثيرة لا ينبغي لنا أن نلمسها أو ننظر إليها.

أوفيد
الصفحة : ٣٤٨

أوفيد
الصفحة : ٣٤٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨١
لقد قابل فتاته ولم يستطع مقاومة العاطفة.
فني لم يفلح: الندبة لم تلتئم بعد،
والجرح القديم انفتح مجدداً وعاد كما كان.
ليس أمراً سهلاً أن تكافح النار في بيت مجاور، (١)
فالأمر السليم والحصيف أن تترك الجوار.
لا تتجول في الرواق ذاته حيثما هي تمشي،
ولا تكرس نفسك لخدمة الحلقة الاجتماعية ذاتها.
ما الخير في أن تشعل الذكريات من جديد
قلباً بارداً؟ الأحسن أن تجد عالماً جديدا.
(حين يقدم الطعام، فمن العسير أن تمتنع وأنت جائع،
والماء المتدفق يثير أيضاً ظمأً شديداً.
من الصعب أن تمسك بثور رأى بقرة،
أو تمنع حصاناً عن الصهيل إذا شاهد فرساً).
انتهى الأمر، إذا وصلت إلى المرفأ أخيراً،
وليس كافيا أن تغادر الفتاة. فالوداع
للأخت والأم والممرضة المطلعة على أسرارها
وجميع من يشاركها الحياة والعِشرة.
لا تسمح لعبدها بالمجيء، ولا لخادمتها بأن تلقي
تحيات متذللة وعبرات كاذبة لصالحها.
لا تسل عما تفعل، وإن كنت متلهفاً لذلك،

١
يتلاعب الشاعر بالألفاظ فالمعنى المجازي للنار هو الحب.

أوفيد
الصفحة : ٣٤٩

أوفيد
الصفحة : ٣٥٠

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٢
قف صلباً! إن تلزم الصمت فسوف تستفيد.
وأنت يا من تخبر العالم كيف انتهى غرامك
ولديك الكثير الكثير مما تقوله ضد محبوبتك،
أوقف النواح! فمن الأفضل أن تنتقم بالسكوت.
وهكذا سوف تخبو أشواقك وتزول.
خير لك أن تبقى ساكتاً من أن تقول إنك انقطعت،
فالرجل الذي يتحدث طويلا عن نجاته يكون غارقاً في الغرام.
بإطفاء بطيء تقضي على النار بالتأكيد
أفضل من السرعة: وإن وقفت على مهل، فالسلامة مضمونة.
الطوفان المندفع فجأة أعمق من نهر جارٍ طوال السنة،
الأول وقته قصير، والآخر يبقى دائماً هناك.

دع الغرام يمت بالتدريج ويتلاشَ بلطف،
متبدداً بلا أي أثر في الهواء الرقيق.
ولكن من الجريمة أن تكره آخر صاحبة شُغِفت بها،
تلك العادة السيئة لاتصدر إلا عن شخص وحشي.
اللامبالاة تكفي: فمن ينهي الحب بالكراهية،
فاللوعة تستمر أو يجد من الصعب إنهاء محنته.
حين يبدأ رجل وامرأة بالعراك، بعد أن كانا مرتبطين،
تلك حالة سيئة: وقضايا كهذه تجعل حتى المحامين يتجهمون.
الرجال يتهمون النساء ــــــ ومع ذلك يعشقونهن: فإله الحب
بلا نقاش ولا حرص على الزيارة، يطير مبتعدا.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٠

أوفيد
الصفحة : ٣٥١

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٣

كنت أعرف شخصاً ـــــــ وزوجته في محنة،
كان يصرخ: "اخرجي!" وقد أعد كل كفالة لتسريحها.
كانت تهديداته همجية، وكل كلمة جارحة؛
وخرجت زوجته، رأى المرأة فخذلته الكلمات.
تهدلت يداه، وسقط منها اللوحان كلاهما،(١)
"لقد فزتِ"ــــــ هو بين ذراعيها وهي الغالبة.
الانفصال الودي أكثر لياقة وسلامة:
لا تذهب من الفراش إلى المحكمة.
قل لها أن تحتفظ بهداياك بلا دعوى قضائية:
الخسارات الصغيرة لا وزن لها حين تكون المكاسب كبيرة
ولكن إذا جمعتكما معاً مصادفة ما
فتذكَّر دائماً أن أسلحتي شفَّافة كالبلور.
أنت الآن بحاجة للسلاح؛ هنا معركة، أيها القلب الشجاع،
وعلى حربتك أن تتغلب على بنثيسيليا. (١)
تذكر أيمانها الكاذبة، وتذكر منافسك،
وتلك الدرجة القاسية حيث أُرغِمَ الحبيب على الاستلقاء.
لا تسرح شعرك لأنك ذاهب للقائها،
ولا تلبس رداءك الفضفاض لتلفت انتباهها. (٣)

١

الإشارة إلى الصيغة القانونية المدونة على اللوح، وهي الكفالة التي سيقدمها لدى مثول المدعى عليه في المحكمة.

١

بنثيسيليا: ملكة الأمازونيات.

٣

الرداء الفضفاض: toga، وهو لباس المواطن الروماني.

أوفيد

الصفحة : ٣٥١

أوفيد

الصفحة : ٣٥٢

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٤

هي الآن معشوقة رجل آخر ، فلا تشغل بالك بذلك ،
واعتبرها مجرد واحدة من العابرات الكثيرات
سأقول لك ما الذي يقف عائقاً بشكل خاص
دون جهودنا ـــــــ وعلى كل رجل أن يرى ذلك من قضيته ذاتها.
نحن نرجو أن نكون محبوبين: لذلك نتوقف ببطء شديد،
إننا نتملق أنفسنا، ونحن أشخاص سُذَّج.
ولا تحسب أن الكلمات (أهناك ما هو أشد خداعا؟)
لها وزنها أو أن الآلهة الخالدة هناك في الأعالي.
وكن محترساً من أن دموع النساء لا تؤثر فيك،
إن عيونهن تلك قد تدربت جيداً على البكاء.
ثمة فنون لا تحصى تهاجم مشاعر العشاق
كالأمواج التي تلطم الصخور بعنف على كل جانب من البحر.
لا توضح بجلاء لماذا تريد الانفصال،
ولا تقل ما الذي يؤلمك، عالج ذلك سرا.
لا تعدد عيوبها ـــــــ فهي ستغسلها. وأنت ستُضعِف
قضيتك العادلة ذاتها، وتسهم في جعلها قوية.
السكوت قوة: والرجل الذي يصب ركاماً من اللوم
على صاحبته يطالب بإثبات الخطأ.

لا أملك الجرأة لأسوق السهام مثل أوليس، (١)

١
احتال أوليس على رامي السهام (فيلوكتيتيس) وجرده من سلاحه حين جاء ليأخذ أوليس إلى حرب طروادة ولم يكن راغباً في الاشتراك فيها.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٢

أوفيد
الصفحة : ٣٥٣

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٥
أو أمسك بشعلة إله الحب وأطفئ لهبها،
ولن أقص الريش الوضاء من الإله ــــــ الصبي
أو أنتزع بفني أوتار قوسه المقدسة.
إني أغني نصيحة حصيفة، لذلك انتبهوا إلى المغني.
بارك ألحاني، يا أبوللو، وتعال لتبرئ القلوب هنا! (١)
أبوللو هنا، القيثارة تطلق أنغامها والكنانة تصلصل،

أعرفه من إشاراته: أبوللو هنا.
قارنوا جزة مصبوغة في قدور إسبارطة (٢)
بالأرجوان الصوري: ستكون بشعة.
قارنوا محبوباتكم بربات العروش كذلك:
وستشعرون بالخجل مما ترون.
لعل كل واحدة منهما بدت جميلة في نظر باريس (٣)
لكنه حكم، بالمقارنة بينهما، لفينوس ففازت في المباراة.
ولم تكن المظاهر وحدها، بل وازن العقول والطباع،
ما دام الحب موجودا فلن يضلِّل الحكم.

١

أبوللو: هو إله الطب كما هو إله الشعر والتنبؤ. والكنانة المصلصلة: إشارة إلى غضب أبوللو على الإغريق لأن أغاممنون رفض التخلي عن (كريسيس) ابنة كاهنه.

٢

صناعة الأصباغ فينيقية في إسبارطة، وخاصةً في جزيرة كيثيرا، لكن تلك الأصباغ لم تكن في مستوى الأرجوان الذي كانت تحتكره مدينة صور.

٣

الإشارة إلى جونو ومينيرفا في مباراة الجمال مع فينوس، وقد حكم باريس بالتفاحة الذهبية لفينوس فكافأته بمعشوقته هيلين. والشاعر يقرن في الأبيات التالية الحب بالجمال والحكمة، وليس من الحكمة أن تكون الجائزة سبباً لحرب طروادة.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٣

أوفيد

الصفحة : ٣٥٤

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٦

فكرتي التالية بسيطة، لكن كثيرين وجدوها مفيدة

ومع أنها متواضعة، فأنا ذاتي كنت كذلك.

إياك إياك أن تعيد قراءة رسائل فاتنتك،

إن قراءة الرسائل من جديد تحرك قلباً من حجر.

أطعمها كلها للنيران (وأنت كاره أن تفعل ذلك)

وقل: "ستكون هذه الآن محرقة رغبتي المهتاجة".

إن نار ألثيا أحرقت ميليغر وهو غائب:(١)

أتخشى أن تقدم كلمات مزيفة للنيران؟

أزل صورها كذلك. لماذا تترك وجوها من شمع

تعكر حياتك؟ هكذا لاوداميا ماتت.(٢)

والأمكنة كثيراً ما تجرح، وتسبب الألم والأسى؛

تجنب كل مكان كان يعرفكما وأنتما معا:

"هنا كانت، هنا استلقت، وهنا كان خِدْر نومها.

وهنا منحتني متعها ليلة بعد ليلة".

إن ما يثير الذكرى يصقل الحب الخام ويفتق الجرح من جديد،

فمرور الوقت لا يؤذي العقول الضعيفة إلا قليلاً جداً.

إذا لمست الجمرات، وهي توشك أن تخبو، فإن الكبريت

١

ألثيا: ملكة كاليدون في بلاد الإغريق، وهي أم ميليغر الذي قتل أخويها في مشاجرة من أجل ميداليات صيد الخنزير الوحشي. وقد ألقت في النار جذع الشجرة الذي تقوم عليه حياته. والمقارنة تبدو بلاغية أكثر مما هي منطقية.

٢

لاوداميا: زوجة بروتيسيلاوس، حزنت لفقده كثيراً حتى أشفقت عليها الآلهة وأعادته فترة وجيزة، لكنها لم تحتمل فراقه من جديد فلحقت به.

أوفيد

الصفحة : ٣٥٤

أوفيد

الصفحة : ٣٥٥

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٧

سيشعلها، ومن أدق شرارة تشب نار هائلة.

وهكذا، إذا لم تتجنب ما يشعل اللوعة من جديد،

فإن اللهب سيندلع من لا شيء ثانية بعنف

كافيريوس والنيران الكاذبة التي أضرمت للانتقام ———

لابد أن مراكب الإغريق تمنت ألا تبحر مقتربة منه. (١)

كان البحار المحترس سعيدا حين تجاوز سكيللا؛ (٢)

احرص على نفسك واحذر الأمكنة التي كانت حبيبة ذات يوم.

اعتبر هذه سيرتيس، وتجنب جبال الرعد هذه؛ (٣)

إن ما يبتلعه البحر هناك تتقيؤه كاريبديس هنا. (٤)

بعض الأشياء لا يقدر أحد على ترتيبها،
وإذ تحدث بالمصادفة، فإن كثيراً منها يسير على ما يرام.
دمر ثروة فيدرا ــــ نبتون سينقذ حفيده، (٥)

١

كافيريوس: رأس في الطرف الجنوبي الشرقي من يوبويا، أشعل ناوبليوس النار فوق ذلك الرأس فاجتذب العديد من أسطول الإغريق وسبب له الدمار. وهذا الرجل هو والد بالاميديس الذي كشف عن ادعاء أوليس الجنون للتهرب من المشاركة في حرب طروادة، وقد دبر له أوليس تهمة كاذبة لإعدامه مما دفع أباه للانتقام.

٢

(٢، ٣) سكيللا وكاريبديس: من المناطق البحرية الخطرة في مضائق مسينا، الأولى تبتلع المراكب، والثانية تقذف بها إلى الخارج.

٤

سيرتيس: رمال متحركة خطرة في الشاطئ الإفريقي، وجبال الرعد عند مرفأ إيبروس اليوناني.

٥

فيدرا: ابنة ماينوس وزوجة ثيسيوس، عشقت هيبو ليتوس (ابن زوجها) وحين رفضها شكته لأبيه متهمة إياه بمحاولة اغتصابها وانتهت حياته بكارثة، عندما جمحت جياده نافرة من وحش بحري أثارته لعنات والده.

أوفيد

الصفحة : ٣٥٥

أوفيد

الصفحة : ٣٥٦

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٨

وثور الجد لن يروِّع جياده.

اجعل ملكة ماينوس بائسة، كان عليها أن تعشق بحكمة أفضل:

إن ترف العشق يتغذى في المراعي الخصبة. (١)

لماذا لا يتودد أحد إلى هيكالي، ولا أحد إلى إيروس؟ (٢)

لأن هذا كان متسوِّلاً وتلك فقيرة.

الفقر تُعوِزه الوسيلة لتغذية العاطفة،

وهي لا تستحق كل ذلك بالتأكيد وإن تكن فقيرة.

لكنك لن تجد المرأة الجديرة بأن تستمتع معها

في المسرح حتى يرحل الحب متحرراً منك.

المزامير والقيثارات وآلات القانون تتلف الرجل

والأصوات وراقصات الباليه كذلك. (٣)

الراقصون هناك يقومون دائماً بأدوار العشاق،

والمفاتن التي تتجنبها يعرضها الممثل.

أنا أتحدث ضد المزاج: فلا تسيء لشعراء الحب،

١

الإشارة إلى باسيفاي (زوجة ماينوس) التي عشقت الثور الأبيض وأنجبت منه المينوطور (نصف رجل ونصف ثور).

٢

هيكالي: عجوز فقيرة آوت عندها ثيسيوس ليلة وهو في طريقه لمواجهة ثور الماراثون، ومنحت اسمها لملحمة مصغرة ومؤثرة للشاعر كاليماخوس ـــــ إيروس: متسول صخَّاب ضربه أوليس المتنكر. وهو تتمة شكلية لهيكالي، مجرد مثال.

٣

إشارة إلى المسرح الإيمائي حيث تؤخذ قصص من الأساطير تقدم إيمائياً بمرافقة الموسيقا والغناء، وقصائد أوفيد كانت تقدم على هذا النحو.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٦

أوفيد
الصفحة : ٣٥٧

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٨٩
وذلك يضم مواهبي أيضاً ــــــ فلا تدنس المقدسات!
تجنب كاليماخوس: فهو ليس كارهاً للحب،
وفيليتاس يؤذي أيضاً وستحرم التعامل معه.
وسافو هيأت نفسها لتكون خليلتي، وأنا واثق من ذلك.
ولم يجعلني أناكريون أبداً متزمتاً.
من يستطيع أن يقرأ قصائد تيبوللوس ولا يصاب بأذى،
أو ما كان موضوعه سينثيا وحدها؟ (١)
من يستطيع أن يبقى صارماً متجهماً بعد قراءة غاللوس؟
إن شيئاً ما يشبه ذلك مبثوث في قصائدي ذاتها.
فإن لم يقم أبوللو، راعينا، بخداع شاعره،
فالمنافسة هي السبب الأول لأمراضنا.
لا تسمح لنفسك أن تتخيل أي منافس
واعتقد أنها ستستلقي وحيدة في فراشها.

أوريستيس عشق هيرميوني الأذكى
لأن لها عاشقاً آخر بجانبها. (٢)
لماذا تنوح ياميناالاوس؟ وأنت سافرت بلا زوجة
إلى كريت، مبدداً وقتك بلا عروسك.
أنت لم تتفقد زوجتك حتى أخذها باريس،
إن عشق رجل آخر جعل لوعتك تزداد لظى.

١
هو الشاعر بروبيرتيوس. وأوفيد يكثر من ذكر الشعراء المتألقين في عصره أو من سابقيه ليضع نفسه بينهم، كما في هذا المقطع.
٢
العاشق الآخر: نيوبتوليموس.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٧

أوفيد
الصفحة : ٣٥٨

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٩٠
إن الذي أغضب أخيل حين فقد بريسيس
لم يكن إلا تلك البهجة التي حازها أغاممنون.
صدقني، إن هناك سبباً لغضبه، وقد تمسك به
ولو لم يكن كذلك، لكان بزّاقة مخزية.
وأنا كنت سأفعل الأمر ذاته، وأنا لست أكثر حكمة:
فمن بين ضغينتهما الرائعة كانت هي الفاكهة الأشهى.
لقد أقسم على صولجانه بأنه لن يمسها،
معتبراً أن صولجانه لم يكن أي إله.
ألا فلتمنحك الآلهة القوة حتى تجتاز
باب محبوبتك السابقة، ولتثبت قدماك نفعهما.
حان الوقت لتهمز جوادك حتى يعدو،
شد عزمك وكن شجاعاً، ولن تخيب.
تخيَّلْ أن ذلك هو ملاذ أكَلة اللوتس
والسيرينات: جذِّف الآن جذِّف، وانشر الشراع.
وذلك الفتى الذي أغاظك يوماً بمنافسته،
أود أن تتوقف عن التفكير بأنه عدو.
إن كنت ماتزال تكره الرجل، فلا تتجاهله على الأقل؛
وحالما تتمكن من عناقه، فإنك ستشفى.

هناك حِمْية أيضاً؛ وسأنهي واجباتي الطبية
بإعلامك ماذا تتجنب وماذا تتناول.

أوفيد
الصفحة : ٣٥٨

أوفيد
الصفحة : ٣٥٩

رقم صفحة الكتاب الورقي: ٣٩١
أنواع البصل كلها، سواء محلية أو مستوردة
من إفريقية أو بلاد الإغريق، تسبب أذى بالغا.
ولا أقل من أن نتجنب الجرجير المثير للشهوة، وأي شيء
يمكن أن يزيد من عشقنا، وهذا عين الصواب.
ومن الأحسن أن نتناول السَّذاب ليزداد بصرنا حدة (١)
وأي شيء يكون ترياقاً لغرامنا.
أتسألني النصيحة في الخمر والشراب؟
عليك أن تتخلى عنه بأسرع من أن تفكر:
الخمر تقود القلب إلى العشق ما لم تغرق
حواسك وتتبلد بالكثير الكثير من الشراب.
الخمر تزيد النار اتقاداً ولاريح تطفئها؛
الأنسام تثير اللهب والعواصف تخمده.
وهكذا إما أن تشرب حتى العمى أو ثابر على الماء،
وإن كنت بين بين، فقد حكمت على نفسك بالإخفاق الأكيد.

مهمتي انتهت؛ كللوا بالغار مركبي المتعب،
لقد بلغت المرفأ الذي طال إبحاري إليه.
ستؤدون نذوركم حالاً لشاعر أبوللو،
وقد شفيتم الآن، رجالاً ونساءً، بفضل أغنيتي.

١
السذاب (الفيجن) Rue: نبتة طبية أوراقها مرة وأزهارها صغيرة جداً تكاد لا ترى.